المملكة العربية السعودية
الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة
كلية القرآن الكريم
قسم التفسير

تفسير آيات القرآن

عن علاقة الملائكة بالإنسان

إعداد الطالب
عبد العزيز بن صالح العبيد السلمي
لنيل الشهادة العالمية «الدكتوراه»

إشراف
فضيلة الدكتور محمد سالم محيسن

عام ١٤١١ هـ



بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهد الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان وسلم تسليمًا كثيرًا.

أما بعد .

فإن أولى ما صرفت فيه نفائس الأيام ، وأعلى ما خص بمزيد من الاهتمام ، الاشتغال بالعلوم الشرعية المتلقاة عن خير البرية ، ولا يرتاب عاقل في أن مدارها على كتاب الله المقتفى وسنة نبيه المصطفى(1) صلى الله عليه وسلم . وقد اعتنى المسلمون بكتاب ربهم منذ نزوله على النبي صلى الله عليه وسلم اعتناء فائقًا ، فاعتنوا به حفظاً ، وتلاوة ، وكتابة ، وتدبرًا ، وتفسيرًا .

كيف لا وهم يعلمون أن فيه " نبأ ما قبلهم ، وخبر ما بعدهم ، وحكم ما بينهم ، وهو الفصل ليس بالهزل ، من تركه من جبار قصمه الله ، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله ، وهو حبل الله المتين ، وهو الذكر الحكيم ، وهو الصراط

1- انظر هدي الساري : ٣ .

المستقيم ، هو الذي لا تزيغ به الأهواء ، ولا تلتبس به الألسنة ، ولا يشبع منه العلماء ، ولا يَخْلِق على كثرة الرد ، ولا تنقضي عجائبه ، هو الذي لم تنته الجن إذ سمعته حتى قالوا ﴿ إنا سمعنا قرءانا عجبًا يهدى إلىٰ الرشد ﴾(١) من قال به صدق ، ومن عمل به أجر ، ومن حكم به عدل ، ومن دعا إليه هدي إلى صراط مستقيم "(٢).

ولما كان لزامًا على طالب الدراسات العليا أن يقدم بحثًا لنيل درجة الدكتوراه فقد انشغلت بالبحث عن موضوع لهذا القصد .

وكان مما وقفت عليه موضوع " تفسير آيات القرآن عن علاقة الملائكة بالإنسان " .

وكان ذلك بإرشاد من فضيلة الدكتور عبد العزيز بن محمد عثمان جزاه الله خير الجزاء .

ثم جمعت أطراف الموضوع وعناصره ، ووجدته جديرًا بأن يكتب فيه رسالة علمية في هذه المرحلة .

١ـ الجن ١ـ٢ .
٢ـ هذا اقتباس من قول علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ . ورفع إلى النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ عند الترمذي ٥/١٧٢ـ١٧٣ ، والدارمي ٢/٤٣٥ ـ من طريق الحارث الاعور ، قال الحافظ في التقريب ١٤٦ : "كذبه الشعبي في رأيه ، ورمي بالرفض ، وفي حديثه ضعف " فالحديث ضعيف السند لكنه صحيح المعنى ولذا قال الشيخ الالباني في حاشية شرح الطحاوية ٧١ : " ولعل أصله موقوف على علي ـ رضي الله عنه ـ فأخطأ الحارث فرفعه ".

أسباب اختيار الموضوع

من الأسباب التي دعتني لاختيار هذا الموضوع ما يلي :

١ـ أن الإيمان بالملائكة ركن من أركان الإيمان . إذا فمن الأفضل معرفتهم ومعرفة أعمالهم وخصوصًا ما له علاقة بنا نحن بني الإنسان .

٢ـ قوة العلاقة بين الملائكة والإنسان ، فلابد من توضيح هذه العلاقة .

٣-الرد على النظرة المادية البحتة في هذا الوقت ، والتي لا تعترف إلا بالمحسوسات وانغماس الناس في الشهوات ناسين أو متناسين الملائكة الموكلة بهم ، في نومهم واستيقاظهم وفي حياتهم وبعد وفاتهم .

٤ـ قلة المؤلفات حول هذا الموضوع ، وما وجد من ذلك فإنما هو من باب الإخبار عن الملائكة والإيمان بهم(١) لا من باب التفسير(٢) .

فلهذه الأسباب وغيرها أحببت هذا الموضوع والكتابة فيه .

١- ومن ذلك كتاب الحبائك في أخبار الملائك للسيوطي . وعالم الملائكة الابرار للدكتور عمر بن سليمان الاشقر . وعالم الملائكة أسراره وخفاياه لمصطفى عاشور . وعقيدة الإيمان بالملائكة وأدلتها رسالة ماجستير إعداد محمد بن سليمان الدريويش والملائكة والإيمان بهم رسالة ماجستير إعداد ناجي محمد سلامة . والإيمان بالملائكة عليهم السلام لعبد الله سراج الدين . والإيمان بالملائكة لاحمد عز الدين البيانوني.

٢- سوى كتاب : آيات الإيمان بالملائكة تأليف عبد المنعم أحمد تغليب . ولم أطلع عليه.

خطة البحث

ضمنت بحثي هذا : مقدمة وتمهيدا ، وبابين ، وخاتمة ، وفهارس عامة .

وبيان ذلك فيما يأتي :

أولا ـ المقدمة ، وضمنتها أسباب إختيار الموضوع .

ثانيا ـ المنهج الذي سلكته أثناء البحث . وسيأتي تفصيله في موضعه .

ثالثا ـ التمهيد ، وضمنته ما يأتي :

أ ـ تعريف الملائكة .

ب ـ تعريف الإنسان .

ج ـ عقائد الناس في الملائكة .

د ـ الملائكة المذكورون في القرآن ولهم علاقة بالإنسان .

هـ ـ الناس المذكورون في القرآن وللملائكة علاقة بهم .

و ـ صفات الملائكة في القرآن .

رابعا : الباب الأول والثاني . وهما على النحو التالي :

ا ـ الباب الأول : علاقة الملائكة بالإنسان في الدنيا ،

وضمنته ثمانية فصول:

الفصل الأول : بداية العلاقة بين الملائكة والإنسان ·

وفيه مبحثان :

المبحث الأول : كيف نشأت هذه العلاقة ؟

المبحث الثاني : سجود الملائكة لآدم ·

الفصل الثاني : نزول الملائكة بالوحي ·

وفيه خمسة مباحث :

المبحث الأول : تعريف الوحي لغة وشرعا ·

المبحث الثاني : الملك الموكل بالوحي ·

المبحث الثالث : وحي الله إلى الأنبياء بواسطة الملائكة ·

المبحث الرابع : وحي الله إلى غير الأنبياء بواسطة الملائكة ·

المبحث الخامس : أشخاص اختلف العلماء في وحي الله إليهم بواسطة الملائكة.

الفصل الثالث : بشارة الملائكة للمؤمنين وإنذارهم الكافرين ·

وفيه ثمانية مباحث :

المبحث الأول : تعريف البشارة والإنذار ·

المبحث الثاني : بشارة الملائكة لإبراهيم وزوجه سارة عليهما السلام.

المبحث الثالث : بشارة الملائكة للوط عليه السلام ·

عند غرقه .

المبحث الثالث : تأييد الملائكة طالوت .

المبحث الرابع : تأييد جبريل عيسى عليهما السلام .

المبحث الخامس : تأييد الملائكة النبي صلى الله عليه وسلم .

المبحث السادس : نصر الملائكة المؤمنين ، وإهلاكهم الكفار في معركة بدر.

المبحث السابع : نصر الملائكة المؤمنين ، وهزمهم الكفار في غزوة الأحزاب.

المبحث الثامن : نصر الملائكة المؤمنين ، وهزمهم الكفار في معركة حنين .

الفصل السادس : ابتلاء الله الناس بواسطة الملائكة .

وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : ابتلاء الله قوم لوط بواسطة الملائكة .

المبحث الثاني : ابتلاء الله أهل بابل بواسطة الملائكة .

المبحث الثالث : ابتلاء الله بني إسرائيل بواسطة جبريل عليه السلام .

الفصل السابع : كتابة الملائكة لأعمال الإنسان .

وفيه مبحثان :

المبحث الأول : كتابة الملائكة لأعمال جميع الناس .

المبحث الثاني : الحكمة من كتابة الأعمال .

الفصل الثامن : قيام الملائكة ببعض مصالح الإنسان الدنيوية ·

وفيه مبحثان :
المبحث الأول : حفظ الملائكة للإنسان ·
المبحث الثاني : سوق الملائكة للسحاب ·

الباب الثاني : علاقة الملائكة بالإنسان في الآخرة ·
وضمنته أربعة فصول :

الفصل الأول : وفاة الملائكة للإنسان ، ونعيم القبر وعذابه ·

وفيه ثلاثة مباحث :
المبحث الأول : الملائكة الموكلون بقبض روح الإنسان·
المبحث الثاني : وفاة الملائكة للمومنين ، وتنعيمهم لهم في القبور ·
المبحث الثالث : وفاة الملائكة للكفار ، وتعذيبهم لهم في القبور ·

الفصل الثاني : نفخ الملك في الصور ·

وفيه أربعة مباحث :
المبحث الأول : الملك الموكل بالنفخ في الصور ·
المبحث الثاني : معنى الصور ·
المبحث الثالث : نفخ إسرافيل في الصور النفخة الأولى ·

المبحث الرابع : نفخ إسرافيل في الصور النفخة الثانية .

الفصل الثالث : موقف الملائكة من الإنسان يوم القيامة.

وفيه أربعة مباحث :

المبحث الأول : تلقي الملائكة المؤمنين والكفار إذا خرجوا من قبورهم .

المبحث الثاني : شهادة الملائكة للمؤمنين وشهادتهم على الكفار .

المبحث الثالث : شفاعة الملائكة للمؤمنين .

المبحث الرابع : سوق الملائكة المؤمنين إلى الجنة ، والكفار إلى النار.

الفصل الرابع : علاقة الملائكة بالإنسان في الجنة والنار .

وفيه خمسة مباحث :

المبحث الأول : الملائكة الموكلون بالجنة والنار .

المبحث الثاني : فتح الملائكة أبواب الجنة للمؤمنين .

المبحث الثالث : فتح الملائكة أبواب النار للكفار ، وقذفهم فيها .

المبحث الرابع : تنعيم الملائكة المؤمنين في الجنة .

المبحث الخامس : تعذيب الملائكة الكفار في النار .

خامسا : الخاتمة .

وضمنتها أهم النتائج التي توصلت إليها من خلال

البحث .

سادسا : الفهارس .
وضمنتها ما يأتي :

١ـ فهرس للآيات المستشهد بها .
٢ـ فهرس للأحاديث .
٣ـ فهرس للأعلام المترجم لهم .
٤ـ فهرس للأبيات الشعرية .
٥ـ فهرس المصادر والمراجع .
٦ـ فهرس الموضوعات .

المنهج الذي سلكته أثناء البحث

لابد لكل باحث من طريقة ومصطلح يسير عليهما من أول البحث إلى آخره ، ولكي يعرف القارىء هذه المصطلحات فلابد من بيانها له .

وهي تتمثل فيما يلي :

١ـ أذكر المباحث أو المسائل مرتبة على حسب التاريخ فأذكر مثلا وحي الملائكة إلى إبراهيم ، ثم إلى لوط، ثم إلى النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ .

٢ـ إذا لم يكن هناك تاريخ فإني أبدأ بالعموم ، ثم بالأفضل ، ثم بمن دونه فمثلا أذكر حفظ الملائكة لجميع الناس، ثم حفظهم للرسل .

وأذكر سوق الملائكة المؤمنين إلى الجنة . ثم سوقهم الكفار إلى النار . إلا إذا كان هناك تلازم بين الفاضل ومن دونه فإني أذكرهما جميعا مبتدئا بالفاضل. مثلا أذكر نصر الملائكة المؤمنين في بدر مع تعذيبهم وإهلاكهم الكفار فيها في مبحث واحد .

٣ـ أكتب الآية أو الآيات التي أريد تفسيرها في أي مبحث على حسب ترتيب سور القرآن.

٤ـ أرقم الآيات المفسرة إذا وردت في أكثر من موضع.

٥ـ أذكر سبب نزول الآيات المفسرة إن وجد ثم أذكر معاني المفردات ، والقراءات ــــــ وخصوصا القراءات التي يترتب عليها اختلاف المعنى.

ثم أذكر المعنى الإجمالي للآيات المفسرة في كل مسألة ، وإن كان بين معانيها اختلاف جعلت معنى كل آية على حدة .

٦ـ أكتب جميع الآيات المفسرة والمستشهد بها على رسم المصحف وأعزوها إلى سورها .

٧ـ أعزو الأحاديث إلى كتبها ، فإن كان الحديث في الصحيحين ، أوفي أحدهما اكتفيت به . وإن كان في غيرهما حكمت عليه بالصحة أو الضعف حسب الطاقة ، وذلك : إما بذكر قول النقاد فيه ، أو بمتابعة السند ، أو بهما معا .

٨ـ أعزو كل أثر أو قول ، أو شعر إلى قائله .

٩ـ إذا كان في المسألة خلاف . فإني أبدأ بالقول الراجح أولا ، ثم أذكر الأقوال الأخرى ، ثم الترجيح .

١٠ـ إذا تكررت الآيات المفسرة مرتين أو أكثر ، فإني أكتفي بذكر معاني المفردات أول مرة وأعزو في المرات اللاحقة إليها ، مثل وحي الملائكة إلى زكريا وبشارتهم له .

١١ـ ترجمت للأعلام غير المشهورين ، أما المشهورون فإن شهرتهم تغني عن التعريف بهم . وهذا أمر نسبي يختلف من شخص لآخر .

التمهيد

يشتمل هذا التمهيد على القضايا التالية :

أ- تعريف الملائكة .

ب - تعريف الإنسان .

ج - عقائد الناس في الملائكة .

د - الملائكة المذكورون في القرآن ولهم علاقة بالإنسان .

هـ - الناس المذكورون في القرآن وللملائكة علاقة بهم .

و - صفات الملائكة في القرآن .

وهذا تفصيل الكلام على هذه القضايا حسب ترتيبها .

أ _ تعريف الملائكة :

الملائكة في اللغة : جمع ملك .

واختلف أهل اللغة من أي شيء اشتق ، على أربعة أقوال :

القول الأول : أنه مشتق من الألوكه ، وهي الرسالة لأنها تؤلك بالفم ، وأصله مألوك ، ثم قدمت اللام على الهمزة فقيل : ملأك كما قال الشاعر (١) :

فلستَ لإنسي ولكن لملأك   تنزل من جو السماء يَصُوبُ

ثم حذفت الهمزة لكثرة الاستعمال فصار ملك(٢).

ولما جمع عادت إليه الهمزة .

القول الثاني : أنه مشتق من لأك ، والملأكة : الرسالة، فحذفت الهمزة وألقيت حركتها على ما قبلها ، وسميت بها الملائكة ، لأنهم يبلغون رسالة الله عز وجل(٣).

القول الثالث : أنه من المِلْك والمُلْك وهو القوة والميم فيه أصلية وجمعه على ملائكة وملائك شاذ(٤).

القول الرابع : أنه لا اشتقاق له . والهاء لتأنيث الجمع ، أو للمبالغة كنسابة فهو معرب من اللغة العبرانية . ويؤيده أن التوراة سمت الملك مَلاَكًا(٥).

والملائكة في اصطلاح المسلمين : ذوات قائمة بأنفسها ، قادرة على التشكل بالقدرة الإلهية . لا يأكلون ولا يشربون . ولا ينكحون . يسبحون الليل والنهار لا يفترون . لا يعصون

١ـ هو رجل من عبد القيس ، جاهلي يمدح بعض الملوك . أو هو أبو وُجْزَة يمدح عبد الله بن الزبير . أو علقمة بن عبدة ، يمدح الحارث بن جبلة . وانظر اللسان ٤٩٦/١٠. وتاج العروس ١٨٢/٧ .

٢ ـ انظر تهذيب اللغة ٢٧٣/١٠ . ولسان العرب ٣٩٢/١٠ـ٣٩٤ .

٣ـ انظر لسان العرب ٤٨١/١٠ـ٤٨٢ . وتاج العروس ١٧٣/٧.

٤ـ انظر المفردات ٤٧٣ . ولطائف ذوي التمييز ٥٢٤/٤. وتاج العروس ١٨٢/٧.

٥ـ انظر تفسير القرطبي ٢٦٣/١. والتحرير والتنوير ٣٩٨/١.

الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون(١).

ب ـ تعريف الإنسان :

الإنسان في اللغة : يطلق على الواحد من الناس ويطلق على جنس الناس . أو على بعضهم على حسب السياق. واختلف أهل اللغة من أي شيء اشتق على قولين .

القول الأول : أنه مشتق من النسيان ، وأصله إنسيان على وزن إفعلان مثل إضحيان . فحذفت الياء تخفيفًا لكثرة الاستعمال فصار إنسان(٢) .

القول الثاني : أنه مشتق من الأنس ، وأصله إنسيان على وزن فعليان مثل حرصيان ، ثم حذفت الياء فصار إنسان(٣). والمراد بالإنسان هنا : جميع البشر : مؤمنهم وكافرهم ، ذكرهم وأنثاهم ، صغيرهم وكبيرهم .

ج ـ عقائد الناس في الملائكة :

لما كان البحث عن علاقة الملائكة بالإنسان رأيت من المناسب أن أبين عقائد الناس في الملائكة .

فأقول : اختلف اعتقاد الناس في الملائكة على سبعة أقوال وهي على النحو التالي :

أولا : عقيدة المسلمين في الملائكة

الإيمان بالملائكة عندنا نحن المسلمين ركن من أركان

١ـ انظر لوامع الأنوار البهية ٤٤٦/١ـ٤٤٧ . ومعارج القبول ٧٧/٢.
٢ـ انظر الصحاح ٩٠٥/٣. ولسان العرب ١٠/٦ـ١١.
٣ـ انظر لسان العرب ١١/٦ . والمصباح المنير ١٠.

الإيمان إذ لا يعتبر الشخص مؤمناً إلا إذا آمن بهم . فنؤمن بوجودهم ، وأنهم خلق من خلق الله ، لا يعصون الله ما أمرهم ، ويفعلون ما يؤمرون . ونؤمن بما ذكر في الكتاب والسنة من أفرادهم وأعمالهم وصفاتهم على وجه التفصيل وما لم يذكر نؤمن به على سبيل الإجمال(١). قال تعالى " ءامن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل ءامن بالله وملٰئكته وكتبه ورسله "(٢).

ثانيا : عقيدة اليهود في الملائكة .

تنقسم عقيدة اليهود في الملائكة إلى قسمين :

القسم الأول : يؤمنون بالملائكة كإيمان المسلمين تماماً .

القسم الثاني : يؤمنون بالملائكة لكنهم يعادون أفضلهم وأكرمهم وهو جبريل عليه السلام . ويدل لهذا حديث ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال : أقبلت يهود إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقالوا : يا أبا القاسم إنا نسألك عن خمسة أشياء فإن أنبأتنا بهن عرفنا أنك نبي واتبعناك . فأخذ عليهم ما أخذ إسرائيل على بنيه ، إذ قالوا : الله على ما نقول وكيل ـ فسألوه أسئلتهم وفي السؤال الخامس ـ قالوا: فأخبرنا عن صاحبك . قال: جبريل عليه السلام قالوا : جبريل ذاك الذي ينزل بالحرب والقتال والعذاب عدونا ، لو قلت: ميكائيل الذي ينزل بالرحمة والنبات والقطر لكان . فأنزل الله عز وجل " من كان عدواً لجبريل "(٣) إلى آخر الآية(٤).

وفي صحيح البخاري أن عبد الله بن سلام قال للنبي

١ـ انظر المنهاج في شعب الإيمان ٣٠٢/١ـ٣٠٤. ولوامع الأنوار البهية ٤٤٦/١ـ٤٤٧ . ومعارج القبول ٧٦/٢ـ٩١ . وتفسير المنار ٢٥٤/١ـ٢٥٩.

٢ـ البقرة ٢٨٥ .

٣ـ البقرة : ٩٧.

٤ـ أخرجه أحمد ٢٧٤/١. والترمذي ٢٩٤/٥. وهو حديث صحيح. وانظر ص ٧٤

- صلى الله عليه وسلم - عن جبريل ذاك عدو اليهود من الملائكة فقرأ - الرسول صلى الله عليه وسلم - "من كان عدوًا لجبريل فإنه نزله على قلبك"(١)... الحديث (٢).

ثالثا : عقيدة النصارى في الملائكة .

افترقت النصارى في الإيمان بالملائكة على ثلاث فرق :

الفرقة الأولى : آمنت بجبريل عليه السلام ، وأنه نزل على مريم ليهب لها عيسى عليه السلام .

ففي إنجيل متى - في الحديث عن ولادة المسيح - " ثم نجد ملاك الرب يجيء إلى يوسف في حلم ويقول له : يا يوسف بن داود ، لا تخف أن تأخذ مريم امرأتك ، لأن الذي حُبل به فيها هو من روح القدس ".

وفي إنجيل لوقا " أُرسِل جبريل الملاك من الله إلى مدينة من الجليل اسمها ناصرة ، إلى عذراء مخطوبة لرجل من بيت داود اسمه يوسف ، واسم العذراء مريم ... فقال لها الملاك : لا تخافي يا مريم لأنك قد وجدت نعمة من الله ، وها أنت ستحبلين وتلدين ابنًا"(٣).

الفرقة الثانية : تعتقد أن جبريل عليه السلام ثالث ثلاثة : الأب والابن وروح القدس ، فتعتبر جبريل أحد أجزاء الإله على زعمهم(٤). تعالى الله عما يقولون علوًا كبيرًا.

الفرقة الثالثة : تعتقد أن الملائكة أرواح البشر الصافية ، وقواها الصالحة(٥).

١- البقرة ٩٧.
٢- أخرجه البخاري ٥/١٤٨-١٤٩.
٣- انظر كتاب المسيح في القرآن والتوراة والإنجيل ٢٣٣-٢٣٦ ولم أقف على عقيدة هؤلاء في غير جبريل عليه السلام ولكن من كان منهم على الدين الصحيح فلابد أن يؤمن بجميع من أخبره الله به من الملائكة.
٤- نفس المصدر السابق.
٥- انظر مجموع فتاوى ابن تيمية ٤/٢٥٩. وتفسير أبي السعود ١/٨٠. والجواهر ١/٥٦.

رابعا : عقيدة الفلاسفة في الملائكة

اختلف الفلاسفة في الملائكة على قولين :

القول الأول : يعتقدون أن الملائكة أرواح البشر الصافية(١).

القول الثاني : أن الملائكة هي السُمِدَةُ لنفوسنا الطاقة، ونسبتها إليها كنسبة الشمس إلى ضوئها ، وهناك ملائكة مستغرقة في معرفة الله ، ونسبتها إلى الأولى كنسبة الأولى إلى نفوسنا(٢).

خامسا عقيدة بعض عبدة الأوثان في الملائكة

يعتقد بعض عبدة الأوثان : أن الملائكة هي الحقيقة في هذه الكواكب الموصوفة بالإسعاد والإنحاس . فإنها ـ بزعمهم ـ أحياء ناطقة ، فالمسعدات ملائكة الرحمة ، والمنحسات ملائكة العذاب(٣).

سادسا : عقيدة معظم المجوس الثنوية(٤) في الملائكة

يعتقد هؤلاء : أن الملائكة عنصر النور في هذه الحياة، إذ أنها تتولد من النور ، ولكن لا على سبيل التناكح ولكن على سبيل تولد الضوء من المضيء(٥).

١ـ المصدر السابق.

٢ـ انظر تفسير الرازي ١٦٠/٢ـ١٦١. والجواهر ٥٧/١.

٣ـ انظر تفسير الرازي ١٦٠/٢. وأبي السعود ٨٠/١ـ٨١.

٤ـ الثنوية : هم الذين يعتقدون أزلية النور والظلمة . وانظر الملل والنحل للشهرستاني ٨٠/٢.

٥ـ انظر تفسير الرازي ١٦٠/٢. والجواهر ٥٦/١.

سابعا : عقيدة بعض مشركي العرب(١) في الملائكة

يعتقد بعض مشركي العرب : أن الملائكة بنات الله ـ تعالى الله عن قولهم علوًا كبيرًا ـ فألهوهم وعبدوهم من دون الله وقد بين الله هذا بقوله ﴿ ويجعلون لله البنٰت سبحٰنه ولهم ما يشتهون ﴾(٢).

وقال سبحانه ﴿ وجعلوا الملٰئكة الذين هم عباد الرحمٰن إنٰثا أشهدوا خلقهم ستكتب شهٰدتهم ويسئلون وقالوا لو شاء الرحمٰن ما عبدنٰهم ما لهم بذٰلك من علم إن هم إلا يخرصون ﴾(٣).

وهذه الأقوال سوى القول الأول ـ وما وافقه ـ واضحة البطلان

أما قول بعض اليهود ، فقد رده الله عليهم بقوله ﴿من كان عدوًا لجبريل فإنه نزله على قلبك بإذن الله ﴾(٤)، فجبريل عليه السلام نزل بالوحي على الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهو بهذا مطيع لله تعالى ومنفذ لأوامره . فمن كرهه لعمله فلابد أن يكره مرسله وهو الله سبحانه وتعالى .

وأما إنكار بعض النصارى والفلاسفة ، وبعض عبدة الأوثان ، والمجوس ، والثنوية للملائكة يجاب عنه بالدليل النقلي والعقلي .

فمن النقل قوله سبحانه وتعالى ﴿ وقالوا اتخذ الرحمٰن ولدًا سبحٰنه بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يشفعون إلا لمن ارتضىٰ وهم من خشيته مشفقون ومن يقل منهم إني إله من دونه

---

١ ـ قال القرطبي ١٣٣/١٥ هم : جهينة ، وخزاعة ، وبنو مُلَيْح ، وبنو سلمة ، وعبد الدار.

٢ـ النحل ٥٧ .

٣ـ الزخرف ١٩ـ٢٠.

٤ـ البقرة ٩٧ .

فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزي الظلمين ﴾(١).

ففي هذه الآيات أوصاف للملائكة ، وأنهم عباد مكرمون، وأنهم يعملون بأوامر الله ، وأنهم لا يشفعون إلا لمن رضي الله عنه ، وأنهم خائفون من الله . ولازم هذه الصفات أنهم خلق من خلق الله ، وأنهم عقلاء يعلمون ماذ يفعلون وماذا يتركون .

ومن العقل : أن كل عاقل آمن بوجود عقله ، وروحه ، ولم يرهما . ولكنه علم أثرهما ، فكذلك الملائكة قد ظهر أثرها في تدبير العالم ، ووفاة الإنسان ، ونزولهم بالوحي والنصر كما سيأتي بيانه في مواضعه إن شاء الله تعالى.

وكذلك الهواء لا يُرى بالعين ، ولكن تحرك الأشجار ، وظهور الغبار ، دليل عليه ، فكذلك الملائكة ظهرت آثارها(٢).

وأما زعم بعض مشركي العرب أنهم بنات الله .

فقد أجاب الله عن هذا الافتراء في عدة مواضع من كتابه الكريم ،

فمن ذلك قوله تعالى ﴿ فاستفتهم ألربك البنات ولهم البنون أم خلقنا الملئكة إنثا وهم شهدون ألا إنهم من إفكهم ليقولون ولد الله وإنهم لكذبون أصطفى البنات على البنين ما لكم كيف تحكمون أفلا تذكرون أم لكم سلطن مبين فأتوا

١- الأنبياء ٢٦-٢٩.

٢- انظر الإيمان بالملائكة ص-٦.

بكتٰبكم إن كنتم صٰدقين ﴾(١).

وقوله تعالى ﴿ أم اتخذ مما يخلق بنات وأصفٰكم بالبنين وإذا بشر أحدهم بما ضرب للرحمٰن مثلاً ظل وجهه مسوداً وهو كظيم أو من ينشؤا في الحلية وهو في الخصام غير مبين وجعلوا الملٰئكة الذين هم عبٰد الرحمن إنٰثاً أشهدوا خلقهم ستكتب شهٰدتهم ويسئلون ﴾(٢).

ففي هذه الآيات رد لكل دعوى ادعاها المشركون في جعلهم الملائكة بنات لله تعالى وعبادتهم إياهم من دون الرب عز وجل ، ويوضح ذلك ما قاله الفخر الرازي : " واعلم أن كلامهم يشتمل على أمرين :

١ـ إثباتهم البنات لله ، وذلك باطل ، لأن العرب يستنكفون من البنت والشيء الذي يستنكف منه المخلوق ، كيف ينسب للخالق ولهذا قال تعالى ﴿ ويجعلون لله ما يكرهون وتصف ألسنتهم الكذب ﴾(٣) وقال سبحانه ﴿ وإذا بشر أحدهم بما ضرب للرحمٰن مثلاً ظل وجهه مسوداً وهو كظيم﴾(٤).

٢ـ إثباتهم أن الملائكة إناث : وهذا باطل أيضاً لأن طريق العلم إما الحس ، وإما الخبر ، وإما النظر .

١ـ الصافات ١٤٩ـ١٥٧.
٢ـ الزخرف ١٦ـ١٩.
٣ـ النحل ٦٢.
٤ـ الزخرف ١٧.

أما الحس : فمفقود ههنا ، لأنهم ما شاهدوا كيفية خلق الله الملائكة ، وهو المراد بقوله تعالى ﴿ أم خلقنا الملٰئكة إنٰثاً وهم شٰهدون ﴾(١) وقوله سبحانه ﴿ أشهدوا خلقهم ستكتب شهٰدتهم ويسئلون ﴾(٢).

وأما الخبر : فمفقود أيضا ، لأن الخبر إنما يفيد العلم إذا كان صدقاً ، وهؤلاء كذابون أفاكون . وهو المراد بقوله سبحانه ﴿ ألا إنهم من إفكهم ليقولون ولد الله وإنهم لكٰذبون ﴾(٣).

وأما النظر : فمفقود ، وبيانه من وجهين :

الأول : أن العقل يقتضي فساد هذا المذهب ، لأن الله أكمل الموجودات ، والأكمل لا يليق به اصطفاء الأدنى . وهو المراد بقوله ﴿ أصطفى البنات على البنين ما لكم كيف تحكمون ﴾(٤). يعني إسناد الأفضل إلى الأفضل أقرب عند العقل من إسناد الأدنى إلى الأفضل ، فإن كان حكم العقل معتبرًا في هذا الجانب كان قولكم باطلاً .

الثاني : أن نترك الاستدلال على فساد مذهبهم . ونطالبهم بإثبات الدليل الدال على صحته . فإن لم يجدوا ذلك الدليل ، فضده يظهر ، وأنه لم يوجد ما يدل على صحة قولهم، وهذا هو المراد بقوله سبحانه ﴿ أم لكم سلطٰن مبين فأتوا

١ـ الصافات ١٥٠.
٢ـ الزخرف ١٩.
٣ـ الصافات ١٥١ـ ١٥٢.
٤ـ الصافات ١٥٣ـ ١٥٤.

بكتٰبكم إن كنتم صٰدقين ﴾(١).

فثبت بما ذكرنا أن القول الذي ذهبوا إليه لم يدل على صحته لا الحس ، ولا الخبر ، ولا النظر ، فكان المصير إليه باطلاً قطعًا(٢).

د ـ الملائكة المذكورون في القرآن ، ولهم علاقة بالإنسان .

إن عدد الملائكة كثير جداً ، ومما يدل على كثرتهم الأحاديث التالية :

١ـ أخرج مسلم في صحيحه عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه قال " يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام ، مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها "(٣)أي أربعة آلاف وتسع مئة مليون ملك.

٢ـ أخرج مسلم عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ لما ذكر صعوده إلى السماء السابعة وسلامه على إبراهيم عليه السلام ـ قال : " ثم رفع لي البيت المعمور فقلت يا جبريل : ما هذا ؟ قال: هذا البيت المعمور يدخله كل يوم سبعون ألف ملك ، لا يعودون إليه "(٤).

٣ـ وعن أبي ذر ـ رضي الله عنه ـ قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ " إني أرى ما لا ترون واسمع

١ـ الصافات ١٥٦ـ١٥٧.
٢ـ انظر تفسير الرازي ١٦٧/٢٦ـ١٦٨ بتصرف .
٣ـ أخرجه مسلم ٢١٨٤/٤.
٤ـ أخرجه مسلم ١٤٦/١، ١٥٠ ، من حديث الإسراء الطويل.

٤ـ الملائكة الذين جاءوا مع جبريل الى إبراهيم ولوط عليهما السلام .

٥ـ الملائكة الذين حملوا التابوت إلى بني إسرائيل تأييدًا لطالوت .

٦ـ الملائكة الذين نصروا المؤمنين في بدر .

٧ـ الملائكة الذين نصروا المؤمنين في الأحزاب .

٨ـ الملائكة الذين نصروا المؤمنين في حنين .

٩ـ الملائكة الموكلون بحفظ الإنسان .

١٠ـ الملائكة الموكلون بكتابة أعمال الإنسان .

١١ـ الملائكة الموكلون بالسحاب ليسوقوه حيث شاء الله ، وهم أعوان ميكائيل.

١٢ـ الملائكة الموكلون بوفاة الإنسان ، وهم أعوان ملك الموت عليهم السلام.

١٣ـ الملائكة الموكون بسؤال العبد في قبره ، وتنعيمه أو تعذيبه .

١٤ـ الملك الموكل بالنفخ في الصور .

١٥ـ الملائكة الموكلون باستقبال المؤمنين والكفار إذا خرجوا من قبورهم.

١٦ـ الملائكة الموكلون بالجنة وأهلها .

١٧ـ الملائكة الموكلون بالنار وأهلها ، وهم أعوان مالك عليه السلام(١).

١ـ ذكرت هؤلاء الملائكة باختصار . وسيأتي شرح ذلك وتفصيله أثناء البحث .

هـ ـ الناس المذكورون في القرآن ، وللملائكة علاقة بهم .

إن الناس خلق كثير لا يحصيهم إلا خالقهم سبحانه وتعالى . ويبين كثرتهم ما يأتي :

١ـ كثرة سكان العالم اليوم إذ يبلغون أكثر من أربعة آلاف مليون فردا،فما بالك بمن مضى من الأمم ومن سيأتي منهم إلى أن تقوم الساعة .

٢ـ كثرة يأجوج ومأجوج وهم من بني آدم .

٣ـ كثرة من يدخل الجنة من الناس ، وهم واحد من كل ألف ويبين هذين ما ثبت في الصحيحين عن أبي سعيد قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ "يقول الله عز وجل : يا آدم . فيقول : لبيك وسعديك والخير في يديك . قال: يقول : أخرج بعث النار . قال : وما بعث النار. قال : من كل ألف تسع مئة وتسعة وتسعين . قال: فذاك حين يشيب الصغير ، وتضع كل ذات حمل حملها ، وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد . قال: فاشتد ذلك عليهم . قالوا: يا رسول الله أيُنا ذلك الرجل ؟ فقال: أبشروا فإن من يأجوج ومأجوج ألفا ، ومنكم رجل . قال: ثم قال : والذي نفسي بيده إني لأطمع أن تكونوا ثلث أهل الجنة فحمدنا الله وكبرنا ثم قال والذي نفسي بيده إني لأطمع أن تكونوا شطر أهل الجنة ، إن مثلكم في الأمم كمثل الشعرة البيضاء في جلد الثور الأسود، أو كالرَّقْمَةِ(١) في ذراع

١ـ الرَّقْمَة : الهَنَة الناتئة في ذراع الحمار وله رقمة في كل ذراع . وانظر النهاية في غريب الحديث ٢/٢٥٤.

الحمار(١)».

والذي أريد أن أتكلم عنهم : الناس المذكورون في القرآن وللملائكة علاقة بهم .

وسيكون الكلام على قسمين :

القسم الأول : من ذكر من الناس باسمه(٢).

١ـ آدم عليه السلام : حيث سجدت له الملائكة .

٢ـ٣ـ إبراهيم عليه السلام وزوجه سارة : حينما نزلت الملائكة ضيوفاً على إبراهيم وبشروه بإسحاق ، وبشروا زوجه بإسحاق ومن بعده يعقوب .

٤ـ لوط عليه السلام: إذ نزلت عليه الملائكة لينجوه ويهلكوا قومه.

٥ـ فرعون: حينما عذبه جبريل عليه السلام عند غرقه .

٦ـ طالوت عليه السلام: حينما حملت الملائكة التابوت تأييداً له .

٧ـ زكريا عليه السلام: وذلك أن الملائكة بشرته بيحيى عليه السلام .

٨ـ مريم: إذ نزل عليها جبريل عليه السلام ليهب لها عيسى عليه السلام.

٩ـ عيسى عليه السلام: حينما أيده الله بجبريل عليه السلام .

١٠ـ النبي صلى الله عليه وسلم: إذ نزل جبريل عليه بالقرآن .

القسم الثاني : من لم يذكر باسمه ، بل ذكر مع غيره

١ـ أخرجه البخاري ١٩٦/٧. ومسلم ٢٠١/١ـ٢٠٢.

٢ـ وسأذكرهم مرتبين حسب التاريخ.

إجمالاً وهم :

١ـ جميع الناس:وذلك أن الملائكة تحفظهم ، وتكتب جميع أعمالهم .

٢ـ المؤمنون:لأن الملائكة تستغفر لهم .

٣ـ الرسل:لأن الملائكة تحفظهم حتى يؤدوا رسالة الله.

٤ـ الكفار:وذلك أن الملائكة تلعنهم .

٥ـ قوم لوط:لأن الملائكة أهلكتهم .

٦ـ٧ـ أهل بابل ، وقوم موسى:إذ ابتلاهم الله بواسطة الملائكة.

٨ـ المنافقون:إذ تكتب الملائكة أعمالهم .

٩ـ١٤ـ المؤمنون ، والكفار الذين شهدوا معركة بدر والأحزاب وحنين : إذ أن الملائكة نصرت المؤمنين في هذه المعارك ، وهزمت الكافرين .

١٥ـ١٦ـ المرتدون ، والذين يكتمون ما أنزل الله من البينات:إذ أن الملائكة تلعنهم(١).

١ـ ذكرت هؤلاء باختصار ، وسيأتي بيان ذلك بالتفصيل أثناء البحث

و ـ صفات الملائكة في القرآن

ذكر الله سبحانه وتعالى في القرآن صفات عظيمة وجليلة لملائكته عليهم السلام . وسيكون الكلام في هذه المسألة على قسمين :

القسم الأول : صفات الملائكة إجمالاً .

ذكر الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز صفات تشترك فيها جميع الملائكة.

وهذه الصفات هي :

١ـ أنهم يشهدون لله بالوحدانية . قال تعالى ﴿ شهد الله أنه لا إلٰه إلا هو والملٰئكة وأولوا العلم قآئمًا بالقسط لا إلٰه إلا هو العزيز الحكيم ﴾(١) .

٢ـ أنهم يشهدون بما أنزل الله على النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ من الوحي. قال تعالى ﴿ لٰكن الله يشهد بما أنزل إليك أنزله بعلمه والملٰئكة يشهدون وكفىٰ بالله شهيداً ﴾(٢)
.

٣ـ أنهم يتبرأون من الذين عبدوهم . قال تعالى ﴿ويوم يحشرهم جميعًا ثم يقول للملٰئكة أهٰؤلاء إياكم كانوا يعبدون قالوا سبحٰنك أنت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن أكثرهم بهم مؤمنون ﴾(٣).

٤ـ أنهم يعبدون الله دائما ، لا يملون ولا يتعبون من عبادته . قال تعالى ﴿ وله من في السمٰوٰت والأرض ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون يسبحون الليل والنهار

١ـ آل عمران ١٨.
٢ـ النساء ١٦٦.
٣ـ سبأ ٤٠ـ٤١.

لا يفترون ﴾(١).

٥- أنهم لا يعصون الله ما أمرهم، ويفعلون ما يؤمرون. قال تعالى ﴿ لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون﴾(٢).

٦- شدة خوفهم من الله عز وجل . قال تعالى ﴿ يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون﴾(٣). وقال سبحانه ﴿ وهم من خشيته مشفقون ﴾(٤).

٧- أنهم عباد مكرمون . قال تعالى ﴿ وقالوا اتخذ الرحمٰن ولداً سبحٰنه بل عباد مكرمون ﴾(٥).

٨-٩- أن لكل واحد منهم رسالة وكله الله بها . ولهم أجنحة ، الله أعلم بعددها(٦). قال تعالى ﴿ الحمد لله فاطر السمٰوٰت والأرض جاعل الملٰئكة رسلاً أولى أجنحة مثنىٰ وثلٰث وربٰع يزيد فى الخلق ما يشاء إن الله علىٰ كل شىء قدير ﴾(٧).

١٠- أنهم لا يوصفون بأنوثة ولا ذكورة :

أما صفة الأنوثة : فقد نفاها الله عنهم بقوله ﴿ وجعلوا الملٰئكة الذين هم عبٰد الرحمٰن إنٰثا أشهدوا خلقهم ستكتب شهٰدتهم ويسئلون ﴾(٨).

وأما الذكورة : فإنها تقابل الأنوثة ، فلما انتفت تلك انتفت هذه فكل ذكر لابد أن يكون من جنسه أنثى وليس من

١- الأنبياء ١٩-٢٠.
٢- الأنبياء ٢٧.
٣- النحل ٥٠.
٤- الأنبياء ٢٨.
٥- الأنبياء ٢٦.
٦- فمنهم من له جناحان ، ومنهم من له ثلاثة ، ومنهم من له أربعة . وأخرج البخاري ٥١/٦ ومسلم ١٥٨/١ عن عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - قال : "رأى النبي صلى الله عليه وسلم جبريل له ستمائة جناح".
٧- فاطر ١.
٨- الزخرف ١٩.

الملائكة أنثى فينتفي ما يقابلها .

فعلى هذا لا يتناكحون ولا يتناسلون .

القسم الثاني : الصفات الخاصة ببعض الملائكة وهم :

١ـ جبريل عليه السلام :

وصف الله سبحانه وتعالى جبريل عليه السلام بعدة صفات .

فمن ذلك :

أولا : أنه صاحب قوة .

ثانيا : أنه ذو مكانة عند الله تعالى .

ثالثا : أنه مطاع من قبل الملائكة .

رابعا : أنه أمين على كل ما وكل إليه .

خامسا : أنه ذو منظر حسن .

ويجمع هذه الصفات قوله تعالى ﴿ إنه لقول رسول كريم ذى قوة عند ذى العرش مكين مطاع ثم أمين ﴾(١) وقوله تعالى ﴿ علمه شديد القوىٰ ذو مرة فاستوىٰ ﴾(٢).

٢ـ الكرام الكاتبون :

ذكر الله سبحانه وتعالى للملائكة الذين يكتبون الأعمال صفات منها :

أولًا : أنهم رقباء لا يفوتهم شيء .

ثانيًا : أنهم معدون لهذا العمل .

والدليل على ذلك قوله تعالى ﴿ ما يلفظ من قول إلا

١ـ التكوير ١٩ـ٢١.

٢ـ النجم ٥ـ٦

لديه رقيب عتيد ﴾(١).

ثالثًا : أنهم يعلمون جميع ما يعمله الإنسان .

رابعًا : أنهم يحفظون جميع أعمال بني الإنسان .

والدليل على ذلك قوله تعالى ﴿ وإن عليكم لحٰفظين كرامًا كٰتبين يعلمون ما تفعلون ﴾(٢).

٣ـ خزنة جهنم :

وصف الله سبحانه وتعالى خزنة جهنم بعدة صفات ، فمن ذلك :

أولاً : أنهم غلاظ في أخلاقهم ومعاملتهم

ثانيًا : أنهم شداد في تعذيبهم الكفار .

ويجمع هذين الوصفين قوله تعالى ﴿ عليها ملٰئكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ﴾(٣).

٤ـ الموكلون بقبض روح الإنسان :

وصف الله الملائكة الموكلين بقبض روح الإنسان أنهم لا يقصرون في كل ما وكل إليهم ، والدليل على ذلك قوله تعالى ﴿ حتى إذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا وهم لا يفرطون ﴾(٤).

١ـ ق ١٨.
٢ـ الانفطار : ١٠ـ١٣.
٣ـ التحريم ٦.
٤ـ الأنعام ٦١ .

الباب الأول

علاقة الملائكة بالإنسان في الدنيا

وفيه ثمانية فصول ·

الفصل الأول : بداية العلاقة بين الملائكة والإنسان ·

الفصل الثاني : نزول الملائكة بالوحي ·

الفصل الثالث : بشارة الملائكة للمؤمنين ، وإنذارهم الكافرين ·

الفصل الرابع : دعاء الملائكة للمؤمنين ، ولعنهم الكافرين ·

الفصل الخامس : نصر الملائكة وتأييدهم المؤمنين ، وإهلاكهم وتعذيبهم الكافرين ·

الفصل السادس : ابتلاء الله الناس بواسطة الملائكة ·

الفصل السابع : كتابة الملائكة لأعمال الإنسان ·

الفصل الثامن : قيام الملائكة ببعض مصالح الإنسان الدنيوية ·

وهذا تفصيل الكلام عن هذه الفصول حسب ترتيبها ·

الفصل الأول : بداية العلاقة بين الملائكة والإنسان .

وفيه مبحثان :

المبحث الأول : كيف نشأت هذه العلاقة ؟

المبحث الثاني : سجود الملائكة لآدم عليه السلام .

وهذا تفصيل الكلام عن هذين المبحثين .

المبحث الأول : كيف نشأت هذه العلاقة ؟

نشأت العلاقة بين الملائكة والإنسان قبل أن يخلق الله آدم عليه السلام، وذلك عندما أخبر الله عز وجل ملائكته بأنه سيجعل الإنسان خليفة في الأرض . قال تعالى ﴿ وإذ قال ربك للملئكة إنى جاعل فى الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال إنى أعلم ما لا تعلمون﴾(١).

معاني المفردات :

جاعل : أي خالق فيتعدى إلى مفعول واحد . وهو ﴿خليفة﴾ أو بمعنى مُصيِّر ، فيتعدى إلى مفعولين ، وهما ﴿ في الأرض ﴾ و ﴿ خليفة ﴾ (٢).

خليفة : هو آدم وذريته ، وسمى آدم خليفة : لأنه يخلف الله عز وجل في تنفيذ أحكامه ، أو أنه خلف الجن الذين سكنوا الأرض قبله وسميت ذريته خليفة: لأن بعضهم يخلف بعضاً في عمارة الأرض(٣).

نسبح بحمدك : ننزهك ونبرؤك عن كل نقص وعيب(٤).

نقدس لك : نطهرك ونعظمك(٥).

معنى الآية .

ذكر الله تعالى في هذه الآية أنه لما أخبر الملائكة بخلق آدم عليه السلام، وبجعله هو وذريته خلفاء في الأرض ،

١- البقرة ٣٠ .
٢- انظر الكشاف ٦١/١. والقرطبي ٢٦٣/١ . والبحر المحيط ١٤٠/١.
٣- وانظر هذه الأقوال في تفسير الرازي ١٦٥/٢-١٦٦. والقرطبي ٢٦٣/١. وابن كثير ٧٠/١.
٤- انظر تفسير الطبري ٤٧٤/١ "تحقيق شاكر" وابن كثير ٧٠/١.
٥- انظر تفسير الطبري ٤٧٥/١ "تحقيق شاكر" والقرطبي ٢٧٧/١ وابن كثير ٧٠/١.

قالت الملائكة : ﴿ أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء﴾(١).

فإن قيل كيف عرفت الملائكة أن من هؤلاء من يفسد في الأرض ، ويسفك الدماء؟

يجاب عن ذلك بما يأتي :

أولاً : أنهم قاسوهم على من كان قبلهم من الجن ، كما ورد ذلك عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ أنه قال : " لقد أخرج الله آدم من الجنة قبل أن يَدْخُلها أحد . قال الله تعالى : ﴿ إنى جاعل في الارض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ﴾(٢). وقد كان فيها قبل أن يُخْلق بألفي عام الجن ، فأفسدوا في الأرض ، وسفكوا الدماء ، فلما قال الله ﴿ إنى جاعل فى الارض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء﴾(٣) يعنون الجن ، فلما أفسدوا في الارض بعث عليهم جنوداً من الملائكة فضربوهم حتى ألحقوهم بجزائر البحور قال: فقالت الملائكة ﴿ أتجعل فيها من يفسد فيها ﴾(٤) كما فعل أولئك الجن . فقال الله ﴿ إنى أعلم ما لا تعلمون﴾(٥).

ثانيا : أنه عِلْمٌ علمه الله إياهم . كما قال ذلك الحسن

١- البقرة ٣٠.
٢- البقرة ٣٠.
٣- البقرة ٣٠.
٤- البقرة ٣٠.
٥- الاثر أخرجه الحاكم في المستدرك ٢٦١/٢، وصححه ووافقه الذهبي . وروى ابن أبي حاتم ١٠٩/١ نحوه عن عبد الله بن عمرو ، وإسناده صحيح كما قال المحقق .

البصري(١) وقتادة(٢).

وهذا الاستفهام من الملائكة ليس على وجه الاعتراض لأنهم لا يسبقونه بالقول. وإنما هو استفهام للتعلم ، واستكشاف الحكمة من ذلك(٣).

عند ذلك أخبرهم الله بالسر في ذلك فقال ﴿ إني أعلم ما لا تعلمون ﴾(٤).

فالله يعلم المصلحة الراجحة في كون آدم عليه السلام خليفة في الأرض ، ومن ذلك ما سيكون من ذريته من الرسل ، والأنبياء ، والصديقين ، والشهداء ، وغيرهم من أهل الإيمان .

١- هو الحسن بن أبي الحسن البصري. كان رأسًا في العلم والعمل . روى عن أنس ، وجابر ، وابن عباس ، وغيرهم . وعنه أيوب السختياني ، وحميد الطويل ، وخلق سواهم (ت ١١٠) وانظر تهذيب الكمال ٦/٩٥ـ١٢٨. وطبقات المفسرين ١/١٥٠ـ١٥١.

٢- هو قتادة بن دعامة السدوسي . الحافظ المفسر . روى عن أنس ، وابن المسيب ، والحسن البصري ، وغيرهم. وعنه أيوب السختياني ، ومعمر ، والأوزاعي ، وغيرهم . (ت ١١٨، وقيل ١١٧) . وانظر سير أعلام النبلاء ٥/٢٦٩ـ٢٨٣. وطبقات المفسرين ٢/٤٧ـ٤٨. والأثران عن الحسن ، وقتادة أخرجهما الطبري ١/٤٦٤ـ٤٦٥. تحقيق شاكر . وابن أبي حاتم ١/١١٠ـ١١١.

٣- وانظر تفسير الطبري ١/٤٦٩ـ٤٧٠. تحقيق شاكر . وابن كثير ١/٧٠.

٤- البقرة ٣٠.

أمر الله سبحانه وتعالى الملائكة أن يسجدوا لآدم بعد نفخ الروح فيه . وقد تعدد الآيات في هذا المعنى فمن ذلك :

١ـ قوله سبحانه وتعالى ﴿ وإذ قلنا للملٰئكة اسجدوا لادم فسجدوا إلا إبليس أبىٰ واستكبر وكان من الكٰفرين ﴾(١).

معاني المفردات

آدم : مأخوذ من أديم الارض ، الذي هووجهها لأن آدم خلق منه .

أو هو اسم أعجمي غير مشتق(٢). وقد عربته العرب .

إبليس : على وزن إفعيل ، مأخوذ من الإبلاس ، وهو الإياس من الخير والندم والحزن ، أو هو اسم أعجمي غير مشتق(٣).

٢ـ وقوله سبحانه ﴿ ولقد خلقنٰكم ثم صورنٰكم ثم قلنا للملٰئكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس لم يكن من السٰجدين ﴾(٤).

معاني المفردات

صورناكم : أي جعلناكم على أحسن صورة ، وأحسن تقويم ، وهي صور البشر(٥).

واختلف المفسرون في المُصَوَّر على قولين :

١ـ البقرة ٣٤.
٢ـ انظر إعراب ما من به الرحمن للمكبري ٢٨/١ـ٢٩. والفتوحات الإلهية ٤٠/١.
٣ـ انظر مجاز القرآن لأبي عبيدة ٣٨/١. وإعراب القرآن للنحاس ٢١٢/١ـ٢١٣.
٤ـ الأعراف ١١.
٥ـ انظر تفسير ابن كثير ٢٠٣/٢، والسعدي ٥/٣.

القول الأول : أنه آدم عليه السلام : خلقه الله ثم جعله في أحسن صورة . وهذا اختيار الطبري ، والرازي ، وابن كثير ، وأبي السعود(١). واستدلوا بما يأتي :

١ـ سياق الآية : وذلك أن الله خلق آدم ، ثم جعله على هذه الصورة الحسنة ، ثم أمر الملائكة بالسجود له . وإنما قيل ذلك بالجمع لأنه أبو البشر .

٢ـ أن هذه الآية مثل قوله تعالى لليهود الذين على عهد النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ﴿ وظللنا عليكم الغمام وأنزلنا عليكم المن والسلوى ﴾(٢) والمراد آباؤهم الذين كانوا في زمن موسى عليه السلام ، ولكن لما كان ذلك منة على الآباء الذين هم الأصل صار كأنه واقع على الأبناء .

القول الثاني : أنهم ذريته عليه السلام . وإن "ثم" بمعنى الواو ، فلا تقتضي الترتيب ، أو إن في الكلام تقديم وتأخير ، والمعنى : ولقد خلقناكم ، يعني : آدم عليه السلام ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم ، ثم صورناكم .

وهذا هو قول أكثر المفسرين من السلف(٣).

الترجيح

الذي يظهر لي أن القول الأول هو الراجح لأنه لا يحتاج إلى تأويل ، ولا إلى اختلاف الضمائر بخلاف القول الثاني .

١ـ انظر تفسير الطبري ٣٢٠/١٢ـ٣٢٢. تحقيق شاكر . والرازي ٣٠/١٤. وابن كثير ٢٠٣/٢ـ٢٠٤. وأبي السعود ٢١٤/٣.

٢ـ البقرة ٥٧.

٣ـ هذا قولهم باختصار . وانظر تفسير الطبري ٣١٧/١٢ـ٣٢٠. تحقيق شاكر . والقرطبي ١٦٨/٧. وابن كثير ٢٠٤/٢.

ولأن له نظائر في القرآن ، كقوله تعالى لليهود في عهد النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ﴿ وإذ أخذنا ميثقكم ورفعنا فوقكم الطور ﴾(١) والمراد أسلافهم في عهد موسى عليه السلام .

ونسب التصوير إلى المخاطبين مع أن المراد آدم عليه السلام . لأنه أبوهم ، وتَوْفِيَة لمقام الامتنان حقه ، وتأكيدًا لوجوب الشكر عليهم ، ولأن هذا الأمر سار إلى ذريته جميعًا فصورة الكل على صورته(٢) ، في حسن الخلق قال تعالى ﴿لقد خلقنا الإنسن في أحسن تقويم ﴾(٣).

٣ـ وقوله تعالى ﴿ فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له سجدين فسجد الملئكة كلهم أجمعون إلا إبليس أبى أن يكون مع السجدين ﴾(٤).

٤ـ وقوله تعالى ﴿ وإذ قلنا للملئكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس قال ءأسجد لمن خلقت طينًا ﴾(٥).

٥ـ وقوله تعالى ﴿ وإذ قلنا للملئكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه أفتتخذونه وذريته أولياء من دوني وهم لكم عدو بئس للظلمين بدلًا ﴾(٦).

٦ـ وقوله تعالى ﴿ وإذ قلنا للملئكة اسجدوا لآدم

١ـ البقرة ٦٣ .
٢ـ انظر تفسير أبي السعود ٢١٤/٣ـ٢١٥. وفتح البيان ٢٩١/٣.
٣ـ التين ٤.
٤ـ الحجر ٢٩ـ٣١.
٥ـ الإسراء ٦١.
٦ـ الكهف ٥٠.

فسجدوا إلا إبليس أبىٰ ﴾(١).

٧ـ وقوله تعالى ﴿ فإذا سويته ونفخت فيه من روحى فقعوا له سٰجدين فسجد الملٰئكة كلهم أجمعون إلا إبليس استكبر وكان من الكٰفرين ﴾(٢).

معنى الآيات :

يخبر الله سبحانه وتعالى في هذه الآيات أنه أمر الملائكة بالسجود لآدم عليه السلام .

فامتثل الملائكة أمر الله عز وجل فسجدوا لآدم تكريمًا وإجلالاً .

إلا إبليس فإنه امتنع عن السجود تكبراً وعناداً . فلعنه الله وطرده من رحمته.

فإن قيل : هل إبليس من الملائكة أو لا ؟

أقول : إن أرجح الأقوال في ذلك إن إبليس ليس من الملائكة لما يأتي :

١ـ قوله تعالى ﴿ إلا إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه أفتتخذونه وذريته أولياء من دونى وهم لكم عدو ﴾(٣) فبين سبحانه وتعالى أنه من الجن وليس من الملائكة . وبين أن له ذرية والملائكة ليس لهم ذرية .

٢ـ أن إبليس علل عدم سجوده لآدم بقوله ﴿ أنا خير منه خلقتنى من نار وخلقته من طين ﴾(٤) والنار هي المادة التي خلق منها الجن ، والملائكة خلقوا من نور . ويبين هذا

١ـ طه ١١٦ .
٢ـ ص ٧٢ـ٧٤.
٣ـ الكهف ٥٠.
٤ـ ص ٧٦.

ما ثبت في صحيح مسلم عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ « خُلقت الملائكة من نور ، وخُلق الجان من مارج من نار ، وخُلق آدم مما وُصِف لكم »(١).

والمارج : اللهب المختلط بسواد النار(٢).

٣ـ أن الملائكة لا يعصون الله ، وإبليس عصاه .

٤ـ أن الملائكة يدعون للمؤمنين ويلعنون الكافرين ، وإبليس يحاول إضلال المؤمنين وأن يستمر الكفار على الكفر .

وأما دخوله معهم في الخطاب : فلأنه كان قد توسم بأفعالهم وتشبه بهم ، وتعبد وتنسك مثلهم(٣).

فلما أُمِرَت الملائكة بالسجود لآدم تكبر وتعاظم ، وحسد آدم على ما فضله الله به فقال : ﴿ أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين ﴾(٤).

فلعنه الله وطرده من رحمته .

وأمر الله آدم وحواء عليهما السلام بالبقاء في الجنة وبالاكل منها حيث شاءا ومن أي أشجارها أرادا ، سوى شجرة واحدة(٥).

١ـ أخرجه مسلم ٢٢٩٤/٤.

٢ـ انظر غريب الحديث لابن الجوزي ٣٥١/٢. والنهاية في غريب الحديث ٣٦٥/٤.

٣ـ وانظر بسط المسألة في الفصل لابن حزم ٣٤/٤ـ٣٥. وتفسير الطبري ٢٩٤/١ـ٢٩٥. وابن كثير ٨٩/٣ـ٩٠.

٤ـ ص ٧٦.

٥ـ اختلف المفسرون في تعيين هذه الشجرة فقيل : أنها شجرة الكرم ، وقيل: السنبلة ، وقيل : التين ، وقيل : الحنظلة . وليس لاحد هذه الاقوال دليل . بل يعتقد أن الله نهى آدم وحوى عن شجرة ـ الله أعلم بنوعها ـ فأكلا منها . وانظر تفسير ابن عطية ٣٥/١. والقرطبي ٣٠٥/١. والبداية والنهاية ٦٨/١ـ٦٩.

ولكن الشيطان لم يطب نفسًا وهو ينظر إلى آدم وحواء في هذا العيش الهنىء ، والنعيم المقيم . فبدأ يوسوس لهما وقال ﴿ ما نهٰكما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخٰلدين ﴾(١). وقال ﴿ يٰآدم هل أدلك علىٰ شجرة الخلد وملك لا يبلىٰ ﴾(٢).

فطمع آدم وحواء في هذا الملك والخلود الذي حسنه لهما إبليس .

فأكلا من الشجرة التي نهاهما الله عنها : فأخرجهما الشيطان من النعيم الذي كانا فيه . فأنزلهم الله جميعًا إلى الأرض . قال تعالى ﴿ فأزلهما الشيطٰن عنها فأخرجهما مما كانا فيه وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم فى الأرض مستقر ومتٰع إلىٰ حين ﴾(٣).

ثم بدأت بعد ذلك علاقة الملائكة بالإنسان على الأرض .

١- الأعراف ٢٠.
٢- طه ١٢٠.
٣- البقرة ٣٦.

الفصل الثاني : نزول الملائكة بالوحي

وفيه خمسة مباحث :

المبحث الأول : تعريف الوحي لغة وشرعا .

المبحث الثاني : الملك الموكل بالوحي .

المبحث الثالث : وحي الله إلى الأنبياء بواسطة الملائكة .

المبحث الرابع : وحي الله إلى غير الأنبياء بواسطة الملائكة .

المبحث الخامس : أشخاص اختلف العلماء في وحي الله إليهم بواسطة الملائكة.

وهذا تفصيل الكلام عن هذه المباحث :

المبحث الأول : تعريف الوحي لغة وشرعا وأنواعه

الوحي في اللغة : بفتح الواو وسكون الحاء هو إعلام المُوحِي المُوحَى إليه بأمر من الأمور على وجه الخفاء أو غيره (١). ويكون بالإشارة ، والإلهام ، والكتابة ، والرسالة ، والكلام الخفي .

فإطلاقه على الإشارة ، مثل قوله تعالى ﴿ فخرج علىٰ قومه من المحراب فأوحىٰ إليهم أن سبحوا بكرة وعشيًا ﴾(٢). أي : إشار إليهم (٣).

وإطلاقه على الإلهام ، مثل قوله تعالى ﴿ وأوحىٰ ربك إلى النحل أن اتخذى من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون ﴾(٤). أي : ألهمها(٥).

وإطلاقه على الكتابة ، مثل قول العرب " وحي في حجر " أي: كُتِب فيه بطريق النحت ، وهو مثل يضرب لمن يكتم السر ، وللشيء الظاهر البين(٦).

وإطلاقه على الكلام الخفي ، مثل أوحى فلان إلى فلان بكذا . أي : كلمه بكلام يخفيه عن غيره(٧).

وإطلاقه على الرسالة ، يقال : أوحى الرجل . إذا

١- انظر معجم مقاييس اللغة ٩٣/٦. ولسان العرب ٣٨١/١٥.
٢- مريم ١١.
٣- انظر الصحاح ٢٥٢٠/٦.
٤- النحل ٦٨.
٥- انظر تهذيب اللغة ٢٩٦/٥.
٦- انظر تهذيب اللغة ٢٩٨/٥. ولسان العرب ٣٨٠/١٥و ٣٨٢.
٧- انظر تهذيب اللغة ٢٩٦/٥. ولسان العرب ٢٩٧/١٥.

بعث برسول ثقة إلى عبد من عبيده ثقة(١).

ولهذا قال في تهذيب اللغة : " وكل هذا إعلام وإن اختلفت أسباب الإعلام فيها "(٢).

والوحي في الشرع : إعلامُ اللهِ من اصطفاه من عباده بأمر من الأمور (٣)

وعلى هذا التعريف فإن الوحي يشمل الأنبياء ، والمؤمنين الذين أراد الله أن يوحي إليهم(٣). على ما سيأتي بيانه إن شاء الله .

أنواع الوحي

وحي الله إلى البشر على ثلاثة أنواع :

١ـ أن يكون الوحي بالرؤيا أو الإلهام .

٢ـ أن يكون من وراء حجاب .

٣ـ أن يرسل ملكاً من الملائكة (٤) ـ وهذا هو المقصود في البحث ـ

والدليل على هذه الأنواع قوله تعالى ﴿ وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيًا أو من ورآيِ حجاب أو يرسل رسولاً فيوحي بإذنه ما يشاء ﴾(٥).

١ـ انظر لسان العرب ٣٨٢/١٥.

٢ـ تهذيب اللغة ٢٩٧/٥.

٣ـ انظر المفردات ٥١٥. ومجموع فتاوى ابن تيمية ٥٢٨/١٧. ومناهل العرفان ٦٣/١.

٤ـ وانظر تفسير الطبري ٤٥/٢٥. والقرطبي ٥٣/١٦.

٥ـ الشورى ٥١.

المبحث الثاني : الملك الموكل بالوحي :

جاءت الآيات القرآنية ، والأحاديث النبوية التي تدل على أن جبريل عليه السلام هو الذي كان ينزل بالوحي من الله إلى البشر . والدليل على ذلك من الكتاب والسنة .

فمن الكتاب :

١ـ قوله تعالى ﴿ فأرسلنا إليها روحنا فتمثل لها بشرًا سويًا ﴾(١).

أي : أن الله أرسل جبريل عليه السلام إلى مريم فجاءها على صورة البشر.

٢ـ وقوله تعالى ﴿ قل من كان عدوًا لجبريل فإنه نزله على قلبك بإذن الله ﴾(٢).

٣ـ وقوله تعالى ﴿ نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين ﴾(٣).

فهاتان الآيتان صريحتان في أن جبريل هو الذي نزل بالقرآن الكريم على النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ

ومن السنة :

ما رواه أبو داود ، وابن خزيمة ، والبيهقي ، عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه قال : " إذا أراد الله عز وجل أن يوحي بالأمر تكلم بالوحي ، أخذت السموات منه رجفة ، أو قال : رعدة شديدة خوفًا من الله . فإذا سمع بذلك أهل السموات صعقوا، وخروا لله سجدا . فيكون أول من يرفع رأسه جبريل فيكلمه الله من وحيه بما أراد ، ثم يمر جبريل

١ـ مريم ١٧.
٢ـ البقرة ٩٧.
٣ـ الشعراء ١٩٣ـ١٩٤.

على الملائكة ، كلما مر بسماء سأله ملائكتها : ماذا قال ربنا يا جبريل ؟ فيقول جبريل عليه السلام : قال الحق وهو العلي الكبير ، قال: فيقولون كلهم مثلما قال جبريل عليه السلام فينتهي جبريل بالوحي حيث أمره الله "(١).

ومنها حديث عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ المشهور الذي أخرجه مسلم. وأن جبريل جاء على صورة البشر ، وسأل النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ عن الإسلام ، والإيمان ، والإحسان ، والساعة . فلما انصرف قال النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ " يا عمر ! أتدري من السائل ؟ قلت الله ورسوله أعلم . قال " فإنه جبريل . أتاكم يعلمكم دينكم "(٢).

فهذان الحديثان يدلان أيضا على أن جبريل عليه السلام هو الذي كان ينزل بالوحي إلى النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ .

ولذا قال ابن القيم ـ رحمه الله ـ " جبريل موكل بالوحي الذي فيه حياة القلوب "(٣).

وقد تقتضي حكمة الله ـ عز وجل ـ أن يرسل مع جبريل غيره من الملائكة بالوحي .

والدليل على ذلك من الكتاب والسنة .

١ـ أخرجه أبو داود ١٠٦/٥، وابن خزيمة في التوحيد ٣٤٨/١ـ٣٤٩، واللفظ له . والبيهقي في الأسماء والصفات ٣٦٢ـ٣٦٣، وذكره ابن القيم في مختصر الصواعق ٢/٥٠٢ـ٥٠٣ ، وعزاه إلى أبي داود وقال : "وهذا الإسناد كلهم أئمة ثقات " . وصحح إسناده الشيخ الالباني ، في السلسلة الصحيحة ٢٨٣/٣.

٢ـ أخرجه مسلم ٣٦/١ـ٣٨.

٣ـ انظر إغاثة اللهفان ١٣٢/٢.

فمن الكتاب الآيات الآتية :

١ـ قوله تعالى ﴿ ينزل الملٰئكة بالروح من أمره علىٰ من يشاء من عباده أن أنذروا أنه لا إلٰه إلا أنا فاتقون ﴾(١).

والروح : هو الوحي .

معنى الآية :

بين الله في هذه الآية أنه ينزل من يشاء من الملائكة بالوحي إلى من يشاء من عباده . وهم : الرسل لأنهم هم الذين يبلغون ما نزل إليهم من ربهم سبحانه وتعالى .

٢ـ وقوله تعالى ﴿ الله يصطفى من الملٰئكة رسلاً ومن الناس إن الله سميع بصير ﴾(٢).

المعنى :

بين الله في هذه الآية أنه يختار من يشاء من الملائكة ، ليرسلهم حيث يريد سبحانه وتعالى . وكذلك يختار من يشاء من الناس للرسالة .

٣ـ وقوله تعالى ﴿ ولما جاءت رسلنا إبرٰهيم بالبشرىٰ قالوا إنا مهلكوا أهل هذه القرية إن أهلها كانوا ظٰلمين قال إن فيها لوطاً قالوا نحن أعلم بمن فيها لننجينه وأهله إلا امرأته كانت من الغٰبرين ولما جاءت رسلنا لوطاً سيء بهم وضاق بهم ذرعًا وقالوا لا تخف ولا تحزن إنا منجوك وأهلك إلا امرأتك كانت من الغٰبرين ﴾(٣).

معاني المفردات :

القرية : هي قرية قوم لوط عليه السلام . واسمها

١ـ النحل ٢.

٢ـ الحج ٧٥.

٣ ـ العنكبوت ٣١ـ٣٢ـ٣٣.

سدوم، ومكانها البحر الميت(١).

الغابرين : الباقين في العذاب(٢).

المعنى :

ذكر الله تعالى في هذه الآيات أن الملائكة الذين جاءوا إلى إبراهيم عليه السلام جمعًا ـ وأقل الجمع ثلاثة على القول المشهور ـ وأخبروه بأنهم مكلفون من قبل الله بإهلاك قوم لوط بعد أن ينجوه وأهله إلا امرأته . ثم خرج هؤلاء الرسل من عند إبراهيم وذهبوا إلى لوط عليه السلام، فضاق بهم لأنهم جاءوه على صفة غلمان جميلين، وخاف عليهم من قومه أن يصيبوهم بسوء، فأخبروه بأنهم ملائكة جاءوا لإهلاك قومه .

ومن السنة الحديثان التاليان :

١ـ أخرج مسلم في صحيحه عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال : " بينما جبريل قاعد عند النبي صلى الله عليه وسلم ، سمع نقيضًا(٣) من فوقه ، فرفع رأسه فقال: هذا ملك نزل إلى الأرض ، لم ينزل قط إلا اليوم ، فسلم وقال: أبشر بنورين أوتيتهما لم يؤتهما نبي قبلك ، فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة لن تقرأ بحرف منهما إلا أعطيته "(٤).

وهذا الحديث لا ينافي كون جبريل عليه السلام هو الذي نزل بالقرآن على النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ إذ أن هذا الملك إنما نزل لبيان فضل فاتحة الكتاب ، وخواتيم سورة

١ـ انظر تفسير الطبري ١٤٨/٢٠، وتفسير ابن كثير ٤١٣/٣، وقال: "وجعل الله مكانها بحيرة خبيثة منتنة "

٢ـ انظر تفسير البغوي ٤٦٦/٣، والقرطبي ٢٤٦/٧.

٣ـ النقيض: الصوت . انظر النهاية في غريب الحديث ١٠٧/٥.

٤ـ أخرجه مسلم في صحيحه ٥٥٤/١.

البقرة(١).

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : " جلس جبريل إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فنظر إلى السماء فإذا ملك ينزل فقال جبريل : إن هذا الملك ما نزل منذ يوم خلق قبل الساعة(٢). فلما نزل قال: يا محمد أرسلني إليك ربك قال: أفملكاً نبيا يجعلك ، أو عبداً رسولا فقال جبريل : تواضع لربك يا محمد قال: بل عبداً رسولا"(٣).

فدل هذان الحديثان على أن الله قد أرسل هذين الملكين إلى النبي - صلى الله عليه وسلم .

١- انظر تفسير القرطبي ١١٦/١.
٢- قوله "قبل الساعة" أي قبل نزوله في هذه الساعة
٣- أخرجه أحمد ١٣٦/٢، واللفظ له . والبزار انظر كشف الأستار عن زوائد البزار ١٥٥/٣. وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ٢١/٩-٢٢ رواه أحمد ، والبزار ، وأبو يعلى ، ورجال الأولين رجال الصحيح . وذكره الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة ٣/٣-٤، وقال : "هذا إسناد صحيح على شرط مسلم" . وله شواهد ذكرها الهيثمي في المجمع ٢٢/٩. والألباني في السلسلة الصحيحة ٤/٣.

المبحث الثالث : وحي الله إلى الأنبياء بواسطة الملائكة

ويتضمن هذا المبحث أربع مسائل :

أولاً : وحي الله إلى إبراهيم عليه السلام .

ثانيا : وحي الله إلى لوط عليه السلام .

ثالثاً : وحي الله إلى زكريا عليه السلام .

رابعاً : وحي الله إلى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم .

وهذا تفصيل الكلام عن هذه المسائل .

أولا : من الأنبياء الذين أوحى الله إليهم : إبراهيم عليه السلام ·

أخبر الله تعالى ـ في عدة مواضع من كتابه العظيم ـ أنه أرسل الملائكة إلى خليله إبراهيم عليه السلام ·

١ـ قال تعالى ﴿ ولقد جاءت رسلنا إبرٰهيم بالبشرىٰ قالوا سلٰما قال سلٰم فما لبث أن جاء بعجل حنيذ فلما رءا أيديهم لا تصل إليه نكرهم وأوجس منهم خيفة قالوا لا تخف إنا أرسلنا إلىٰ قوم لوط ﴾(١)·

معاني المفردات ·

حنيذ : أي مشوي(٢)·

نكرهم : أي وجدهم على غير ما عهد الأضياف(٣)·

٢ـ وقال تعالى ﴿ فلما ذهب عن إبرٰهيم الروع وجاءته البشرىٰ يجٰدلنا في قوم لوط إن إبرٰهيم لحليم أوٰه منيب يٰإبرٰهيم أعرض عن هٰذا إنه قد جاء أمر ربك وإنهم ءاتيهم عذاب غير مردود ﴾(٤)·

معاني المفردات ·

الروع : الخوف(٥)·

أواه : أي كثير الدعاء(٦)·

١ـ هود ٦٩ـ ٧٠·

٢ـ وقيل المشوي على الحجارة وقيل الناضج ولا تعارض بينهما فإنه مشوي على حجارة حتى نضج وانظر تفسير القرطبي ٦٣/٩· وابن كثير ٤٥٩/٢·

٣ـ انظر تفسير الشوكاني ٥١٠/٢·

٤ـ هود ٧٤ـ ٧٥ـ ٧٦·

٥ـ انظر تفسير القرطبي ٧٢/٩·

٦ـ هذا هو الذي رجحه ابن جرير في تفسيره ٥٣٢/١٤ تحقيق شاكر · وابن كثير ٣٩٦/٢·

منيب : راجع إلى الله في كل أموره(١).

٣ـ وقال تعالى ﴿ ونبئهم عن ضيف إبرٰهيم إذ دخلوا عليه فقالوا سلٰما قال إنا منكم وجلون ﴾(٢).

٤ـ وقال سبحانه وتعالى ﴿ ولما جاءت رسلنا إبرٰهيم بالبشرىٰ قالوا إنا مهلكوا أهل هذه القرية إن أهلها كانوا ظٰلمين قال إن فيها لوطًا قالوا نحن أعلم بمن فيها لننجينه وأهله إلا امرأته كانت من الغٰبرين ﴾(٣).

٥ـ وقال جل ذكره ﴿ هل أتٰك حديث ضيف إبرٰهيم المكرمين إذ دخلوا عليه فقالوا سلٰمًا قال سلٰم قوم منكرون فراغ إلىٰ أهله فجاء بعجل سمين فقربه إليهم قال ألا تأكلون فأوجس منهم خيفة قالوا لا تخف وبشروه بغلٰم عليم فأقبلت امرأته في صرة فصكت وجهها وقالت عجوز عقيم قالوا كذٰلك قال ربك إنه هو الحكيم العليم قال فما خطبكم أيها المرسلون قالوا إنا أرسلنا إلىٰ قوم مجرمين ﴾(٤).

معاني المفردات .

فراغ : أي مال إلى أهله في خفية من ضيوفه ، وهذا من أداب الضيافة(٥).

صرة : أي صرخة عظيمة ، وهي قولها "يا ويلتا"(٦).

صكت وجهها : أي ضربته بيدها كما تفعل النساء عند الأمر العجيب(٧).

١ـ انظر تفسير القرطبي ٧٣/٩.
٢ـ الحجر ٥١ـ٥٢.
٣ـ العنكبوت ٣١ـ٣٢ ، وسبق ذكر معاني المفردات في مبحث " الملك الموكل بالوحي" ص ٤٩ـ٥٠.
٤ـ الذاريات ٢٤ـ٣٢ .
٥ـ انظر تفسير الكشاف ٣٠/٤. والفتوحات الإلهية ٢٠٤/٤.
٦ـ انظر تفسير الطبري ٢٠٩/٢٦. وابن كثير ٢٣٧/٤.
٧ـ انظر تفسير البغوي ٢٣٢/٤. وابن كثير ٢٣٧/٤.

فليس فعلها سخطًا ، وإنما تعجبًا مما أخبروها به لقوله تعالى ﴿ قالوا أتعجبين من أمر الله ﴾(١).

المعنى :

من الآيات المتقدمة نستطيع أن نعرف كيف نزلت الملائكة بالوحي على إبراهيم عليه السلام .

فقد أتوه على صورة البشر ، فسلموا عليه ورد عليهم السلام ، ورأى أنهم ضيوف من بني آدم . فقام بحق الضيافة أحسن قيام ، فخرج من عندهم بخفية إلى أهله ، وهذا من حسن إكرام الضيف ، فجاء بعجل سمين مشوي فقربه إليهم ولكنهم لم يتقدموا للأكل منه ولم تصله أيديهم ، فارتاب عليه السلام ، وأوجس منهم خيفة.

فلما رأوه خائفا أخبروه بحالهم وانهم ملائكة من عند الله عز وجل ، وبشروه بأنه سيولد له ولد اسمه إسحاق ثم سألهم عن الأمر الذي جاءوا من أجله . فقالوا : إن الله أرسلنا إلى قوم لوط لإهلاكهم . فجادلهم في ذلك وقال : إن لوطا يعيش بين قومه فقالوا له ﴿ نحن أعلم بمن فيها لننجينه وأهله إلا امرأته كانت من الغبرين ﴾(٢).

فخرجوا من عنده قاصدين لوطا عليه السلام .

ثانيا : من الأنبياء الذين أوحى الله إليهم : لوط عليه السلام .

لما خرجت الملائكة من عند إبراهيم عليه السلام ، قدموا على لوط عليه السلام. وقد بين الله قصتهم في كتابه

١- هود ٧٣.
٢- العنكبوت ٣٢.

الكريم .

١ـ قال تعالى ﴿ ولما جاءت رسلنا لوطاً سيء بهم وضاق بهم ذرعًا وقال هٰذا يوم عصيب وجاءه قومه يُهْرَعُون إليه ومن قبل كانوا يعملون السيئات قال يٰقوم هٰؤلاء بناتى هن أطهر لكم فاتقوا الله ولا تخزون فى ضيفى أليس منكم رجل رشيد قالوا لقد علمت ما لنا فى بناتك من حق وإنك لتعلم ما نريد قال لو أن لى بكم قوة أو ءاوى إلىٰ ركن شديد قالوا يٰلوط إنا رسل ربك لن يصلوا إليك فأسر بأهلك بقطع من اليل ولا يلتفت منكم أحد إلا امرأتك إنه مصيبها ما أصابهم إن موعدهم الصبح أليس الصبح بقريب ﴾(١).

معاني المفردات :

سيء بهم : أي ساءه مجيئهم(٢).

ضاق بهم ذرعًا : أي ضاق صدره ، أو وسعه وطاقته بمجيئهم(٣).

عصيب : أي شديد(٤).

يهرعون : أي يسرعون(٥).

تخزون : أي تهينون وتذلون(٦).

رشيد : أي ذو رشد واستقامة(٧).

بقطع من الليل : أي بطائفة وجزء من الليل(٨).

١ـ هود ٧٧ـ٨١.
٢ـ انظر تفسير الطبري ٤٠٧/١٥ تحقيق شاكر . والقرطبي ٧٤/٩.
٣ـ انظر تفسير القرطبي ٧٤/٩. والشوكاني ٥١٣/٢.
٤ـ انظر تفسير الطبري ٤٠٩/١٥ـ٤١٠ ، تحقيق شاكر . والبغوي ٣٩٤/٢.
٥ـ انظر تفسير ابن الجوزي ١٣٧/٤، وابن كثير ٤٥٤/٢.
٦ـ انظر تفسير الطبري ٤١٦/١٥ تحقيق شاكر . والقرطبي ٧٧/٩.
٧ـ انظر تفسير القرطبي ٧٧/٩.
٨ـ انظر تفسير الشوكاني ٥١٥/٢.

٢ـ وقوله تعالى ﴿ فلما جاء ءال لوط المرسلون قال إنكم قوم منكرون قالوا بل جئناك بما كانوا فيه يمترون وأتينك بالحق وإنا لصدقون فأسر بأهلك بقطع من اليل واتبع أدبرهم ولا يلتفت منكم أحد وامضو حيث تؤمرون وقضينا إليه ذلك الأمر أن دابر هؤلاء مقطوع مصبحين وجاء أهل المدينة يستبشرون قال إن هؤلاء ضيفى فلا تفضحون واتقوا الله ولا تخزون قالوا أو لم ننهك عن العلمين قال هؤلاء بناتى إن كنتم فعلين ﴾(١).

معاني المفردات

منكرون : أي لا أعرفكم(٢).

يمترون : أي يشكون(٣).

بالحق : أي باليقين وهو العذاب النازل بهم(٤).

اتبع أدبارهم : أي كن من ورائهم لئلا يتخلف أحد فيناله العذاب(٥).

قضينا : أي أوحينا(٦).

تفضحون : أي تخجلون وتظهرون من أمري ما يلزمني منه العار بتعديكم على ضيفي ، وذلك أن التعدي على ضيفي عار علي ، أو بإظهاري مظهر العاجز عن الدفاع عنهم فيلحقني العار(٧).

١ـ الحجر ٦١ـ٧١.
٢ـ انظر تفسير القرطبي ٣٨/١٠. والجلالين ٣٤٩.
٣ـ انظر تفسير القرطبي ٣٨/١٠. والشوكاني ١٣٥/٣.
٤ـ انظر تفسير البيضاوي ٥٣٣/١. والشوكاني ١٣٥/٣.
٥ـ انظر تفسير القرطبي ٣٩/١٠. وابن كثير ٥٥٥/٢.
٦ـ انظر تفسير البيضاوي ٣٥٣/١. والجلالين ٣٤٩.
٧ـ انظر تفسير البيضاوي ٥٣٣/١. والشوكاني ١٣٧/٣.

٣ـ وقال تعالى ﴿ ولما أن جاءت رسلنا لوطًا سيء بهم وضاق بهم ذرعًا وقالوا لا تخف ولا تحزن إنا منجوك وأهلك إلا امرأتك كانت من الغابرين إنا منزلون على أهل هذه القرية رجزًا من السماء بما كانوا يفسقون ﴾(١).

المفردات(٢).

رجزًا : عذابًا(٣).

المعنى

بين الله سبحانه وتعالى في هذه الآيات كيف أرسل الملائكة إلى لوط عليه السلام. وذلك أنهم لما خرجوا من عند إبراهيم عليه السلام نزلوا ضيوفا على لوط عليه السلام ، فساءه مجيؤهم ، وضاق صدره بهم ، لأنهم جاءوه في غاية من الجمال ، وهو يعلم الشذوذ الجنسي الذي أصيب به قومه ، فخاف على هؤلاء الضيوف أن يفعلوا بهم الفاحشة ولكن امرأته الخائنة أخبرت قومه بالضيوف(٤). فجاءوا إليه مسرعين يرتعلون فرحًا، ويبشر بعضهم بعضًا بهؤلاء الفتيان ، وطلبوا من لوط أن يخلي بينهم وبين ضيوفه ليفعلوا بهم الفاحشة التي لم يسبقهم بها أحد من العالمين(٥).

١ـ العنكبوت ٣٣ـ٣٤.
٢ـ سبق ذكر أكثرها في مبحث "الملك الموكل بالوحي" ص٤٩ـ٥٠.
٣ـ انظر تفسير الشوكاني ٢٠٢/٤.
٤ـ وهذه هي الخيانة التي ذكرها الله بقوله ﴿ ضرب الله مثلا للذين كفروا امرأت نوح وامرأت لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما ﴾ التحريم ١٠ . وقد فسره ابن عباس رضي الله عنهما بذلك إذ قال : ما زنتا . أما امرأة نوح فكانت تقول للناس إنه مجنون ، وأما امرأة لوط فكانت تدل على الضيف فذلك خيانتها. أخرجه ابن جرير ١٧٠/٢٨. والحاكم ٤٩٦/٢، وصححه ، ووافقه الذهبي.
٥ـ كما قال تعالى ﴿ ولوطًا إذ قال لقومه أتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من أحد من العالمين ﴾ الأعراف ٨٠ . قال ابن كثير في تفسيره ٢٣٦/٢ : "لم=

فحذرهم لوط عقوبة الله عز وجل فقالوا له : ألم نمنعك من أن تستضيف أحداً من الناس ، فأرشدهم عليه السلام إلى ما يلائم فطرتهم ويشبعون به غريزتهم الجنسية من النساء(١).

اللاتي هن أطهر ، بكل معاني الطهر ، النفسي والحسي ، ثم خاطب عقولهم لعلهم يرجعون عن غيهم وإصرارهم على جريمتهم قائلاً : أليس منكم رجل رشيد . ولكنهم ما زالوا مصممين على معصيتهم وسفههم ، وقالوا إنك تعلم لو أردنا النساء لتزوجناهن ، وإنك لتعلم أننا لا نريد إلا

=يسبقهم بها أحد من بني آدم ولا غيرهم ".

١- اختلف المفسرون في المراد بالنساء التي أرشد لوط قومه لهن . وهذا الاختلاف مبني على قول الله سبحانه وتعالى ﴿ قال يٰقوم هٰؤلاء بناتي هن أطهر لكم ﴾ هود ٧٨ ، وقوله تعالى ﴿ أتأتون الذكران من العٰلمين وتذرون ما خلق لكم ربكم من أزواجكم بل أنتم قوم عادون ﴾ ١٦٥-١٦٦ الشعراء . فقال بعضهم : يعني نساء أمته . وهذا هو اختيار ابن جرير ، ورواه عن بعض السلف انظر تفسيره ١٥/١٣-٤١٥ تحقيق شاكر . وابن كثير ٤٥٤/٢ ومال إليه أبو حيان في تفسيره ٢٤٦/٥. واستدل هؤلاء بقراءة أبي وابن مسعود ﴿ النبي أولى بالمومنين من أنفسهم وأزواجه أمهٰتهم ﴾ الأحزاب ٦ . ﴿ وهو أب لهم ﴾ . فقالوا بأن كل نبي أب لأمته أو بمنزلة الأب . وقال بعضهم : إنهن بناته حقيقة وطلب منهم أن يتزوجوهن وكان ذلك جائزًا في شريعتهم . وقال بعضهم إنما قال ذلك دفعًا لهم ولا يريد تزويجهم حقيقة . ذكر هذين القولين البغوي في تفسيره ٣٩٥/٢. وابن عطية ١٩٦/٩. والقرطبي ٧٦/٩. وضعف ابن عطية القول الثالث وقال: " وهذا التنطع ليس من كلام الأنبياء صلى الله عليهم وسلم " . والاول هو الأظهر لقوله تعالى ﴿ وتذرون ما خلق لكم ربكم من أزواجكم ﴾ الشعراء ١٦٦ . ولأن بناته قليلات لا يكفين لقومه . وقال ابن كثير في البداية والنهاية ١٦٨/١. " وهذا هو الذي نص عليه مجاهد ، وسعيد بن جبير ، والربيع بن أنس ، وقتادة ، والسدي ، ومحمد بن إسحاق وهو الصواب . وقال الفخر الرازي في تفسيره ٣٢/١٧-٣٣ - لما ذكر هذا القول ما ملخصه - : وهذا القول عندي هو المختار لوجوه ١- أن عرض الإنسان بناته على الفجار أمر مستبعد لا يليق بأهل المروءة فكيف بأكابر الأنبياء . ٢- أن قوله ﴿ هٰؤلاء بناتي هن أطهر لكم ﴾ هود ٧٨ . فبناته اللواتي من صلبه لا تكفي للجميع العظيم ، أما نساء أمته ففيهن كفاية الكل . ٣- إن صح ما روي أنه ليس له إلا ابنتان وإطلاق لفظ البنات على البنتين لا يجوز لما ثبت أن أقل الجمع ثلاثة .

هؤلاء عند ذلك أسقط في يده ورأى ضعفه أمام هؤلاء الرجال. فقال : لو أن لي بكم قوة فأمنعكم من أن تأتوا الضيوف أو ألجأ إلى عشيرة(١). تمنعني وأضيافي منكم . ومما تصبون إليه. وعندما بلغ به الكرب أشده ، وضاقت عليه الأرض بما رحبت . كشف له هؤلاء الضيوف عن حقيقتهم وأنهم ملائكة الله عز وجل ، وأن القوم لن يصلوا إليه أبدا . فطمس جبريل عليه السلام أعينهم فخرجوا عميًا لا يبصرون . وأمروه بأن يخرج في الليل من القرية وأهله ولا يلتفت منهم أحد إلا امرأته فإنه سيصيبها ما أصاب القوم وموعد العذاب الصبح وهو قريب ، فأخذهم الله أخذ عزيز مقتدر . وذلك أن جبريل رفع قراهم إلى السماء ، ثم قلبها عليهم وأرسل الله عليهم حجارة من السماء زيادة في عذابهم .

ثالثا : ومن الأنبياء الذين أوحى الله إليهم زكريا عليه السلام(٢).

١- ويدل لهذا قول النبي - صلى الله عليه وسلم - في قوله تعالى ﴿ أو ءاوى إلى ركن شديد ﴾ هود ٨٠ ." قد كان يأوي إلى ركن شديد" يعني: الله تبارك وتعالى . قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : " فما بعث الله من نبي إلا في ثروة من قومه " أخرجه الطبري ٤٢٠/١٥-٤٢١ ، تحقيق شاكر ، بعدة ألفاظ . والحاكم ٥٦١/٢ وقال : صحيح على شرط مسلم . وقال محمود شاكر في تفسير الطبري هذا حديث صحيح ، وفي صحيح البخاري ١٢٠/٤، ومسلم ١٨٤٠/٤ أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : " يغفر الله للوط إن كان ليأوي إلى ركن شديد " . وهذا هو الذي ذكره الطبري في تفسيره ٤١٨/١٥ تحقيق شاكر . والبغوي ٣٩٥/٢-٣٩٦ . وابن كثير ٤٥٤/٢-٤٥٥. وقال الحافظ ابن حجر: المعنى: لو أن لي منعة وأقارب وعشيرة لكنت أستنصر بهم عليكم وليدفعوا عن أضيافي ، وقيل بأنه آوى إلى الله . والأول أظهر . انتهى ملخص من الفتح ٤١٥/٦-٤١٦.

٢- هو زكريا بن برخيا ، ويقال ابن دان ، ويقال ابن لدن ، بن مسلم بن صدوق بن حشبان بن داود . نبي من أنبياء بني إسرائيل . ولذا قرنه الله سبحانه وتعالى بالأنبياء في قوله ﴿ وزكريا ويحيىٰ وعيسىٰ وإلياس كل من الصلحين ﴾ الانعام : ٨٥ . ثم قال عن من ذكر من الانبياء ﴿ أولئك

ذكر الله في كتابه العزيز وحي الملائكة لنبيه زكريا عليه السلام ومن ذلك :

١ـ قوله تعالى ﴿ كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا قال يٰمريم أنىٰ لك هٰذا قالت هو من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب هنالك دعا زكريا ربه قال رب هب لى من لدنك ذرية طيبة إنك سميع الدعاء فنادته الملٰئكة وهو قائم يصلى فى المحرٰب أن الله يبشرك بيحيىٰ مصدقًا بكلمة من الله وسيدًا وحصورًا ونبيًا من الصٰلحين ﴾(١).

معاني المفردات .

المحراب : هو مكان العبادة(٢).

رزقا : اختلف المفسرون في هذا الرزق الذي كان يجده زكريا عند مريم على ثلاثة أقوال :

القول الأول : أنه كان يجد عندها فاكهة الصيف في الشتاء وفاكهة الشتاء في الصيف . وهذا قول جمهور المفسرين(٣).

ويؤيده ما أخرج ابن جرير والحاكم عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال : "وجد عندها عنبًا في مِكْتَل(٤) في

=الذين ءاتيٰهم الكتٰب والحكم والنبوة فإن يكفر بها هٰؤلاء فقد وكلنا بها قومًا ليسوا بها بكٰفرين ﴾ الأنعام ٨٩ . وتكفل بمريم عليها السلام كما قال تعالى ﴿ وكفلها زكريا ﴾ آل عمران ٣٧ . ولما خاف على مريم بعد ما كبر وشاب شعره سأل الله أن يرزقه ولدًا فاستجاب الله له ورزقه غلامًا اسمه يحيى وكان عليه السلام يعمل بالنجارة كما قال النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ : " كان زكريا نجارًا " . أخرجه مسلم ١٨٤٧/٤. وانظر ترجمته في البداية والنهاية ٤٣/٢ـ٤٩.

١ـ آل عمران ٣٧ـ٣٨ـ٣٩.

٢ـ انظر تفسير ابن كثير ٣٦١/١. والسعدي ١٨١/١.

٣ـ انظر تفسير الطبري ٣٥٤/٦ـ٣٥٥ـ٣٥٦، تحقيق شاكر . والبغوي ٢٩٧/١. وابن كثير ٣٦١/١.

٤ـ المِكْتَل : هو الزنبيل المعمول من الخوص. وانظر المصباح المنير ٢٠.

غير حينه »(١).

القول الثاني : أنه كان يجد عندها علمًا ، أو صحفًا فيها علم.

وهذا القول ذكره ابن كثير عن مجاهد(٢) وقال : والأول أصح(٣).

القول الثالث : أن رجلاً من بني إسرائيل(٤) كان يأتيها بطعام فينميه الله لها فإذا دخل عليها زكريا وجد عندها هذا الطعام فسألها عنه فتقول : هو من عند الله .

وهذا القول ذكره الطبري(٥) ، وابن عطية عن ابن إسحاق(٦).

ورده ابن عطية بقوله : والذي عليه الناس أقوى مما ذكره ابن إسحاق ، وتلقي زكريا الخبر دليل على أن هذا الرزق من عند الله(٧).

الملائكة : اختلف المفسرون في المراد بالملائكة هنا على قولين :

القول الأول : أنه جبريل عليه السلام . وممن قال به

١- أخرجه ابن جرير ٣٥٤/٦ ، تحقيق شاكر. والحاكم ٢٩١/٢-٢٩٢، وصححه ووافقه الذهبي.

٢- هو مجاهد بن جبر المخزومي ، أبو الحجاج . روى عن علي ، والعبادلة وغيرهم . وروى عنه أيوب السختياني ، وعكرمة ، وقتادة ، وغيرهم . توفي وله ٨٣ سنة . وانظر تهذيب التهذيب ٤٢/١٠-٤٤ . وطبقات المفسرين ٣٠٥/٢-٣٠٨.

٣- انظر تفسير ابن كثير ٣٦١/١.

٤- واسمه جريج ، وكان قد كفلها قبل زكريا

٥- انظر تفسير الطبري ٣٥٧/٦، تحقيق شاكر. وابن عطية ٦٩/٣.

٦- هو محمد بن إسحاق بن يسار المطلبي المخزومي . روى عنه السفيانان ، وشعبة ، وغيرهم. له كتاب المغازي . توفي في بغداد عام ١٥١ . وانظر الطبقات الكبرى ٣٢١/٧-٣٢٢. والوافي بالوفيات ١٨٨/٢-١٨٩.

٧- انظر تفسير ابن عطية ٦٩/٣.

السدي(١)(٢).

واحتج من قال بهذا القول: بقراءة ابن مسعود ﴿فناده جبريل وهو قائم يصلي في المحراب﴾(٣).

القول الثاني: أن المنادي جمع من الملائكة.

ذكره الطبري(٤)، عن قتادة(٥)، والربيع(٦)، وعكرمة(٧)، ومجاهد.

وقال الطبري: والظاهر أنها جماعة من الملائكة دون الواحد، ولا يجوز أن يحمل تأويل القرآن إلا على الأظهر الأكثر المستعمل في ألسن العرب دون الأقل(٨).

ويمكن الجمع بين القولين فيقال: أن الله أرسل إليه جمعًا من الملائكة، وتكلم أحدهم، وهذا مثل قوله تعالى لموسى وهارون ﴿فأتيا فرعون فقولا إنا رسول رب العٰلمين﴾(٩) فالمتكلم هو موسى لقوله تعالى بعدها ﴿قال ألم نربك فينا وليدًا ولبثت فينا من عمرك سنين﴾(١٠).

١- هو إسماعيل بن عبد الرحمن بن أبي كريمة الهاشمي السدي الكبير، أبو محمد الكوفي. صاحب التفسير. روى عن ابن عباس، وأنس. وعنه أبو عوانة، والثوري، والحسن بن صالح. أخرج له الجماعة إلا البخاري. توفي عام ١٢٧. وانظر طبقات المفسرين ١١٠/١.

٢- انظر تفسير الطبري ٣٦٤/٦، تحقيق شاكر.

٣- وهذه قراءة شاذة. وانظر تفسير الطبري ٣٦٤/٦، تحقيق شاكر. والقرطبي ٧٤/٤.

٤- انظر تفسير الطبري ٣٦٥/٦-٣٦٦.

٥- سبقت ترجمته ص ٣٧.

٦- هو الربيع بن أنس البكري. روى عن أنس، وجابر، وابن عمر. وعنه ابن المبارك، وأبو جعفر الرازي، والأعمش. توفي عام ١٤٠، وقيل ١٣٩. وانظر الطبقات الكبرى ٣٦٩/٧-٣٧٠. وتهذيب التهذيب ٢٣٨/٣-٢٣٩.

٧- هو عكرمة أبو عبد الله القرشي المدني البربري. الحافظ، المفسر، مولى ابن عباس. وحدث عنه وعن عائشة، وابن عمر وعنه النخعي، والشعبي، وعمرو بن دينار. ثقة ثبت لم يثبت عنه بدعة. توفي عام ١٠٤، وقيل غيرها. وانظر سير أعلام النبلاء ١٢/٥-٣٦. وتقريب التهذيب ٣٩٧.

٨- انظر تفسير الطبري ٣٦٥/٦، تحقيق شاكر، بتصرف.

٩- الشعراء ١٦.

١٠- الشعراء ١٨.

كلمة من الله : هو عيسى بن مريم عليه السلام ، وسمي كلمة الله لأنه خلق بكلمة كن . وهذا قول عامة المفسرين(١).

وقال أبو عبيدة(٢) : كلمة من الله : بكتاب من الله: تقول العرب للرجل : انشدني كذا وكذا أي : قصيدة فلان وإن طالت (٣).

ومما يؤيد قول عامة المفسرين قوله تعالى ﴿ إن الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم ﴾(٤).

سيدًا : السيد : هو الذي يفوق أقرانه في كل شيء من الخير(٥) . فيعلوهم بالعلم والعبادة(٦).

حصورًا : أي يمنع نفسه ويحبسها عن النساء(٧) ، مع قدرته على الجماع .

وإنما يكف عنهن ابتغاء مرضاة الله عز وجل ، لأن المقام مقام مدح(٨).

٢ـ وقوله تعالى ﴿ ذكر رحمت ربك عبده زكريا إذ نادىٰ ربه نداء خفيًا قال رب إنى وهن العظم منى واشتعل الرأس شيبًا ولم أكن بدعائك رب شقيًا وإنى خفت الموالى من وراءى وكانت امرأتى عاقرًا فهب لى من لدنك وليا يرثنى ويرث من

١ـ انظر تفسير الطبري ٣٧١/٦ـ٣٧٢ـ٣٧٣، تحقيق شاكر . والقرطبي ٧٦/٤ .
٢ـ هو معمر بن المثنى أبو عبيدة التيمي البصري النحوي . أخذ عن يونس ، وأبي عمرو . وعنه القاسم بن سلام ، وأبو حاتم ، والمازني ، له كتاب مجاز القرآن ، وغريب الحديث ، والقبائل ، وغيرها كثير. توفي عام ٢١٠ تقريبا. وانظر إنباه الرواة ٢٧٦/٣ـ ٢٨٧. وطبقات المفسرين ٣٢٦/٢ـ٣٢٨.
٣ـ انظر مجاز القرآن ٩١/١.
٤ـ آل عمران ٤٥.
٥ـ انظر تفسير القرطبي ٧٧/٤، وقال : " وهذا جامع " .
٦ـ انظر تفسير ابن كثير ٣٦٢/١.
٧ـ انظر تفسير الطبري ٣٧٦/٦ـ٣٨٠ تحقيق شاكر.
٨ـ انظر تفسير الرازي ٣٧/٨. والشوكاني ٣٣٧/١.

ءال يعقوب واجعله رب رضيًا يٰزكريا إنا نبشرك بغلٰم اسمه يحيىٰ ﴾(١).

معاني المفردات

وهن : أي ضعف ، ورق بسبب الكبر(٢).

اشتعل : أي امتلا ، وهذه استعارة مكنية حيث شبه الرأس الذي امتلا بالشيب بالحطب الذي اشتعلت فيه النار فكما أن النار تأتي على الحطب كله فتأكله كذلك الشيب عم الرأس كله ، وهذه من أحسن الاستعارات وأبدعها(٣).

بدعائك ربك شقيا : أي حينما كنت أدعوك فيما مضى لم أكن من الأشقياء الذين لم تجب دعاءهم ، بل كنت تجب دعائي(٤).

الموالي : هم العصبة والاقرباء خاف أن يتصرفوا بعد موته تصرفاً سيئا(٥).

عاقرًا : أي لا تلد(٦).

يرثني : اختلف المفسرون في المقصود بهذا الميراث على قولين :

القول الأول : يرثني في النبوة والعلم .

رواه الطبري عن مجاهد ، والحسن البصري ، والسدي(٧).

وهو اختيار ابن كثير(٨) ، والشوكاني(٩).

١ـ مريم ٢ـ٧.
٢ـ انظر تفسير الطبري ٤٦/١٦. والبغوي ١٨٨/٣.
٣ـ وانظر تفسير القرطبي ٧٧/١١. والشوكاني ٣٦١/٣.
٤ـ انظر تفسير الطبري ٤٦/١٦. وابن كثير ١١٢/٣.
٥ـ انظر تفسير القرطبي ٧٨/١١. وابن كثير ١١٢/٣.
٦ـ انظر تفسير البغوي ١٨٨/٣. والشوكاني ٣٦٢/٣.
٧ـ انظر تفسير الطبري ٤٨/١٦.
٨ـ انظر تفسير ابن كثير ١١٢/٣.

واستدل هؤلاء بما يأتي :

١ـ أن الأنبياء لا يورثون لما ثبت في الصحيحين عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه قال : " لا نورث ما تركناه صدقة "(١) ، وفي رواية لأبي داود ، والترمذي في الشمائل المحمدية " كل مال نبي صدقة إلا ما أطعمه أهله وكساهم ، إنا لا نورث "(٢).

٢ـ عن أبي الدرداء(٣) رضي الله عنه قال: قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ " إن العلماء ورثة الأنبياء ، وإن الأنبياء لم يُوَرِّثوا دينارًا ولا درهما وإنما وَرَّثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر . . . "(٤) الحديث .

فدل هذان الحديثان على أن الأنبياء لا يورثون شيئا من المال .

القول الثاني : يرث مالي بعد وفاتي .

٩ـ انظر تفسير الشوكاني ٣/٣٢٢.

١ـ أخرجه البخاري ٨/٣. ومسلم ٣/١٣٧٩.

٢ـ أخرجه أبو داود ٣/٣٨٠ والترمذي في الشمائل المحمدية ٣٦٦ وصححه الألباني في مختصر الشمائل ٢٠٤.

٣ـ هو : عويمر بن عامر ، ويقال : عامر بن مالك ، ويقال : غير ذلك ، الأنصاري الخزرجي . صاحب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ . أسلم يوم بدر ، وشهد أحد . تولى قضاء دمشق في خلافة عمر رضي الله عنهما . توفي عام ٣٢ . وانظر سير أعلام النبلاء ٢/٣٣٥/٣٥٣. والإصابة ٣/٤٥ـ٤٦.

٤ـ أخرجه أحمد ٥/١٩٦ وأبو داود ٤/٥٨ والترمذي ٥/٤٨ـ٤٩ وابن ماجة ١/٨١ من حديث طويل في فضل العلم وصححه الألباني في صحيح الجامع ٥/٣٠٢.

رواه الطبري عن أبي صالح(١) ، واختاره(٢) وعزاه البغوي (٣) إلى الحسن البصري.

واستدل أصحاب هذا القول بالأدلة الآتية :

١- ما أخرجه ابن جرير عن الحسن أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : "رحم الله أخي زكريا ، ما كان عليه من ورثة ما له حين يقول:﴿ فهب لى من لدنك وليًا يرثنى ويرث من ءال يعقوب ﴾(٤) ".

٢- ما أخرجه ابن جرير عن قتادة قال : ذُكر لنا أن نبي الله - صلى الله عليه وسلم - كان إذا قرأ هذه الآية وأتى على ﴿ يرثنى ويرث من ءال يعقوب ﴾(٥) قال : " رحم الله زكريا ما كان عليه من ورثته ".

٣- ما أخرجه ابن جرير عن قتادة أيضا قال : أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : " يرحم الله زكريا وما كان عليه من ورثته ، ويرحم الله لوطا إن كان ليأوي إلى ركن شديد "(٦).

وهذه الأحاديث كلها مرسلة فلا تعارض ما تقدم من الأحاديث الصحيحة(٧).

والراجح القول الأول لقوة أدلته ، وضعف المعارض لها . والله أعلم .

١- هو باذام ويقال باذان أبو صالح مولى أم هانئ. وروى عنها ، وعن علي وابن عباس . وعنه الأعمش ، والثوري ، وإسماعيل السدي - راوي عنه هذا الأثر - وهو من طبقة أبي صالح السمان . وهو ضعيف الحديث . وانظر سير أعلام النبلاء ٣٧/٥-٣٨ . وتهذيب التهذيب ٤١٦/١-٤١٧.

٢- انظر تفسير الطبري ٤٧/١٦-٤٨.

٣- انظر تفسيره ١٨٩/٣.

٤- مريم ٥-٦.

٥- مريم ٦.

٦- أخرج هذه الأحاديث الثلاثة ابن جرير في تفسيره ٤٨/١٦.

٧- وانظر تفسير ابن كثير ١١٢/٣. والبداية والنهاية ٤٤/٢-٤٥.

رضيا : أي مرضيا عندك وعند خلقك في دينه وخُلُقِه(١).

٣ـ وقوله تعالى ﴿ وزكريا إذ نادىٰ ربه رب لا تذرني فرداً وأنت خير الوارثين فاستجبنا له ووهبنا له يحيىٰ وأصلحنا له زوجه ﴾(٢).

معاني المفردات

وأصلحنا له زوجه(٣) : اختلف المفسرون في معنى إصلاح الله له زوجه على ثلاثة أقوال :

القول الأول : أنها كانت عقيما فجعلها ولوداً.

رواه ابن جرير عن ابن عباس(٤)، وسعيد بن جبير(٥)، وقتادة(٦). وقال البغوي : " قاله أكثر المفسرين "(٧).

القول الثاني : أنه كان في لسانها طول أو أنها سيئة الخلق فأصلحها الله.

١ـ انظر تفسير ابن كثير ١١٢/٣. والشوكاني ٣٢٣/٣.
٢ـ الأنبياء ٨٩ـ٩٠.
٣ـ وهي : أشياع بنت عمران أخت مريم عليها السلام . وانظر البداية والنهاية ٥٠/٢.
٤ـ وهذا الأثر ضعيف عن ابن عباس رضي الله عنهما لأنه من رواية ابن جريج قال: قال ابن عباس ، وابن جريج لم يدرك ابن عباس ، ولهذا قال القطان في ابن جريج : " وإذا قال : قال فلان فهو شبه الريح" وقال أحمد : إذا قال : قال فلان جاء بمناكير ، وفي رواية فاحذروه. وانظر سير أعلام النبلاء ٣٢٥/٦ـ٣٣٦. وتهذيب التهذيب ٤٠٢/٦ـ٤٠٦
٥ـ هو سعيد بن جبير بن هشام الأسدي، أحد أئمة التابعين . روى عن ابن عباس ، وابن عمر ، وأبي هريرة ، وعنه يعلى بن مسلم ، وآدم بن سليمان، وعطاء بن السائب . قتله الحجاج عام ٩٥أو ٩٤ ـ رحمه الله ـ. وانظر حلية الأولياء ٢٧٥/٤ـ٣٠٩. وتهذيب التهذيب ١١/٤ـ١٤.
٦ـ انظر تفسير الطبري ٨٣/١٧.
٧ـ انظر تفسير البغوي ٢٧٦/٣.

ذكره ابن كثير عن عطاء(١) ، ومحمد بن كعب (٢) ، والسدي(٣).

القول الثالث : أن الله جعلها ولودا وأصلح طول لسانها وخلقها .

وهذا جمع بين القولين السابقين . واختاره الطبري والشوكاني(٤).

وأولى هذه الأقوال هو القول الأول لما يأتي:

١ـ أن القول بأن أخلاقها كانت سيئة ولسانها كان طويلا قبل دعاء زكريا عليه السلام . دعوى تحتاج إلى دليل .

٢ـ أن زكريا عليه السلام لم يدع الله بأن يصلحها من سوء خلق . وإنما قال ﴿ وكانت امرأتى عاقرًا ﴾(٥). فشكا إلى الله عدم إنجابها .

٣ـ أن زكريا عليه السلام دعا بهذا الدعاء للحصول على الذرية . كما قال ﴿ رب هب لى من لدنك ذرية طيبة ﴾(٦) وقال ﴿ فهب لي من لدنك وليًا ﴾(٧) وقال ﴿ رب لا تذرنى فردًا ﴾(٨). فهذه الآيات تدل على أنه إنما كان يسأل الله

١ـ هو : عطاء بن أبي رباح. اسمه : أسلم القرشي مولاهم ، أبو محمد المكي . روى عن ابن عباس ، وابن عمر ، وجابر ، وغيرهم ، وعنه مجاهد ، والزهري ، والأعمش ، وطلحة بن عمرو ــ راوي هذا الأثر عنه ــ . توفي عام ١١٤أو ١١٥. وانظر سير أعلام النبلاء ٥/٧٨ـ٨٨. وتهذيب التهذيب ١٩٩ـ٢٠٣.

٢ـ هو : محمد بن كعب القرظي، أبو حمزة . حدث عن أبي هريرة ، وابن عباس ، وابن عمر . وعنه أخوه عثمان ، ويزيد بن الهاد ، وابن عجلان . كان من أئمة التفسير . توفي عام ١١٧ تقريبا. وانظر طبقات خليفة ٢٦٤ ، وسير أعلام النبلاء ٥/٦٥ ــ ٦٨.

٣ـ انظر تفسير ابن كثير ٣/١٩٤.

٤ـ انظر تفسير الطبري ١٧/٨٣. والشوكاني ٣/٤٢٥.

٥ـ مريم ٥ .

٦ـ آل عمران ٣٨ .

٧ـ مريم ٥.

٨ـ الأنبياء ٨٩

الذرية .

٤ـ أن الملائكة إنما بشرته بيحيى عليه السلام لأنه دعاء الله أن يرزق ولداً ولو أنه سأل الله صلاح زوجته لأخبروه به .

وبشارته بيحيى متضمنة البشارة بصلاح زوجه للولادة ، والدليل على هذا أن الملائكة لما بشرته بيحيى قال : ﴿ رب أنىٰ يكون لى غلٰم وقد بلغنى الكبر وامرأتى عاقر قال كذٰلك الله يفعل ما يشاء ﴾(١). وقال : ﴿ رب أنىٰ يكون لى غلٰم وكانت امرأتى عاقرًا وقد بلغت من الكبر عتيًا قال كذٰلك قال ربك هو علىّ هين وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئًا ﴾(٢). وقال في هذه الآية ﴿ فاستجبنا له ووهبنا له يحيىٰ وأصلحنا له زوجه﴾(٣).

ففي الآيتين الأوليين تعجب عليه السلام كيف ستلد امرأته وهي عاقر ، فأخبره الله أن ذلك أمر سهل ويسير عليه سبحانه وتعالى . وفي الآية الثالثة أخبر الله بأنه أصلح زوجه للولادة .

المعنى

بمجموع هذه الآيات يتبين لنا كيف أوحت الملائكة لزكريا عليه السلام .

وذلك أن زكريا عليه السلام كان متكفلاً بمريم عليها

١ـ آل عمران ٤٠.
٢ـ مريم ٨ـ٩.
٣ـ الأنبياء ٩٠.

السلام ، فإذا جاء ليتفقد حالها وجد عندهاطعامًا في غير حينه فتعجب من ذلك ، وسأل مريم عليها السلام من أين لك هذا الطعام فأجابته أنه من عند الله والله يرزق من يشاء بغير حساب. عند ذلك تأمل في هذا الطعام الذي يأتيها في غير حينه ونظر إلى نفسه وحاجته إلى الولد ، فسأل نفسه : هل يمكن أن يأتيه ولد في غير حينه ـ وهو شيخ كبير ـ وامرأته عاقر لا تلد ؟

ولقوة ما عنده من الإيمان والثقة بالله عز وجل صار ينكسر بين يدي الله ويدعوه بدعاء خفي لا يسمعه أحد من الناس . بين فيه كِبَرَه وضعفه ، وافتقاره إليه . وأنه قد أجاب دعاءه الذي دعاه به وهو قوي . وهو الآن بأمس الحاجة إلى ولد يرث النبوة والعلم منه ، وقد تعددت أسباب الحاجة إلى الولد .

فمرة يقول : ﴿ رب هب لى من لدنك ذرية طيبة ﴾(١) فسأل الله الذرية ، وأن تكون صالحة .

ومرة يقول ﴿ فهب لى من لدنك وليًا يرثنى ويرث من ءال يعقوب واجعله رب رضيًا ﴾(٢) فسأل الله أن يكون هذا الولد من أولياء الله ، وأنيورثه النبوة والعلم . ويرث من آل يعقوب النبوة ، وأن يكون مرضيا عنه .

ومرة يقول : ﴿ رب لا تذرنى فردًا ﴾(٣) فسأل الله أن لا يبقيه فردًا لأنه بحاجة إلى الولد ليساعده في أموره . وطَلَبُ الولدِ أمر فطري تتوق إليه كل نفس .

فهذه أسباب شرعية لطلب الولد .

أضف إلى ذلك أنه خاف من قرابته إذا مات أن

١ـ آل عمران ٣٨.
٢ـ مريم ٥ـ٦ .
٣ـ الأنبياء ٨٩.

يتصرفوا تصرفا سيئا ولما كان الله قد أكرم مريم بهذه الكرامة العظيمة في غير حينها سأل الله أن يرزقه ولدا وإن كان في غير حينه، لأنه شيخ كبير وامرأته عاقر .

فاستجاب الله له دعاءه وجاءته البشرى من قبل الملائكة وهو قائم يصلي في مكان عبادته بأن الله يبشرك بيحيى مصدقا بكلمة من الله وسيدا وحصورًا ونبيا من الصالحين.

فهذه بشارات عظيمة لزكريا عليه السلام ، نستعرضها عند الحديث عن بشارة الملائكة لزكريا(١) إن شاء الله تعالى.

١- انظر ص ١٢٥ـ١٢٦.

رابعا : ومن الأنبياء الذين أوحى الله إليهم نبينا محمد صلى الله عليه وسلم .

لاشك أن جبريل عليه السلام هو الذي كان ينزل بالوحي على النبي - صلى الله عليه وسلم - إلا الشيء النادر الذي كان يشاركه غيره من الملائكة كما سبق بيانه(١).

وقد تعددت الآيات في هذا المعنى :

١- قال تعالى ﴿ قل من كان عدوًا لجبريل فإنه نزله علىٰ قلبك بإذن الله مصدقًا لما بين يديه وهدىً وبشرىٰ للمؤمنين ﴾(٢).

سبب نزول الآية :

ما ثبت عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال : «أقبلت يهود إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقالوا: يا أبا القاسم إن نسألك عن أشياء فإن أنبأتنا بهن عرفنا أنك نبي واتبعناك قال : فأخذ عليهم ما أخذ إسرائيل على بنيه: أن قال: الله على ما نقول وكيل . قالوا: فأخبرنا من صاحبك الذي يأتيك من الملائكة ، فإنه ليس من نبي إلا يأتيه ملك بالخبر فهي التي نتابعك إن أخبرتنا . قال : جبريل . قالوا: ذاك الذي ينزل بالحرب والقتال ، ذاك عدونا لو قلت ميكائيل الذي ينزل بالنبات والقطر والرحمة . فأنزل الله عز وجل ﴿من كان عدوًا لجبريل فإنه نزله على قلبك ﴾(٣). إلى

١- في مبحث : الملك الموكل بالوحي ص ٤٨-٥٢.
٢- البقرة ٩٧.
٣- البقرة ٩٧.

آخر الآية(١).

معاني المفردات

بإذن الله : أي بأمره(٢).

لما بين يديه : أي لما قبله من الكتب(٣).

هدى : أي يدلهم ويرشدهم إلى كل خير(٤).

المعنى

في هذه الآية يرد الله على حماقة اليهود المضحكة لعدم إيمانهم بالنبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ .

وزعمهم في ذلك أن الذي ينزل عليه بالوحي جبريل الذي هو عدوهم من الملائكة. ويزعمون أنه إنما ينزل بالعذاب والدمار . ولو كان النازل به ميكائيل الموكل بالمطر لآمنوا بالنبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ .

وسبب النزول يدل على أنهم يريدون أن يتمسكوا ولو بمثل نسج العنكبوت ليعللوا به عدم إيمانهم بالنبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ .

وقد توعد الله على هذا الزعم ، وبين أن من كان عدوًا لجبريل فالله عدو له ، لأنه رسول من رسل الله نزل بالقرآن

١ـ أخرجه أحمد ٢٧٤/١. والترمذي ٢٩٤/٥ والطبري ٣٧٧/١٠ـ ٣٧٨ ، تحقيق شاكر ـ مطولا ـ وابن أبي حاتم في تفسيره ٢٨٨/١ـ ٢٨٩ . واللفظ له وحسن إسناده المحقق . والبيهقي في دلائل النبوة ٢٦٦/٦ـ ٢٦٧، والواحدي ٣١. وذكره الهيثمي في المجمع ٢٤٤/٨ـ ٢٤٥. وقال: رواه أحمد والطبراني ورجالهما ثقات . وصحح إسناده أحمد شاكر في تحقيقه لتفسير الطبري ٣٧٨/١.

٢ـ انظر تفسير الطبري ، تحقيق شاكر ٣٨٧/١. وتفسير ابن أبي حاتم ٢٨٩/١.

٣ـ انظر تفسير الطبري ، تحقيق شاكر ٣٩٢/١ـ ٣٩٣. وتفسير ابن أبي حاتم ٢٩٠/١.

٤ـ انظر تفسير الطبري ٣٩٣/٢، تحقيق شاكر.

على قلب النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ الذي هو مكان التلقي والحفظ ، ثم إن هذا القرآن الذي نزل به جبريل مصدقاً لما في التوراة وغيرها من الكتب السابقة ، فلو أنصفوا لآمنوا به لأنه جاء مصدقاً للحق الذي في كتبهم التي بين أيديهم .

ثم إن جبريل عليه السلام نزل بهذا القرآن وهو يهدي المؤمنين ويرشدهم ويدلهم إلى الخير . ويبشرهم بالخير الدنيوي كالتمكين في الأرض،ونصرهم على عدوهم،والأمن بعد الخوف . ويبشرهم بالخير الأخروي ، كدخول الجنة،والفوز برضى الله سبحانه وتعالى . فهذا القرآن الذي نزل به جبريل عليه السلام فيه خير عظيم للمؤمنين فما المانع لهم من الإيمان؟ فكشف الله عن حقدهم وكرههم للنبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأقام عليهم الحجة بهذه الآية .

ومن الآيات الدالة على نزول جبريل بالوحي على النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ

٢ـ قوله تعالى ﴿ قل نزله روح القدس من ربك بالحق ليثبت الذين ءامنوا وهدىً وبشرىٰ للمسلمين ﴾(١).

معاني المفردات

روح القدس : هو جبريل عليه السلام(٢).

القدس : أي الطهر وأضاف الروح إليه من باب إضافة

١ـ النحل ١٠٢.

٢ـ انظر تفسير القرطبي ١٠/١٧٧. وابن كثير ٢/٥٨٧.

الموصوف إلى الصفة(١).

بالحق : الحق هو الصدق في الأخبار والعدل في الأحكام(٢) .

المعنى

لما نزل قوله تعالى ﴿ وإذا بدلنا ءاية مكان ءاية والله أعلم بما ينزل قالوا إنما أنت مفتر بل أكثرهم لا يعلمون ﴾(٣).
رد الله في هذه الآية على كفار قريش الذين لا يعرفون حكمة النسخ في كتاب الله عز وجل .

قال سيد قطب : إن المشركين لا يدركون وظيفة هذا الكتاب . لا يدركون أنه جاء لإنشاء مجتمع عالمي إنساني، وبناء أمة تقود هذا المجتمع العالمي . وأنه الرسالة الأخيرة التي ليست بعدها من السماء رسالة ، وأن الله الذي خلق البشر عليم بما يصلح لهم من المبادىء والشرائع . فإذا بدل آية انتهى أجلها واستنفذت أغراضها ، ليأتي بآية أخرى أصلح للحالة الجديدة التي صارت إليها الأمة ، وأصلح للبقاء بعد ذلك الدهر الطويل الذي لا يعلمه إلا هو . حسبوها افتراء منه، وهو الصادق الأمين الذي لم يعهدوا عليه كذبا(٤) .

فيقول الله تعالى : قل لهم يا محمد إن الذي نزله هو جبريل عليه السلام وأنه ملاصق للحق وملابس له لا يمكن أن ينفك عنه فلا كذب في أخباره ولا ظلم في أحكامه.

ثم إن في هذا النسخ فائدة جليلة جدا وهي تثبيت

١- انظر تفسير البيضاوي ٥٥٧/١. والشوكاني ١٩٤/٣.
٢- انظر تفسير ابن كثير ٥٨٧/٢. والسعدي ١١٨/٤.
٣- النحل ١٠١.
٤- انظر في ظلال القرآن ٢١٩٤/٤، بتصرف.

المؤمنين على الإيمان وذلك أنهم إذا علموا أنه شرع حكمًا من الأحكام ثم نسخه علموا أنه أبدله بمثله أو بخير منه لهم ، وإن نسخه هو الموافق لحكمة الله تعالى ، كما قال تعالى ﴿ ما ننسخ من ءاية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها ﴾(١).

ثم إنه يدل المسلمين ويرشدهم إلى ما فيه الخير في دينهم ودنياهم ويبشرهم بالخير الدنيوي والأخروي .

ومن الآيات الدالة على نزول جبريل بالوحي على النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ :

٣ـ قوله تعالى ﴿ ولا تعجل بالقرءان من قبل أن يقضىٰ إليك وحيه وقل رب زدني علمًا ﴾(٢) .

٤ـ وقوله تعالى ﴿ وإنه لتنزل رب العٰلمين نزل به الروح الأمين علىٰ قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربى مبين ﴾(٣).

معاني المفردات

نزل به الروح الأمين : قرأ نافع(٤) ، وابن كثير(٥) ،

١ـ البقرة ١٠٦.

٢ـ طه ١١٤ .

٣ـ الشعراء ١٩٢ـ١٩٥.

٤ـ هو نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم الليثي المدني . أحد القراء السبعة، قرأ على الأعرج ، وأبي جعفر القارئ ، ومسلم بن جندب . وقرأ عليه مالك ، وقالون ، وورش ، وغيرهم ، إمام الناس في القراءة بالمدينة. توفي عام ١٦٩ تقريبا . وانظر معرفة القراء ١/١٠٧ـ١١١ . وطبقات ابن الجزري ٢/٣٣٠ـ٣٣٤.

٥ـ هو : عبد الله بن كثير بن المطلب الداري المكي . أحد القراء السبعة . وإمام أهل مكة في القراءة ، قرأ على عبد الله بن السائب ، ومجاهد ، ودرباس مولى ابن عباس ، وقرأ عليه أبو عمرو بن العلاء ، وشبل بن عَباد، وسفيان بن عيينة ، وغيرهم . توفي عام ١٢٠. وانظر معرفة القراء ١/٨٦ـ٨٨. وطبقات ابن الجزري ١/٤٤٣ـ٤٤٥.

وأبو عمرو(١) ، وحفص(٢)، وأبو جعفر(٣) ﴿نَزَلَ﴾ بتخفيف الزاي ورفع ﴿الروحُ﴾ على أنه فاعل ، ورفع ﴿الأمينُ﴾ لأنه صفة له . وحجتهم في ذلك قوله تعالى ﴿ قل نزله روح القدس من ربك ﴾(٤). وقوله ﴿ فإنه نزله علىٰ قلبك بإذن الله ﴾(٥). فلما كان في هذين الموضعين جبرائيل هو الفاعل بإجماع ، ردوا ما اختلفوا فيه إلى ما أجمعوا عليه .

وقرأ الباقون : بتشديد الزاي في ﴿ نَزَّلَ ﴾ ونصب ﴿الروحَ﴾ على أنه مفعول به . وفاعل نزل ضمير مستتر تقديره هو يعود على الله تعالى . ونصب ﴿ الأمينَ ﴾ لأنه صفة للروح، والمعنى : نَزَّلَ اللهُ بالقرآن الروحَ .

وحجتهم في ذلك : أنه أتى عقيب الخبر عن تنزيل القرآن وهو قوله ﴿ وإنه لتنزيل رب العٰلمين ﴾(٦) والتنزيل مصدر نَزَّلَ بالتشديد فكأن قوله ﴿ نزل به الروح الأمين ﴾(٧) كان مردودًا على ما تقدمه من ذكر الله تعالى ليكون آخر

١- هو زبان بن العلاء بن عمار أبو عمرو المزني . أحد القراء السبعة ، ومقرء أهل البصرة ، قرأ على الحسن البصري ، وعاصم بن أبي النجود، وابن كثير . وقرأ عليه ابن المبارك ، والاصمعي ، وسيبويه ، وغيرهم . توفي عام ١٥٤ . وانظر معرفة القراء ١/١٠٠-١٠٥ . وطبقات ابن الجزري ١/٢٨٨-٢٩٢.

٢- هو : حفص بن سليمان أبو عمرو الأسدي الكوفي . صاحب عاصم وابن زوجته ، وقرأ عليه مرارًا . وقرأ عليه حسين بن علي الجعفي ، وحمزة ابن القاسم ، وخلف الحداد. توفي عام ١٨٠ . وانظر معرفة القراء ١/١٤٠-٢٤١. وطبقات ابن الجزري ٢٥٤-٢٥٥.

٣- هو : يزيد بن القعقاع أبو جعفر المخزومي المدني . أحد القراء العشرة. وهو من التابعين قرأ على مولاه عبد الله بن عياش ، وقرأ على أبي هريرة ، وابن عباس رضي الله عنهم . وقرأ عليه نافع ، وسليمان بن جماز، وعبد الرحمن بن أسلم . توفي عام ١٣٦ تقريبا. وانظر معرفة القراء ١/٧٢-٧٦. وطبقات ابن الجزري ٢/٣٨٢-٣٨٤.

٤- النحل ١٠٢.

٥- البقرة ٩٧.

٦- الشعراء ١٩٢.

٧- الشعراء ١٩٣.

الكلام منظومًا على لفظ أوله إذ كان على سياقه(١).

والجمع بين معنى القراءتين أن يقال : إن الروح الأمين ـ جبريل عليه السلام ـ إذا نزل على محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ بالقرآن لم ينزل به إلا بأمر الله تعالى(٢) ويدل لهذا المعنى عموم قوله تعالى ﴿ وما نتنزل إلا بأمر ربك﴾(٣).

المعنى

في هذه الآيات بيان لنزول القرآن ، الذي ذكره الله في أول السورة وأن الكفار لم يؤمنوا به . قال تعالى ﴿ وما يأتيهم من ذكر من الرحمٰن محدث إلا كانوا عنه معرضين ﴾(٤).

وبين في هذه الآيات أن هذا القرآن لا يمكن أن يدخله ما ليس منه ، أو أن يخرج منه شيء على أي حال من الأحوال لأن الله تعالى هو الذي نزّله ووكل به جبريل الأمين الذي من شأنه أن لا يخون الرسالة .

ثم إن جبريل نزله على مكان التلقي والحفظ من النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهو القلب حتى لا يقول أحد بأنه ما حفظ أو لعله قد نسي . ثم إن الله قد تكفل بحفظه فلا تعجل بقراءته خشية أن تنساه . وقد نزل بلغة العرب فلا حجة لكفار قريش في عدم فهم هذا القرآن لأنه نزل بلغتهم ولسانهم الفصيح . وهو بائن في نفسه مبين لما فيه من العقائد والشرائع والقصص وغير ذلك .

ولو نزل بغير لغتهم لقالوا كما قال الله عنهم ﴿ ولو

١ـ انظر حجة القراءات ٥٢٠ـ٥٢١. والنشر في القراءات العشر ٣٣٦/٢ . والمهذب ٩٧/٢.
٢ـ انظر تفسير الطبري ١١٢/١٩.
٣ـ مريم ٦٤.
٤ـ الشعراء ٥.

جعلنٰه قرءانًا أعجميًا لقالوا لولا فصلت ءايٰته ءاعجمى وعربى ﴾(١).

فما أعظم هذا القرآن لأنه كلام الله سبحانه وتعالى الذي نزل به أفضل الملائكة على قلب أفضل البشر لتتعبد به خير أمة أخرجت للناس .

ومن الآيات الدالة على نزول جبريل بالوحي على النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ

٥ـ قوله تعالى ﴿ وما ينطق عن الهوىٰ إن هو إلا وحى يوحىٰ علمه شديد القوىٰ ذو مرة فاستوىٰ وهو بالأفق الأعلىٰ ثم دنا فتدلىٰ فكان قاب قوسين أو أدنىٰ فأوحىٰ إلىٰ عبده ما أوحىٰ ﴾(٢).

معاني المفردات(٣).

وما ينطق عن الهوى : أي ما يتكلم محمد صلى الله عليه وسلم بما تحبه نفسه وتهواه(٤).

واختلف المفسرون في المراد بذلك على قولين :

القول الأول : أنه كل ما يبلغه النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ عن الله. قاله ابن كثير(٥) ، والشوكاني(٦) ، وصديق حسن خان(٧) ، والسعدي(٨) ، والشنقيطي(٩) .

واستدل هؤلاء بما يأتي :

١ـ فصلت ٤٤.

٢ـ النجم ٣ـ١٠.

٣ـ تقدم ذكر بعض معاني المفردات ص ٣٦.

٤ـ انظر تفسير الرازي ٢٨/٢٨١.

٥ـ انظر تفسير ابن كثير ٤/٢٤٨.

٦ـ انظر تفسير الشوكاني ٥/١٠٥.

٧ـ انظر فتح البيان ٩/١٥٩.

٨ـ انظر تفسير السعدي ٨/٤٠.

٩ـ انظر أضواء البيان ٧/٧٠٢.

١ـ قوله تعالى ﴿ وأنزل الله عليك الكتب والحكمة ﴾[١] والحكمة هي السنة[٢].

٢ـ ما أخرجه الإمام أحمد ، وأبو داود ، والدارمي ، والحاكم عن عبد الله بن عمرو[٣] رضي الله عنه قال: "كنت أكتب كل شيء أسمعه من رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أريد حفظه فنهتني قريش فقالوا : إنك تكتب كل شيء تسمعه من رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، ورسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بشر يتكلم في الغضب والرضا . فأمسكت عن الكتاب ، فذكرت ذلك لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال : اكتب فوالذي نفسي بيده ما خرج مني إلا حق "[٤].

فدلت الآية والحديث على أن كلام الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ في شرع الله وحي لا ينطق به عن الهوى .

القول الثاني : أنه القرآن خاصة

قاله الطبري[٥] ، وابن الجوزي[٦] ، وذكره القرطبي

١ـ النساء ١١٣.

٢ـ انظر تفسير ابن كثير ٥٥٥/١.

٣ـ هو عبد الله بن عمرو بن العاص بن وائل السهمي صحابي جليل. وكان يكتب للنبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال أبو هريرة ـ رضي الله عنه ـ : ما كان أحد أحفظ مني لحديث رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ إلا عبد الله بن عمرو فإنه يكتب ولا أكتب . توفي عام ٦٥ تقريبا . وانظر الطبقات الكبرى ٢٦١/٤ـ٢٦٨. وأسد الغابة ٣٤٩/٣ـ٣٥١.

٤ـ أخرجه أحمد ١٦٢/٢، واللفظ له . وأبو داود ٦٠/٤ـ٦١. والدارمي ١٢٥/١. والحاكم ١٠٥/١ـ١٠٦. وذكره الحافظ في الفتح ٢٠٧/١، وقال: ولهذا طرق أخرى عن عبد الله بن عمرو يقوي بعضها بعضا ، وصحح إسناده أحمد شاكر في تعليقه على المسند ١٥/١٠. وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود ٦٩٥/٢. وهذا الحديث لا يعارض نهي النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن يكتب عنه شيء غير القرآن ، لأن النهي كان في أول الإسلام خشية أن يختلط القرآن بغيره . فلما مُيز القرآن أذن بالكتابة . وانظر تهذيب السنن لابن القيم ٢٤٥/٥ـ٢٤٦.

٥ـ انظر تفسير الطبري ٤٢/٢٧.

٦ـ انظر تفسير ابن الجوزي ٦٣/٨.

عن قتادة(١). ، وقال به القاسمي .

واستدل القاسمي على ذلك بما يأتي :

١ـ أن سياق الآيات يدل على أن المراد به القرآن .

٢ـ أن إنكار المنكرين كان في شأن القرآن(٢).

الترجيح :

الراجح هو القول الأول لقوة أدلتهم .

ويجاب عن أدلة أصحاب القول الثاني بالآتي :

١ـ قولهم إن السياق يدل على أن المراد القرآن .

يجاب عنه : بأن قوله تعالى ﴿ وما ينطق عن الهوىٰ﴾(٣) لفظ عام يشمل القران وغيره.

٢ـ وأما قولهم بأن إنكار المنكرين كان في شأن القرآن .

يجاب عنه : بأن تنزيه النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ عن النطق بالهوى فيما يقول من الشرع دليل على تنزيه القرآن ، وذلك أنه هو المبلغ عن الله وهو المفسر لكلام الله عز وجل كما قال تعالى ﴿ وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ﴾(٤) فتنزيه كلام النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ تنزيه للقرآن .

وعلى هذا فالقول الأول أولى من القول الثاني . والله أعلم .

شديد القوى : هو جبريل عليه السلام(٥).

استوى : اختلف المفسرون في معنى استواء جبريل

١ـ انظر تفسير القرطبي ٨٤/١٧.

٢ـ انظر تفسير القاسمي ٢٣٢/١٥ـ٢٣٣.

٣ـ النجم ٣.

٤ـ النحل ٤٤ .

٥ـ انظر تفسير الطبري ٤٢/٢٧. وابن كثير ٢٤٨/٤.

على قولين :

القول الأول : كمل جبريل واعتدل على صورته الحقيقية وهو بالأفق . ذكره ابن الجوزي(١) ، واختاره ابن كثير(٢).

ومن الأدلة لهذا ما يأتي :

١ـ أن الاستواء في اللغة إذا عدي بعلى فمعناه العلو والارتفاع : مثل قوله تعالى ﴿ الرحمٰن على العرش استوىٰ ﴾(٣) وقوله ﴿ لتستووا على ظهوره ﴾(٤) وقوله ﴿ واستوت على الجودى ﴾(٥).

أما إذا لم يعد بحرف فإن معناه التمام والكمال قال تعالى ﴿ ولما بلغ أشده واستوىٰ ءاتينٰه حكمًا وعلمًا وكذٰلك نجزى المحسنين ﴾(٦).

٢ـ أن رؤية النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ لجبريل في ليلة الإسراء ذكرها الله بعد هذه الآيات بقوله ﴿ ولقد رءاه نزلة أخرىٰ عند سدرة المنتهىٰ ﴾(٧). وهذه الرؤيه قبل الإسراء(٨).

القول الثاني : بمعنى علا وارتفع جبريل هو والنبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ في الأفق ليلة الإسراء .

ومن قال بذلك الطبري(٩) ، وابن الجوزي(١٠).

١ـ انظر تفسير ابن الجوزي ٨/٦٤ـ٦٥.
٢ـ انظر تفسير ابن كثير ٤/٢٤٩.
٣ـ طه ٥.
٤ـ الزخرف ١٣.
٥ـ هود ٤٤ .
٦ـ القصص ١٤.
٧ـ النجم ١٣ـ١٤.
٨ـ انظر تفسير ابن كثير ٤/٢٤٩.
٩ـ انظر تفسير الطبري ٢٧/٤٣.
١٠ـ انظر تفسير ابن الجوزي ٨/٦٤.

واستدلوا على ذلك بأنه جائز في اللغة . وهو مثل قوله تعالى ﴿ أءذا كنا ترابًا وءباؤنا ﴾(١) . فعطف الآباء على المكني في ﴿كنا ﴾ من غير إظهار ﴿نحن﴾(٢).

والراجح القول الأول .

وقد أجاب ابن كثير على ما استدل به الطبري بقوله "بأنه متجه من حيث اللغة ولكن لا يساعده المعنى على ذلك لان هذه الرؤيه لم تكن ليلة الإسراء ، وإنما في أوائل البعثة ، ثم رأه بعد ذلك ليلة الإسراء عند سدرة المنتهى(٣).

الأفق الأعلى : جهة السماء قالت عائشة ـ رضي الله عنها ـ " أتاه في هذه المرة في صورته التي هي صورته ، فسد أفق السماء "(٤).

دنا : أي قرب من النبي صلى الله عليه وسلم .

تدلى : أي نزل. وهذا من المؤخر الذي معناه التقديم كما تقول : زارني فلان فأحسن لي أي أحسن اليّ فزارني(٥). حيث كانت زيارته إحسانًا لي .

قاب : أي قدر ، أو قيد .

فأوحى إلى عبده ما أوحى : اختلف المفسرون في معنى هذه الآية على قولين :

القول الأول : أوحى جبريل إلى النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ما أمره الله بتبليغه إياه .

رواه الطبري(٦) ، والبغوي(٧) عن الحسن البصري ،

١ـ النمل ٦٧.
٢ـ انظر معاني القرآن للفراء ٩٥/٣. وتفسير الطبري ٤٣/٢٧.
٣ـ انظر تفسير ابن كثير ٢٤٩/٤.
٤ـ أخرجه مسلم ١٦١/١.
٥ـ انظر تفسير الطبري ٤٤/٢٧. والقرطبي ٨٨/١٧ـ٨٩.
٦ـ انظر تفسير الطبري ٤٧/١٧.
٧ـ انظر تفسير البغوي ٢٤٦/٤.

والربيع بن أنس ، وابن زيد(١).

واستدل من قال بهذا القول بما يأتي :

١ـ ما ثبت في صحيح البخاري أن زرًّا(٢) سُئل عن قوله تعالى ﴿ فكان قاب قوسين أو أدنىٰ فأوحىٰ إلىٰ عبده ما أوحىٰ ﴾(٣) ، قال : أخبرنا عبد الله ـ يعني ابن مسعود ـ "أنه محمد صلى الله عليه وسلم رأى جبريل له ستمائة جناح"(٤).

٢ـ ما ثبت في صحيح مسلم عن مسروق(٥) قال : قلت لعائشة : فأين قوله : ﴿ ثم دنا فتدلىٰ فكان قاب قوسين أو أدنىٰ فأوحىٰ إلىٰ عبده ما أوحىٰ ﴾(٦) قالت : " إنما ذاك جبريل صلى الله عليه وسلم ، كان يأتيه في صورة الرجال ، وإنه أتاه في هذه المرة في صورته التي هي صورته ، فسد أفق السماء "(٧).

٣ـ أن هذا المناسب للسياق ، فإن السورة من أولها تخبر عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ وجبريل عليه

١ـ هو عبد الرحمن بن زيد بن أسلم العدوي . حدث عن أبيه ، وابن المنكدر، وصفوان بن سليم . وعنه أصبغ،وابن وهب ، وسفيان بن عيينة . جمع تفسيرًا في مجلد ، وله كتاب في الناسخ والمنسوخ . وهو ضعيف الحديث . مات سنة ١٨٢ . وانظر سير أعلام النبلاء ٣٤٩/٨. وتهذيب التهذيب ١٧٧/٦ـ١٧٩.

٢ـ هو زر بن حبيش بن حُباشة بن أوس الأسدي ، مخضرم ، أدرك الجاهلية . روى عن عمر ، وعثمان ، وعلي ، وابن مسعود ، وغيرهم . وعنه النخعي، والشعبي ، وعاصم بن بهدلة . وهو ثقة. توفي عام ٨٣. وله ١٢٧ سنة . وانظر تهذيب التهذيب ٣٢١/٣ـ٣٢٢.

٣ـ النجم ٩ـ١٠.

٤ـ أخرجه البخاري ٥١/٦.

٥ـ هو مسروق بن الأجدع بن مالك الهمداني الكوفي ، أبو عائشة . حدث عن عمر ، وعثمان ، وعلي ، وابن مسعود، وعائشة رضي الله عنهم . وعنه الشعبي ، والنخعي . وهو من كبار التابعين . توفي عام ٦٢ أو ٦٣ . وانظر الطبقات الكبرى ٧٦/٦ـ٨٤. وسير أعلام النبلاء ٦٣/٤ـ٦٩.

٦ـ النجم ٨ـ٩ـ١٠.

٧ـ أخرجه مسلم ١٦٠/١ـ١٦١.

السلام، ولم يأت ما يدل على انصراف الخبر عنهما(١).

وهذا هو الذي رجحه الطبري(٢)، وابن كثير(٣).

القول الثاني : أوحى الله إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - وحيه .

رواه الطبري عن ابن عباس - رضي الله عنهما -(٤).

الترجيح :

الذي يظهر لي أن القول الأول أولى .

وأما ما ورد عن ابن عباس - رضي الله عنهما - فقد خالفه ابن مسعود وعائشة - رضي الله عنهما - وإذا اختلف الصحابة فليس قول أحدهما حجة على الآخر . وحينئذ نسلك سبيل الترجيح بمرجح آخر .

ومما يرجح القول الأول ما يلي :

١- أن ابن مسعود - رضي الله عنه - قال في تفسير الآية " أنه محمد صلى الله عليه وسلم رأى جبريل ".

وهذا لا يمكن أن يقوله من تلقاء نفسه .

٢- روى الإمام أحمد عن عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - قال: في هذه الآية ﴿ ولقد رءاه نزلة أخرىٰ ﴾(٥) قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - " رأيت جبريل عند سدرة المنتهى ، عليه ستمائة جناح يُنثر من ريشه التهاويل(٦) ،

١- انظر تفسير الطبري ٤٧/٢٧.

٢- نفس المصدر السابق.

٣- انظر تفسير ابن كثير ٢٥٠/٤.

٤- انظر تفسير الطبري ٤٧/٢٧.

٥- النجم ١٣.

٦- هذا لفظ المسند ، وعند ابن كثير زيادة "من" بعد قوله : التهاويل .

الدر والياقوت "(١).

فالضمير في ﴿ رآه ﴾ يعود على جبريل كما بين ذلك النبي - صلى الله عليه وسلم - . فيكون جبريل هو المرئي ، وهو الموحي في قوله ﴿ فأوحىٰ إلىٰ عبده ما أوحىٰ ما كذب الفؤاد ما رأىٰ أفتمرونه علىٰ ما يرىٰ ﴾(٢).

المعنى :

بين الله في هذه الآيات أن كلام النبي - صلى الله عليه وسلم - في شرع الله وحي من الله ، لا يمكن أن يتكلم بما تهوى نفسه وتحب ، وأن الذي علمه ذلك هو جبريل عليه السلام ، شديد القوى الظاهرة والباطنة، القوي على تنفيذ رسالة الله تعالى ، بكل صدق وأمانة .

فرآه النبي - صلى الله عليه وسلم - على صورته الحقيقية التي خلقه الله عليها سادًّا أفق السماء .

وذلك أن النبي - صلى الله عليه وسلم - "سأل جبريل أن يريه نفسه كما خلقه الله فتمثل له بصورته الحقيقية"(٣).

ثم دنى من النبي - صلى الله عليه وسلم - حتى لم يكن بينهما إلا قدر قوسين . وهذا يدل على كمال قرب الرسول - صلى الله عليه وسلم - من جبريل عليه السلام أثناء تلقي الوحي منه ، وأنه لا واسطة بينهما .

فأوحى جبريل إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - ما

١- أخرجه أحمد ٤١٢/١. وذكره ابن كثير في تفسيره ٢٥٢/٤ وقال: "إسناد جيد قوي" . وصحح إسناده الشيخ أحمد شاكر في تحقيقه للمسند ٩/٦.

٢- النجم ١٠-١١-١٢.

٣- والحديث بطوله أخرجه أحمد ٤٠٧/١ ، وأبو الشيخ في العظمة ٧٩١/٢-٧٩٢. وقال الشيخ أحمد شاكر في تعليقه على المسند ٣٦١/٥ " إسناده صحيح لولا الشك في وصله عن ابن مسعود " قلت: يشهد له حديث آخر عن ابن عباس بنحوه ، أخرجه أحمد ٣٢٢/١. وذكره الهيثمي في المجمع ٣٦٠/٨، وقال : رواه أحمد ، والطبراني ورجالهما ثقات. وصحح الشيخ أحمد شاكر إسناده في تعليقه على المسند ٣٤٨/٤.

طلب الله منه إيحاءه إليه .

ومن الآيات الدالة على نزول جبريل بالوحي على النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ :

٦ـ قوله تعالى ﴿ لا تحرك به لسانك لتعجل به إن علينا جمعه وقرءانه فإذا قرأنه فاتبع قرءانه ثم إن علينا بيانه ﴾(١).

سبب نزول الآيات :

أخرج الشيخان عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا نزل جبريل عليه بالوحي ، وكان مما يحرك به لسانه وشفتيه ، فيشتد عليه وكان يُعرف منه . فأنزل الله الآية التي في لا أقسم بيوم القيامة ﴿ لا تحرك به لسانك لتعجل به إن علينا جمعه وقرءانه ﴾(٢) قال علينا أن نجمعه في صدرك وقرآنه ﴿ فإذا قرأنه فاتبع قرءانه ﴾(٣) فإذا أنزلناه فاستمع ﴿ ثم إن علينا بيانه ﴾(٤) علينا أن نبينه بلسانك قال: فكان إذا أتاه جبريل أطرق فإذا ذهب قرأه كما وعده الله "(٥).

وسبب النزول مبين لمعاني المفردات ومعنى الآيات ، فلا داعي لإعادته .

ومن الآيات الدالة على نزول جبريل بالوحي على النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ :

٧ـ قوله تعالى ﴿ إنه لقول رسول كريم ذى قوة عند ذى العرش مكين مطاع ثم أمين وما صاحبكم بمجنون ولقد

١ـ القيامة ١٦ـ١٩.
٢ـ القيامة ١٦ـ١٧.
٣ـ القيامة ١٨.
٤ـ القيامة ١٩.
٥ـ أخرجه البخاري ٧٦/٦ـ٧٧. ومسلم ٣٣٦/١.

رءاه بالأفق المبين ﴾(١).

معاني المفردات :

رسول كريم : جبريل عليه السلام(٢).

مكين : ذو مكانة ، ومنزلة عند الله تعالى(٣).

صاحبكم : النبي صلى الله عليه وسلم(٤).

المعنى :

بين الله في هذه الآيات أن القرآن الكريم ليس من كلام النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ . وإنما هو كلام الله ، نزل به جبريل عليه السلام ، صاحب القوة العظيمة ،الذي له منزلة ومكانة عند الله تبارك وتعالى الأمين الذي لا يخون الرسالة أبدا .

ثم رجع الخطاب إلى كفار قريش ليبين لهم حقيقة النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأنه ليس بمجنون ، وأنه قد رأى جبريل عليه السلام في أفق السماء رؤية واضحة ؛ سادا عظم خلقه ذلك الأفق .

وهذا يدل على أنه أخذ الوحي منه ، ولم يأخذه عن الكهان والشياطين كما يتهمه الكفار بذلك .

وفي ختام هذه المسألة أرى أن من تمام الفائدة أن أذكر الصفتين اللتين كان ينزل بهما جبريل عليه السلام بالوحي إلى النبي صلى الله عليه وسلم .

فأقول : كان جبريل عليه السلام ينزل بالوحي على النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ على صفتين :

١ـ التكوير ١٩ـ٢٣.

٢ـ انظر تفسير الطبري ٨٠/٣٠. وابن كثير ٤٨٠/٤.

٣ـ انظر تفسير الطبري ٢٤٠/١٩. والشوكاني ٣٩١/٥.

٤ـ انظر تفسير ابن كثير ٤٨١/٤.

الصفة الأولى : أنه كان يأتيه على صورة غير مرئية ويقع كلامه على قلب النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ فيعي ما يقول . ولا يرى الصحابة جبريل عليه السلام، ولكن تظهر لهم علامات تدل على أنه يوحى إليه .

ومن هذه العلامات :

١ـ خروج العرق منه صلى الله عليه وسلم في اليوم الشاتي .

ففي الصحيحين عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت : " إن كان لَيُنْزَلُ على رسول الله صلى الله عليه وسلم في الغداة الباردة ثم تفيض جبهته عرقا "(١).

٢ـ تغير وجهه صلى الله عليه وسلم .

ففي صحيح مسلم عن عبادة بن الصامت(٢) رضي الله عنه قال: "كان نبي الله إذا أُنْزِلَ عليه الوحي كُرِب لذلك وتربَّدَ(٣) وجهه "(٤).

الصفة الثانية : كان يتمثل جبريل عليه السلام للنبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ بصورة رجل فيكلمه بما أوحى الله إليه ومن ذلك :

١ـ تمثله بصورة دحية الكلبي(٥) :

والدليل على ذلك ما رواه الإمام أحمد عن ابن عمر ـ

١ـ أخرجه البخاري ٣/١. ومسلم ١٨١٦/٤. واللفظ له .

٢ـ هو عبادة بن الصامت بن قيس الأنصاري الخزرجي . شهد المشاهد كلها مع النبي صلى الله عليه وسلم . وكان لا يخاف في الله لومة لائم . توفي عام ٣٤. وانظر سير أعلام النبلاء ٢/٥ـ١١.

٣ـ تربد : أي تغير إلى الغبرة وقيل الرُبْدَة: لون بين السواد والغبرة . انظر النهاية في غريب الحديث ١٨٣/٢.

٤ـ أخرجه مسلم ١٨١٧/٤.

٥ـ هو دحية بن خليفة بن فروة بن فضالة الكلبي القضاعي . أسلم قبل بدر ، ولم يشهدها. وكان جبريل يتشبه به لجماله. أرسله النبي صلى الله عليه وسلم بكتاب إلى قيصر . عاش إلى خلافة معاوية . وانظر سير أعلام النبلاء ٥٥٠/٢ـ٥٥٦. والإصابة ٤٧٣/١ـ٤٧٤.



رضي الله عنهما ـ قال : " كان جبريل عليه السلام يأتي النبي صلى الله عليه وسلم في صورة دحية "(١).

٢ـ تمثله بصورة رجل غير معروف .

ويدل لهذا ما ثبت في صحيح مسلم من حديث عمر بن الخطاب قال: "بينما نحن عند النبي صلى الله عليه وسلم ذات يوم ، إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب . شديد سواد الشعر . لا يُرى عليه أثر السفر ولا يعرفه منا أحد . حتى جلس إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأسند ركبتيه إلى ركبتيه، ووضع كفيه على فخذيه " وساق الحديث وقال في آخره " ثم انطلق فلبثت مليّا(٢) ثم قال لي : يا عمر أتدري من السائل ؟ قلت : الله ورسوله أعلم قال : فإنه جبريل . أتاكم يعلمكم دينكم"(٣).

ويجمع هاتين الصفتين قول النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ " يأتي الملك أحياناً في مثل صلصلة(٤) الجرس ، فينفصم(٥) عني ، وقد وعيت ما قال ، وهو أشد علي ، ويتمثل لي الملك أحيانًا رجلاً فيكلمني فأعي ما يقول "(٦).

١ـ أخرجه أحمد ١٠٧/٢. وصحح إسناده الحافظ ابن حجر في الإصابة ٤٧٣/١. والشيخ أحمد شاكر في تحقيقه للمسند ١٣٢/٨.

٢ـ مليا : أي وقتا طويلا. وانظر شرح مسلم للنووي ١٦٠/١.

٣ـ أخرجه مسلم ٣٧/١ـ ٤٨ من حديث طويل.

٤ـ الصلصلة : الصوت. وانظر شرح النووي على مسلم ٨٨/١٥.

٥ـ والفصم : القطع . وانظر شرح النووي على مسلم ٨٨/١٥.

٦ـ أخرجه البخاري ٨٠/٤. ومسلم ١٨١٦/٤ـ ١٨١٧.

المبحث الرابع : وحي الله إلى غير الأنبياء بواسطة الملائكة

ويتضمن هذا المبحث مسألتين :

الأولى : سارة زوج إبراهيم عليهما السلام .

الثانية : مريم ابنة عمران عليها السلام .

وهذا تفصيل الكلام عن هاتين المسألتين :

أولا : وحي الله إلى سارة (١) زوج إبراهيم عليه السلام ٠

لما ذكر الله قصة الملائكة مع إبراهيم عليه السلام ذكر في بعض المواضع أنهم تكلموا مع زوجه سارة وبشروها بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب ومما جاء في ذلك الآيات الآتية :

١ـ قوله تعالى ﴿ فلما رءآ أيديهم لا تصل إليه نكرهم وأوجس منهم خيفة قالوا لا تخف إنا أرسلنا إلىٰ قوم لوط وامرأته قايمة فضحكت فبشرنٰها بإسحٰق ومن ورآء إسحٰق يعقوب قالت يٰولتىٰ ءألد وأنا عجوز وهٰذا بعلى شيخاً إن هٰذا لشىء عجيب قالوا أتعجبين من أمر الله رحمت الله وبركٰته عليكم أهل البيت أنه حميد مجيد ﴾(٢)٠

معاني المفردات :

نكرهم : أنكرهم، إذ وجدهم على غير ما عهد الضيوف(٣)٠

قائمة : إما أنها قائمة تخدم الرسل، أو أنها قائمة خلف الستر(٤) ٠

وقال الرازي : يؤيد الأول قراءة ابن مسعود ﴿ وامرأته

١ـ هي سارة بنت هاران عم إبراهيم عليه السلام ٠ تزوجها إبراهيم ، ورحل بها معه إلى مصر ٠ وحاول ملكها أن ينال منها فعصمها الله منه ، ثم رجعا إلى بلاد الشام ومعهما هاجر. وهي جارية أهديت لسارة ٠ وكانت سارة لا تلد فأمرت إبراهيم أن يدخل بالجارية فولدت إسماعيل ، فاشتدت غيرة سارة منها ، فأمرته أن يبعدها وولدها عنها. فرحل بهاجر إلى مكة ٠ وبقيت سارة في أرض الشام ، ولما كبرت رزقها الله بإسحاق ، ومن ورائه يعقوب ٠ وانظر البداية والنهاية ١/١٤١ـ١٤٥٠

٢ـ هود ٧٠ـ ٧٣٠

٣ـ انظر تفسير البغوي ٢/٣٩٢٠ والقرطبي ٩/٦٦٠

٤ـ انظر تفسير الطبري ، تحقيق شاكر ١٥/٣٨٩ـ٣٩٠٠

قائمة وهو قاعد ﴾(١) وهذه قراءة شاذة .

فضحكت : اختلف المفسرون في معنى الضحك هنا على قولين :

القول الأول : هو الضحك المعروف . وهذا قول الجمهور(٢).

القول الثاني : أنه الحيض . وهذا رواه ابن جرير عن مجاهد(٣).

ولكن هذا الأثر عن مجاهد ضعيف .

لأن في سنده عمرو بن الأزهر(٤) وهو كذاب يضع الحديث .

وفيه أيضا علي بن هارون قال عنه الشيخ أحمد شاكر : مجهول(٥).

ولذا قال الفراء(٦) : " وأما قوله : فضحكت : حاضت فلم نسمعه من ثقة "(٧).

وإن كان للضحك بمعنى الحيض معنى في لغة العرب(٨) ، إلا أنه غير مراد هنا لأن السياق لا يدل عليه . ولأن ضحكها مرتب على قول الملائكة ﴿ لا تخف إنا أرسلنا إلىٰ قوم

١- انظر تفسير الرازي ٢٥/١٨.
٢- انظر تفسير الطبري ، تحقيق شاكر ٣٨٩/١٥-٣٩٤، والقرطبي ٦٦/٩.
٣- انظر تفسير الطبري ، تحقيق شاكر ٣٩٢/١٥.
٤- هو عمرو بن الأزهر العتكي . قاضي جرجان . روى عن هشام بن عروة ، وحميد الطويل ، وابن جريج. قال أحمد: كان يضع الحديث ، وقال البخاري : يرمى بالكذب ، وقال النسائي : متروك ، وقال يحيى : كان كذابا ضعيفا. وانظر الجرح والتعديل ٢٢١/٦. ولسان الميزان ٣٥٣/٤-٣٥٤.
٥- انظر حاشية تفسير الطبري ، تحقيق شاكر ٣٩٢/١٥.
٦- هو يحيى بن زياد بن عبد الله بن منصور ، أبو زكريا الفراء الأسلمي النحوي . روى عن أبي بكر بن عياش ، وعلي بن حمزة . له كتاب معاني القرآن ، وكتاب الحدود . توفي عام ٢٠٧. وانظر إنباه الرواة ٧/٤-٢٣. وطبقات ابن الجزري ٣٧١/٢-٣٧٢.
٧- انظر معاني القرآن ٢٢/٢.
٨- انظر تفسير القرطبي ٦٦/٩-٦٧. ولسان العرب ٤٦٠/١٠-٤٦١.

لوط﴾(١). فضحكت استبشارًا بهلاكهم(٢).

٢ـ وقوله تعالى ﴿ فأوجس منهم خيفة قالوا لا تخف وبشروه بغلٰم عليم فأقبلت امرأته في صرة فصكت وجهها وقالت عجوز عقيم قالوا كذٰلك قال ربك إنه هو الحكيم العليم﴾(٣).

المعنى :

بين الله تعالى في هذه الآيات كيف أوحت الملائكة إلى سارة زوج إبراهيم عليهما السلام .

وذلك أن الملائكة لما نزلت ضيوفا على إبراهيم قام بحقهم أحسن قيام، ولكن لما لم يأكلوا من العجل الذي ذبحه لهم خاف منهم خوفا شديدا، فأخبروه عن أنفسهم بأنهم ملائكة أرسلهم الله إلى قوم لوط لإهلاكهم، وبشروه بإسحاق دون يعقوب كما قال تعالى ﴿ قالوا لا توجل إنا نبشرك بغلٰم عليم﴾(٤) وقال تعالى ﴿ وبشرنٰه بإسحٰق نبيًا من الصٰلحين ﴾(٥) . وقال تعالى ﴿ قالوا لا تخف وبشروه بغلٰم عليم ﴾(٦).

وأما زوجه سارة فقد بشرتها الملائكة(٧) بإسحاق وبأنه سيولد له ولد اسمه يعقوب كما قال تعالى ﴿ فبشرنٰها بإسحٰق ومن ورآء إسحٰق يعقوب ﴾(٨).

عند ذلك تعجبت سارة كيف تلد وهي عجوز عقيم

١ـ هود ٧٠.
٢ـ وانظر تفسير الطبري ، تحقيق شاكر ٣٩٤/١٥. وابن كثير ٤٥٣/٢.
٣ـ الذاريات ٢٨ـ٢٩ـ٣٠ . وسبق ذكر معاني الكلمات عند الكلام على وحي الملائكة إلى إبراهيم ص ٥٤ـ٥٥.
٤ـ الحجر ٥٣.
٥ـ الصافات ١١٢.
٦ـ الذاريات ٢٨.
٧ـ وانظر تاريخ الطبري ٢٤٩/١ وزاد المسير ١٣٦/٤ والبداية والنهاية ١٥١/١.
٨ـ هود ٧١.

وزوجها صار شيخاً كبيرًا فطمأنتها الملائكة وأخبرتها بأن هذا أمر الله سبحانه وتعالى ، وإذا أراد شيئًا قال له كن فيكون . ثم دعت الملائكة لأهل ذلك البيت بالرحمة والبركات وخرجت من عندهم إلى لوط وقومه .

ثانيا : وحي الله إلى مريم(١) عليها السلام .

اقتضت حكمة الله سبحانه وتعالى أن يولد عيسى بن مريم عليه السلام من أم دون أب ليكون دليلا على قدرة الله على كل شيء . ولما كانت مريم عليها السلام هي التي ستلد هذا النبي أرسل الله إليها الملائكة مرارًا . وقد ذكر الله ذلك في كتابه العزيز في عدة مواضع . فمن ذلك :

١ـ قوله ﴿ وإذ قالت الملٰئكة يٰمريم إن الله اصطفٰك وطهرك واصطفٰك على نساء العٰلمين يٰمريم اقنتى لربك واسجدى واركعى مع الرٰكعين ﴾(٢).

معاني المفردات :

اصطفاك : اختارك(٣).

طهرك : من الكفر ، والوساوس ، والادناس(٤).

نساء العالمين : اختلف المفسرون في المراد بنساء العالمين في الآية على قولين :

١ـ هي مريم ابنة عمران بن ماثان من ولد سليمان بن داود عليها السلام . كبرت أمها ولم تلد . ثم حملت بمريم . وتوفي زوجها عمران . فنذرت ما في بطنها لخدمة بيت المقدس . فولدت مريم . واختلف بنو إسرائيل في كفالتها فتساهموا . فكفلها زكريا. ثم أرسل الله إليها جبريل فنفخ فيها ، فحملت بعيسى عليه السلام ثم ولدته ، وكان من شأنها ما قص الله في كتابه . وانظر الكامل في التاريخ ٢٩٨/١ـ٣٠٠.

٢ـ آل عمران ٤٢ـ٤٣.

٣ـ انظر تفسير ابن كثير ٣٦٣/١. والشوكاني ٣٣٨/١.

٤ـ انظر تفسير القرطبي ٨٣/٤. وابن كثير ٣٦٣/١.

القول الأول : أنها أفضل نساء العالمين جميعًا .
ومن اختار هذا القول الرازي(١)، والقرطبي (٢).
واستدلا على ذلك بما يأتي :
١ـ أنه ظاهر هذه الآية ﴿ واصطفٰك على نساء العٰلمين﴾(٣).

القول الثاني : أنها أفضل نساء عالمي زمانها
ومن اختار هذا القول الطبري(٤) والشوكاني(٥).
واستدل هؤلاء بالأحاديث الواردة في فضل مريم مع غيرها .
ومن ذلك ما ثبت في صحيح البخاري عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه قال : " كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا مريم بنت عمران وآسية امرأة فرعون وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام "(٦).

الترجيح :
إذا تأملنا هذين القولين وجدنا القول الأول هو الراجح لظاهر الآية .
وأما دليل أصحاب القول الثاني فيجاب عنه :
بأن هؤلاء النساء هن أفضل النساء وأكملهن وقد وردت أحاديث تدل على فضل مريم عليها السلام على من سواها .
ومن ذلك :

١ـ انظر تفسير الرازي ٨/٤٣ـ٤٤
٢ـ انظر تفسير القرطبي ٤/٨٢.
٣ـ آل عمران ٤٢.
٤ـ انظر تفسير الطبري ٦/٣٩٣.
٥ـ انظر تفسير الشوكاني ١/٣٣٨.
٦ـ أخرجه البخاري ٤/٢٢٠. ومسلم ٤/١٨٨٦ـ١٨٨٧.

١ـ ما أخرجه الطبراني عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه قال : " سيدات نساء أهل الجنة بعد مريم بنت عمران. فاطمة ، وخديجة ، وآسية امرأة فرعون "(١).

٢ـ ما أخرجه ابن أبي شيبة عن فاطمة ـ رضي الله عنها ـ قالت : قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم " ... إني سيدة نساء أهل الجنة إلا مريم ابنة عمران "(٢).

٣ـ ما أخرجه الحاكم عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه قال : " فاطمة سيدة نساء أهل الجنة إلا ما كان من مريم بنت عمران "(٣).

فهذه الأدلة تدل على أن مريم عليها السلام أفضل نساء العالمين جميعًا .

اقنتي : أديمي طاعة الله ، وعبادته في خشوع.

وهذا أعم من تخصيصه بالقيام في الصلاة(٤).

٢ـ وقوله تعالى ﴿ إذ قالت الملٰئكة يٰمريم إن الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم وجيهًا في الدنيا والأخرة ومن المقربين ويكلم الناس في المهد وكهلًا ومن الصٰلحين قالت رب أنىٰ يكون لى ولد ولم يمسسنى بشر قال كذٰلك الله يخلق ما يشاء إذا قضىٰ أمرًا فإنما يقول له كن فيكون ﴾(٥).

١ـ أخرجه الطبراني في الكبير ٤١٥/١١. وصحح إسناده الشيخ الالباني في السلسلة الصحيحة ١٣/٤.

٢ـ أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه ١٣٦/١٢. والترمذي ٧٠١/٥، وقال: حسن غريب من هذا الوجه . وذكره الذهبي في السير ١٣٦/٢، وقال الأرناؤوط : إسناده حسن .

٣ـ أخرجه الإمام أحمد في فضائل الصحابة ٧٥٧/٢. والحاكم ١٥٤/٤، وصححه ووافقه الذهبي . وحسن إسناده الحافظ في الفتح ٤٤٧/٦.

٤ـ وانظر معنى القنوت في تفسير الطبري ٢٢٨/٥ـ٢٣٦، تحقيق شاكر . وتفسير القرطبي ٢١٣/٣ـ٢١٤. وابن كثير ٣٦٤/١.

٥- آل عمران ٤٠-٤٧

معاني المفردات :
وجيهًا : ذو وجاهة ، ومكانة ، ومنزلة (١).
كهلًا : رجلًا سويًا، وهو ما بين الشباب والشيخوخة(٢).

٣ـ وقوله تعالى ﴿ فأرسلنا إليها روحنا فتمثل لها بشرًا سويًا قالت إني أعوذ بالرحمٰن منك إن كنت تقيًا قال إنما أنا رسول ربك لأهب لك غلٰما زكيًا قالت أنىٰ يكون لى غلٰم ولم يمسسنى بشر ولم أك بغيًا قال كذٰلك قال ربك هو على هين ولنجعله ءاية للناس ورحمة منا وكان أمرًا مقضيًا ﴾(٣).

معاني الكلمات :
لأهب : اختلف القراء في قراءة هذه الكلمة :
فقراء جمهور القراء : ﴿ لأهب ﴾ بالهمزة على إسناد الفعل إلى ضمير المتكلم وهو المَلَك لأنه هو الذي باشر الهبة ويكون التقدير " إنما أنا رسول ربك أرسلني لأهب لك "(٤).

١ـ انظر المحرر الوجيز ٨٨/٣. وابن كثير ٣٦٥/١.
٢ـ انظر تفسير القرطبي ٩٠/٤. والشوكاني ٣٤١/١.
٣ـ مريم ١٧ـ ٢١.
٤ـ انظر حجة القراءات ٤٤٠ـ ٤٤١. والمهذب في القراءات العشر ٥/٢.

وقرأ ورش(١) وأبو عمرو(٢) ويعقوب(٣) وقالون(٤) في وجه ﴿ ليهب ﴾ بالياء ، بإسناد الفعل إلى ﴿ ربك ﴾ في قوله ﴿ إنما أنا رسول ربك ﴾(٥) لأنه هو الواهب الحقيقي(٦).

والجمع بين معنى القراءتين يقال : إن الله وهبها الغلام بواسطة جبريل عليه السلام .

زكيًا : طاهرًا من الذنوب(٧).

بغيًا : زانية(٨).

المعنى

ذكر الله في هذه الآيات أن الملائكة أوحت إلى مريم عليها السلام ثلاث مرات.

الأولى : حينما أخبرتها الملائكة أن الله اختارها لعبادته ، وطهرها من الوساوس ، والأدناس ، وأن لها مكانة

١- هو عثمان بن سعيد بن عبد الله المصري ، يكنى أبا سعيد ، لقب بورش لشدة بياضه . انتهت إليه رئاسة القراء في مصر ، أخذ القراءة عن نافع ، وحفص عن عاصم ، وغيرهما . سمع منه أحمد بن صالح ، ويونس بن عبد الأعلى . توفي عام ١٩٧ . وانظر معرفة القراء ١/١٥٢-١٥٣. وغاية النهاية ١/٥٠١-٥٠٢.

٢- سبقت ترجمته ص ٧٨.

٣- هو يعقوب بن إسحاق بن زيد، أبو محمد الحضرمي البصري . أحد القراء العشرة . انتهت إليه رئاسة القراءة في البصرة ، قرأ على أبي المنذر سلام بن سُليم ، ومهدي بن ميمون . وعليه روح ، وأبو عمرو الدروي ، وأبو حاتم السجستاني . توفي عام ٢٠٥ . وانظر معرفة القراء ١/١٥٧-١٥٨. وغاية النهاية ٢/٣٨٦-٣٨٩.

٤- هو عيسى بن ميناء بن وردان بن عيسى بن عبد الصمد ، لقب بقالون لجودة قراءته . وكان قارئ المدينة ونحويها. قرأ على عيسى بن وردان . وعليه ابناه أحمد ، وإبراهيم ، وأحمد الحلواني ، وغيرهم . توفي عام ٢٢٠ . وانظر معرفة القراء ١/١٥٥-١٥٦. وغاية النهاية ١/٦١٥-٦١٦.

٥- مريم ١٩.

٦- انظر النشر في القراءات العشر ٢/٣١٧-٣١٨. والمهذب ٢/٥.

٧- انظر تفسير الطبري ١٦/٦١ . وابن الجوزي ٥/٢١٧.

٨- انظر تفسير ابن كثير ٣/١١٦.

عظيمة عند الله تعالى إذ اختارها على نساء العالمين جميعًا .

ثم أمرتها الملائكة بعد ذلك بدوام الطاعة لله تعالى بخشوع ، وتذلل ، وأن تصلي لله تعالى ، وذلك بالركوع والسجود له جل وعلا .

الثانية : أن الملائكة بشرتها ببشارة الله لها بعيسى عليه السلام وأنه نبي ، وله منزلة ومكانة في الدنيا والآخرة ، ومن المقربين عند الله تعالى .

وأنه يكلم الناس في المهد وهو طفل رضيع ، ويكلمهم حينما يكبر ، وأنه من الصالحين .

فتعجبت عليها السلام كيف يكون لها هذا الولد ولم يمسسها بشر ؟ فأخبرتها الملائكة أن الله على كل شيء قدير ويخلق ما يشاء ، وأن أمره إذا أراد شيئًا قال له : كن فيكون .

الثالثة : أن الله أرسل إليها جبريل فتمثل لها على صورة رجل تام الخلقة فلما رأته وهي في مكان خال من الناس خافت منه وتعوذت بالله منه . لأنه إن كان من المتقين فإن تقواه ستمنعه من الوصول إليها بسوء .

فأخبرها أنه رسول من عند الله تعالى ليهب لها غلامًا طاهرًا .

فتعجبت عليها السلام كيف يكون ذلك ولم يمسها بشر ولم تك من البغايا . فأجابها عليه السلام بأن ذلك سهل ويسير على الله عز وجل لأنه لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء ، وأن هذا الغلام سيكون علامة على قدرة الله تعالى ورحمة من الله لمن آمن به . وهذا أمر قد قضاه الله سبحانه

وتعالى وكتبه في اللوح المحفوظ فلا مجادلة فيه(١).

فإن قيل هل يفهم من وحي الله إلى كل من سارة ومريم بواسطة الملائكة أنه يوجد نبية من النساء ؟

أقول : اختلف العلماء في ذلك على قولين :

القول الأول : ليس في النساء نبية : لأن النبوة لا تثبت لأحد من البشر إلا بدليل، ولا يوجد دليل يدل على نبوة واحدة من النساء، بل القرآن حصر الرسالة في الرجال فقط .

قال تعالى ﴿ وما أرسلنا من قبلك إلا رجالاً نوحى إليهم ﴾(٢).

وهذا قول جمهور العلماء(٣).

القول الثاني : أن النبوة موجودة في النساء .

وهذا قول ابن حزم والقرطبي .

واتفقا على نبوة مريم عليها السلام ، وزاد ابن حزم نبوة سارة أم إسحاق، وآسية امرأة فرعون .

واستدل هؤلاء بما يأتي :

١ـ أن الله أوحى إليهن بواسطة جبريل عليه السلام .

٢ـ قول النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ " كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا مريم بنت عمران وآسية بنت مزاحم "(٤).

فتخصيص النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ مريم وآسية دليل على فضلهما على سائر من أوتيت النبوة من النساء .

١ـ انظر تفسير القرطبي ٩١/١١.

٢ـ يوسف ١٠٩.

٣ـ انظر شرح النووي على مسلم ١٩٨/١٥. وتفسير ابن كثير ٤٩٧/٢. ولوامع الأنوار البهية ٣٦٥/٢ـ٣٦٦.

٤ـ أخرجه البخاري ٢٢٠/٤. ومسلم ١٨٨٦/٤ـ١٨٨٧.

٣ـ مما تختص به مريم أن الله ذكرها مع جملة الأنبياء في سورة مريم ثم قال : ﴿ أولئك الذين أنعم الله عليهم من النبين من ذرية ءادم ﴾(١).

وأجاب ابن حزم عن الآية التي استدل بها الجمهور :

بأنها خاصة في الرسل أما الأنبياء فلا دليل في الآية على أنهم من الرجال دون النساء(٢).

ويجاب عن أدلة ابن حزم والقرطبي بما يأتي :

اـ لا يلزم من إعلام الله لأحد من خلقه بأمر من الأمور بواسطة جبريل عليه السلام أن يكون نبيًا ، إلا على اعتبار أن النبوة من الإنباء ، وهو : الإعلام فكل من أعلمه الله بعلم بواسطة جبريل عليه السلام فهو نبي . وهذا الاعتبار يفهم من كلام ابن حزم رحمه الله(٣).

ولكن هذا التعريف للنبي في اللغة . أما في الشرع فالنبي هو :

من أوحى الله إليه بشرع ولم يؤمر بتبليغه .

وقد أوحى الله إلى بعض الأشخاص بواسطة الملك ، وهم غير أنبياء . ومما يدل على ذلك الحديثان التاليان :

اـ أخرج مسلم في صحيحه عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه قال : "أن رجلاً زار أخًا له في قرية أخرى فأرصد الله له على مدرجته(٤) ملكا . فلما أتى عليه قال: أين تريد ؟ قال: أريد أخًا لي في هذه القرية قال: هل لك عليه من نعمة تربها(٥) قال: لا . غير أني أحببته في الله عز وجل . قال: فإني رسول الله إليك ، بأن الله قد أحبك كما أحببته فيه

١ـ مريم ٥٨. وانظر الفصل لابن حزم ١٧/٥ـ١٩. وتفسير القرطبي ٨٣/٤.
٢ـ انظر الفصل لابن حزم ١٧/٥.
٣ـ نفس المصدر السابق.
٤ـ مدرجته : طريقه . انظر النهاية في غريب الحديث ١١١/٢.
٥ـ تربها : تراعيها وتربيها . وانظر النهاية في غريب الحديث ١٨٠/٢.

وأما استدلال ابن حزم على نبوة مريم بأن الله ذكرها مع الأنبياء في سورة مريم .

فيجاب عنه بجوابين :

١ـ أن كل من ذكر الله معها قد ثبت نبوته بنص القرآن الكريم

فقال تعالى عن زكريا ويحيى ﴿ وزكريا ويحيىٰ وعيسىٰ وإلياس كل من الصٰلحين ﴾(١) ، ثم قال عن من ذكر من الأنبياء ﴿ أولٰئك الذين ءاتينٰهم الكتٰب والحكم والنبوة ﴾(٢).

وقال عن عيسى عليه السلام ﴿ قال إني عبد الله ءاتنى الكتٰب وجعلني نبيًا ﴾(٣) .

وقال عن إبراهيم عليه السلام ﴿إنه كان صديقًا نبيًا﴾(٤).

وقال عن موسى عليه السلام ﴿ وكان رسولًا نبيًا ﴾(٥).

وقال عن إسماعيل عليه السلام ﴿ وكان رسولًا نبيًا﴾(٦).

وقال عن إدريس ﴿ إنه كان صديقًا نبيًا ﴾(٧).

أما مريم فلم يأت دليل يدل على نبوتها بل إن الله ذكر أعلى مقاماتها وأنها صديقة قال تعالى ﴿ ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة ﴾(٨).

٢ـ أن القرطبي ـ وهو من يقول بنبوة مريم ـ فسر الآيات بقوله " قوله تعالى ﴿ أولٰئك الذين أنعم الله عليهم من النبيين من ذرية ءادم ﴾(٩) يريد إدريس وحده ﴿ وممن حملنا

١ـ الأنعام ٨٥.
٢ـ الأنعام ٨٩.
٣ـ مريم ٣٠.
٤ـ مريم ٤١.
٥ـ مريم ٥١.
٦ـ مريم ٥٤.
٧ـ مريم ٥٦.
٨ـ المائدة ٧٥.
٩ـ مريم ٥٨.

مع نوح ﴾(١) يريد إبراهيم وحده ﴿ ومن ذرية إبرٰهيم ﴾(٢) يريد إسماعيل ، وإسحاق ، ويعقوب ﴿ و ﴾ من ذرية ﴿إسرٰئيل ﴾(٣) موسى ، وهارون ، وزكريا ، ويحيى ، وعيسى". ولم يذكر مريم(٤).

وقد ذكر النووي الإجماع على عدم نبوتها(٥) ، وكذا ابن كثير عن أبي الحسن الأشعري(٦).

مما تقدم تبين لنا أن الله أرسل جبريل عليه السلام بالوحي إلى غير الأنبياء ليوحي إليهم بما يريده تعالى والله لا يُسأل عما يفعل .

١- نفس الموضع السابق.
٢- نفس الموضع السابق .
٣- الموضع السابق.
٤- انظر تفسير القرطبي ١٢٠/١١.
٥- انظر شرح النووي على مسلم ١٩٩/١٥.
٦- انظر تفسير ابن كثير ٨٢/٢.

المبحث الخامس : أشخاص اختلف العلماء في وحي الله إليهم بواسطة الملائكة.

وهذا المبحث فيه مسألتان :

أولا : أم موسى عليه السلام .

ثانيا : داود عليه السلام .

وهذا تفصيل الكلام عن هاتين المسألتين :

أولاً : أم موسى عليه السلام ٠

اختلف المفسرون في أم موسى هل أرسل الله إليها الملك بالوحي أو لا ؟

والخلاف مبني على اختلافهم في تفسير الوحي في الآيتين التاليتين :

١ـ قوله تعالى ﴿ إذ أوحينا إلىٰ أمك ما يوحىٰ أن اقذفيه فى التابوت فاقذفيه فى اليم فليلقه اليم بالساحل يأخذه عدو لى وعدو له ﴾(١).

٢ـ وقوله تعالى ﴿ وأوحينا إلىٰ أم موسىٰ أن أرضعيه فإذا خفت عليه فألقيه فى اليم ولا تخافى ولا تحزنى إنا رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين ﴾(٢).

فقد اختلف المفسرون في صفة هذا الوحي على أربعة أقوال :

القول الأول : أنه وحي إلهام وقذف في القلب ، قاله قتادة (٣) ، وعزاه السيوطي إلى ابن أبي حاتم عن ابن عباس (٤). وقال به البغوي(٥) وابن كثير (٦). وهذا مثل قوله تعالى ﴿ وأوحىٰ ربك إلى النحل ﴾(٧).

القول الثاني : أنه وحي بواسطة الملك ٠

ذكره القرطبي ، وعزاه إلى مقاتل وقال: "إنما إرسال الملك إليها على نحو تكليم الملك للأقرع والأبرص والأعمى

١ـ طه ٣٨ـ٣٩.
٢ـ القصص ٧.
٣ـ انظر تفسير الطبري ٣٩/٢٠. والدر المنثور ٣٩٣/٦.
٤ـ انظر الدر المنثور ٣٩٣/٧.
٥ـ انظر تفسيره ٢١٧/٣، ٤٣٤.
٦ـ انظر تفسيره ٣٨١/٣. والبداية والنهاية ٢٢٤/١.
٧ـ النحل ٦٨.

في الحديث المشهور الذي خرجه البخاري ومسلم "(١).

وقال أبو حيان وهذا هو الظاهر لظاهر قوله تعالى ﴿يأخذه عدو لي وعدو له﴾(٢).

ولظاهر آية القصص ﴿ إنا رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين ﴾(٣). وهذا مثل بعث الله الملك إلى مريم(٤).

القول الثالث : أنه رؤيا رأتها في المنام .

القول الرابع : أنه بواسطة أحد الأنبياء الموجودين في عصرها .

ذكر هذين القولين الرازي(٥) والشوكاني(٦).

وإذا تأملنا هذه الأقوال لم نجد نصًا يقطع النزاع في المسألة حتى نأخذ به لأن هذه الأقوال مبنية على اختلافهم في تفسير الوحي لأم موسى . والله أخبرنا أنه أوحى إليها ولم يخبرنا عن الكيفية التي أوحى بها إليها .

ثانياً : داود عليه السلام.

اختلف المفسرون هل أرسل الله الملائكة إلى داود أولا ؟

وهذا الخلاف مبني على اختلافهم في تفسير قوله

١- الحديث أخرجه البخاري ٤/١٤٦-١٤٧. ومسلم ٤/٢٢٧٥-٢٢٧٧ ، وانظر تفسير القرطبي ١٣/٢٥٠.

٢- طه ٣٩. وانظر البحر المحيط ٦/٢٤٠.

٣- القصص ٧.

٤- انظر البحر المحيط ٦/٢٤٠.

٥- انظر تفسيره ٢٢/٥١-٥٢.

٦- انظر تفسيره ٣/٣٦٤.

تعالى ﴿ وهل أتاك نبؤا الخصم إذ تسوروا المحراب إذ دخلوا على داود ففزع منهم قالوا لا تخف خصمان بغى بعضنا على بعض فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط واهدنا إلى سواء الصراط إن هذا أخى له تسع وتسعون نعجة ولى نعجة واحدة فقال اكفلنيها وعزنى فى الخطاب قال لقد ظلمك بسؤال نعجتك إلى نعاجه وإن كثيرًا من الخلطاء ليبغى بعضهم على بعض إلا الذين ءامنوا وعملوا الصلحت وقليل ما هم وظن داود أنما فتنه فاستغفر ربه وخر راكعًا وأناب فغفرنا له ذلك وإن له عندنا لزلفى وحسن مئاب ﴾(١).

فقد اختلف المفسرون في المراد بالخصم على ثلاثة أقوال :

القول الأول : أنهما رجلان من بني آدم .

وممن قال بذلك الفخر الرازي(٢) ، وأبو حيان(٣) ، وابن حزم(٤).

ودليلهم على ذلك ظاهر الآيات وذلك أن داود عليه السلام كان يُقَسِّم أوقاته بين العبادة ، والقضاء ، والوعظ ، والأهل . فبينما هو ذات يوم في عبادته إذ تسلق عليه رجلان السور ودخلا عليه ، ففزع منهما وظن أنهما يريدان به شرًا . فقالا : لا تخف ، إنما نحن خصمان وقع بيننا خلاف فجئنا إليك لتحكم بيننا بالعدل ، ولا تمل في الحكم وأرشدنا إلى الطريق المستقيم .

فتكلم المدعي وبدأ يعرض شكواه على داود عليه السلام ، وقال : إن أخي يملك تسعًا وتسعين نعجة وأنا لا

١- ص ٢١-٢٥.
٢- انظر تفسيره ١٨٩/٢٦-١٩٥.
٣- انظر تفسيره ٣٩٢/٧.
٤- انظر الفصل في الملل والنحل ١٨/٤-١٩.

أملك إلا نعجة واحدة ، فطمع في نعجتي ، وطلب مني أن أتنازل له عنها ، وغلبني في الخصام والمجادلة . فلما سمع داود هذه الدعوى من المدعي ، حكم على المدعى عليه قبل أن يسمع دعواه . وقال إن شأنه في ذلك شأن الكثيرين من الشركاء الذين يظلم بعضهم بعضًا إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات ، وقليل ما هم .

القول الثاني : أنهم ملائكة أرسلهم الله إلى داود.

وهذا قول الجمهور(١).

واستدلوا على ذلك بما يأتي :

١ـ ما أخرجه ابن جرير الطبري عن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " إن داود النبي صلى الله عليه وسلم حين نظر إلى المرأة فأهم ، قطع على بني إسرائيل ، فأوصى صاحب البعث فقال : إذا حضر العدو فقرب فلانًا بين يدي التابوت ،وكان التابوت في ذلك الزمان يستنصر به، ومن قُدِم بين يدي التابوت لم يرجع حتى يقتل أو ينهزم عنه الجيش ، فقتل زوج المرأة ونزل الملكان على داود يقصان عليه قصته ففطن داود فسجد ... "(٢).

وهذا الحديث ضعيف .

١ـ انظر تفسير الطبري ١٤١/٢٣، والبغوي ٥٣/٤ ، وابن الجوزي ١١٥/٧ ، والقرطبي ١٦٥/١٥، والشوكاني ٤٢٥/٤.

٢ـ أخرجه بتمامه ابن جرير في تفسيره ١٥٠/٢٣ـ١٥١، من طريق يزيد الرقاشي ، وهو ضعيف. وانظر تهذيب التهذيب ٣٠٩/١١ـ٣١١. والتقريب ٥٩٩. وبيزيد ضعف ابن كثير الحديث ٣٢/٤. وعزاه السيوطي في الدر المنثور ١٥٦/٧ إلى الحكيم الترمذي في نوادر الاصول ، وابن جرير ، وابن أبي حاتم ، وقال "بسند ضعيف".

٢ـ ما أخرجه ابن جرير قال حدثني محمد بن سعد(١)، قال : حدثني أبي(٢)، قال: ثني عمي(٣)، قال : ثني أبي(٤)، عن أبيه(٥)، عن ابن عباس. وساق الأثر عن ابن عباس بنحو الحديث السابق(٦).

وهذا الأثر ضعيف

القول الثالث : التوقف عن الكلام فيهم

وممن قال بذلك ابن كثير رحمه الله حيث قال : فالأولى أن يقتصر على مجرد تلاوة هذه القصة وأن يرد علمها إلى الله عز وجل فإن القرآن حق وما تضمنه فهو حق أيضا(٧).

١ـ هو محمد بن سعد بن محمد بن الحسن بن عطية العوفي. قال الخطيب : كان ليِّنًا، وقال الدارقطني : لا بأس به. توفي عام ٢٧٦. وانظر تاريخ بغداد ٥/٣٢٢ـ٣٢٣. ولسان الميزان ٥/١٧٤.

٢ـ أبوه : سعد بن محمد سئل عنه الإمام أحمد فقال : ذاك جهمي، ولو لم يكن هذا أيضا لم يكن ممن يستاهل أن يكتب عنه. انظر تاريخ بغداد ٩/١٢٦ـ١٢٧. ولسان الميزان ٣/١٨ـ١٩.

٣ـ عمه : الحسين بن الحسن بن عطية العوفي، يكنى أبا عبد الله. ضعيف الحديث. وانظر الجرح والتعديل ٣/٤٨. وطبقات ابن سعد ٧/٣٣٦. وميزان الاعتدال ١/٥٣٢ـ٥٣٣.

٤ـ أبوه: الحسن بن عطية العوفي. روى عن أبيه، وجده وعنه أخواه عبد الله، وعمر، وابناه محمد، والحسين. وهو ضعيف. وانظر تهذيب التهذيب ٢/٢٩٤، والتقريب ١٦٢.

٥ـ أبوه : عطية بن سعد العوفي الكوفي. ضعفه الجمهور. وفيه تشيع وتدليس قال أحمد : " بلغني أن عطية كان يأتي الكلبي فيأخذ عنه التفسير، وكان يكنيه أبا سعيد " ليوهم أنه الخدري. توفي عام ١١١. وانظر ميزان الاعتدال ٣/٧٩ـ٨٠. وتهذيب التهذيب ٧/٢٢٤ـ٢٢٦. والتقريب ٣٩٣.

٦ـ الأثر أخرجه ابن جرير ٢٣/١٤٦. وهو ضعيف السند كما رأيت في تراجم رجاله ولذا قال الشيخ أحمد شاكر عند كلامه على هذا السند في تفسير الطبري ١/٢٦٣ " وهو إسناد مسلسل بالضعفاء من أسرة واحدة إن صح هذا التعبير! وهو معروف عند العلماء بـ " تفسير العوفي ".

٧ـ انظر تفسيره ٤/٣٦ . والبداية والنهاية ٢/١٢.

الترجيح :

إذا تأملنا هذه الأقوال نجد أن القول الأول هو الراجح لما يأتي :

أولاً : أنه ظاهر القرآن وذلك من وجوه :

أ ـ أن الله سماهما خصمين ، والملائكة ليس بعضهم خصمًا لبعض .

ب ـ أنهما قالا ﴿ بغىٰ بعضنا علىٰ بعض ﴾(١) والملائكة لا يبغي بعضهم على بعض . بل إن هذه من صفات بني آدم لقوله تعالى ﴿ وإن كثيرًا من الخلطاء ليبغى بعضهم على بعض إلا الذين ءامنوا وعلموا الصٰلحٰت وقليل ما هم﴾(٢).

ج ـ أن المدعي ذكر أن لاخيه تسعًا وتسعين نعجة وله نعجة واحدة والملائكة لا تملك شيئًا مما يملك بنو آدم(٣).

ثانيا : أن القول بأنهما ملكان يحتاج إلى دليل .

وقد بينت قبل قليل ضعف الحديث والأثر الذين جاء فيهما أنهما ملكان(٤).

١ـ ص ٢٢.

٢ـ ص ٢٤.

٣ـ انظر تفسير الفخر الرازي ١٩٤/٣٦.

٤ـ وقد أطال ابن حزم ، والرازي في رد قول من قال أنهما ملكان وانظر الفصل في الملل والنحل ١٨/٤ـ١٩. وتفسير الرازي ١٨٩/٣٦ـ١٩٨.

وقد جمع الله بين البشارة والإنذار في آيات كثيرة من كتابه العزيز ومن ذلك :

قوله تعالى ﴿ إنا أرسلنك بالحق بشيرًا ونذيرًا ولا تسئل عن أصحب الجحيم ﴾(١).

وقوله تعالى ﴿ وما نرسل المرسلين إلا مبشرين ومنذرين ﴾(٢).

وقوله تعالى ﴿ قيمًا لينذر بأسًا شديدًا من لدنه ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصلحت أن لهم أجرًا حسنًا مكثين فيه أبدًا وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدًا ﴾(٣).

١ـ البقرة ١١٩.
٢ـ الأنعام ٤٨.
٣ـ الكهف ٢ـ٤.

المبحث الثاني : بشارة الملائكة لإبراهيم عليه السلام وزوجه سارة.

لما نزلت الملائكة ضيوفًا على إبراهيم عليه السلام بشروه وزوجه سارة ببشارات عظيمة ذكرها الله في كتابه العزيز فمن ذلك :

١ـ قوله تعالى ﴿ ولقد جاءت رسلنا إبرٰهيم بالبشرىٰ قالوا سلٰمًا قال سلٰم فما لبث أن جاء بعجل حنيذ فلما رءا أيديهم لا تصل إليه نكرهم وأوجس منهم خيفة قالوا لا تخف إنا أرسلنا إلىٰ قوم لوط وامرأته قايمة فضحكت فبشرنٰها بإسحٰق ومن وراء إسحٰق يعقوب ﴾(١).

٢ـ وقوله تعالى ﴿ قالوا لا توجل إنا نبشرك بغلٰم عليم قال أبشرتموني على أن مسني الكبر فبم تبشرون قالوا بشرنٰك بالحق فلا تكن من القٰنطين قال ومن يقنط من رحمة ربه إلا الضالون قال فما خطبكم أيها المرسلون قالوا إنا أرسلنا إلىٰ قوم مجرمين إلا ءال لوط إنا لمنجوهم أجمعين إلا امرأته قدرنا إنها لمن الغٰبرين ﴾(٢).

٣ـ وقوله تعالى ﴿ ولما جاءت رسلنا إبرٰهيم بالبشرىٰ قالوا إنا مهلكوا أهل هذه القرية إن أهلها كانوا ظٰلمين قال إن فيها لوطًا قالوا نحن أعلم بمن فيها لننجينه وأهله إلا

١ـ هود ٦٩ـ٧١.
٢ـ الحجر ٥٣ـ٦٠.

امرأته كانت من الغبرين ﴾(١).

٤- وقوله تعالى ﴿وبشرنه بإسحق نبيًا من الصلحين﴾(٢).

٥- وقوله تعالى ﴿ قالوا لا تخف وبشروه بغلم عليم فاقبلت امرأته في صرة فصكت وجهها وقالت عجوز عقيم قالوا كذلك قال ربك إنه هو الحكيم العليم قال فما خطبكم أيها المرسلون قالوا إنا أرسلنا إلى قوم مجرمين لنرسل عليهم حجارة من طين مسومة عند ربك للمسرفين ﴾(٣).

معاني المفردات(٤).

مسومة : معلمة بعلامات تعرف بها(٥).

المسرفين : أي متجاوزي الحد في الشرك و المعاصي(٦).

المعنى(٧).

في هذه الآيات بشارات عظيمة من الملائكة إلى إبراهيم وزوجه عليهما السلام .

وهذه البشارات هي :

١- بشارة الملائكة لإبراهيم وزوجه عليهما السلام بهلاك قوم لوط .

١- العنكبوت ٣١-٣٢.
٢- الصافات ١١٢.
٣- الذاريات ٢٨-٣٤.
٤- سبق بيان أكثر المفردات في مبحث وحي الله إلى إبراهيم بواسطة الملائكة ص ٥٣-٥٤.
٥- انظر تفسير القرطبي ٤٨/١٧، والشوكاني ٨٨/٥.
٦- انظر تفسير الشوكاني ٨٩/٥.
٧- سبق ذكر معاني هذه الآيات في "وحي الملائكة إلى إبراهيم ص ٥٣-٥٤. ووحيهم إلى سارة ص ٩٣-٩٥".

بشرت الملائكة إبراهيم وزوجه أن الله أرسلهم لإهلاك قوم لوط ، ففرحت امرأته بهذا النبأ فرحاً شديداً .

لكن إبراهيم عليه السلام بدأ يجادل عن لوط عليه السلام وقال: إن لوطا موجود بين قومه ، فكيف ستهلكونه معهم .

فقالت له الملائكة : نحن أعلم أن لوطا موجود بينهم وسنخلصه وأهل بيته من هذا العذاب إلا امرأته ، فإنها كافرة وسيصيبها ما يصيب القوم من العذاب الأليم .

٢ـ بشروهما ببعض العذاب الذي سيحل بقوم لوط .
وهو أن هؤلاء الملائكة سيرسلون عليهم حجارة من طين ، وهذه الحجارة معلمة بعلامات تعرف بها للذين تجاوزوا الحد في الشرك ، أو المعاصي ، كمعصية قوم لوط .

٣ـ بشرت الملائكة إبراهيم عليه السلام بأنه سيولد له ولد اسمه إسحاق وأنه سيكبر حتى يكون غلامًا ثم يكون عالمًا ثم يكون نبيًا من الصالحين .

٤ـ بشروا زوجه بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب ، وهذه البشارة تتضمن أنه سيكبر ثم يتزوج ثم يكون له هذا الولد الذي اسمه يعقوب .

فتعجبا من هذه البشارة .

فإبراهيم يقول : كيف يكون لي ولد بعد ما أصابني الكبر ، وامرأتي عاقر .

وسارة تقول : كيف ألد وأنا عجوز كبيرة وزوجي شيخ كبير .

فأخبرتهما الملائكة : أن هذا هو أمر الله وقضاؤه وهو حق فلا تقنطا منه.

ثم وقعت هذه البشارة فرزقا بإسحاق نبي الله عليه السلام ، ورزق إسحاق بيعقوب عليهما السلام.

المبحث الثالث : بشارة الملائكة للوط عليه السلام .

ذكر الله في كتابه الكريم أن الملائكة لما جاءت لوطا عليه السلام بشرته ببشائر عظيمة ومن ذلك :

١ـ قوله تعالى ﴿ قالوا يٰلوط إنا رسل ربك لن يصلوا إليك فأسر بأهلك بقطع من اليل ولا يلتفت منكم أحد إلا امرأتك إنه مصيبها ما أصابهم إن موعدهم الصبح أليس الصبح بقريب ﴾(١).

٢ـ وقوله تعالى ﴿ فلما جاء ءال لوط المرسلون قال إنكم قوم منكرون قالوا بل جئنٰك بما كانوا فيه يمترون وأتينٰك بالحق وإنا لصٰدقون فأسر بأهلك بقطع من اليل واتبع أدبٰرهم ولا يلتفت منكم أحد وامضوا حيث تؤمرون وقضينا إليه ذٰلك الأمر أن دابر هٰؤلاء مقطوع مصبحين ﴾(٢).

٣ـ وقوله تعالى ﴿ ولما أن جاءت رسلنا لوطاً سيء بهم وضاق بهم ذرعًا وقالوا لا تخف ولا تحزن إنا منجوك وأهلك إلا امرأتك كانت الغٰبرين إنا منزلون على أهل هٰذه القرية رجزاً من السماء بما كانوا يفسقون ﴾(٣).

المعنى(٤).

ذكر الله في هذه الآيات البشائر التي بُشر بها لوط عليه السلام بواسطة الملائكة . وهذه البشائر هي :

١ـ هود ٨١.
٢ـ الحجر ٦١ـ٦٦.
٣ـ العنكبوت ٣٣ـ٣٤.
٤ـ سبق ذكر معاني المفردات ، والمعنى إجمالاً في "وحي الملائكة إلى لوط" ص ٥٥ـ٥٩.

١ـ أن قومه لن يمسوه بسوء .

لما حاول قوم لوط التعدي على ضيفه بالفاحشة ، دافعهم دفاعًا شديدا ولما لم يستطع أن يقاومهم .

أخبره هؤلاء الضيوف عن حقيقتهم وأنهم ملائكة ، وأن قومه لن يصلوا إليه بأي سوء .

٢ـ هلاك قومه ونجاته وأهل بيته من العذاب إلا امرأته.

بشرت الملائكة لوطا عليه السلام بهلاك قومه الذين دعا عليهم بقوله ﴿ رب انصرنى على القوم المفسدين ﴾(١) . وأخبروه بوقت العذاب ، وأنه سينزل عليهم صباحا . وأمروه أن يخرج هو وأهل بيته من قرى قومه ليلًا ، إلا امرأته فإنها ليست مؤمنة فلذلك سيصيبها ما يصيب قومها من العذاب .

١ـ العنكبوت ٣٠.

المبحث الرابع : بشارة الملائكة لزكريا عليه السلام .

ذكر الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم أن الملائكة بشرت زكريا عليه السلام بعدة بشارات . فمن ذلك :

١ـ قوله تعالى ﴿ فنادته الملٰئكة وهو قائم يصلى فى المحراب أن الله يبشرك بيحيىٰ مصدقًا بكلمة من الله وسيدًا وحصورًا ونبيًا من الصٰلحين ﴾(١).

٢ـ وقوله تعالى ﴿ يٰزكريا إنا نبشرك بغلٰم اسمه يحيىٰ لم نجعل له من قبل سميًا قال رب أنىٰ يكون لى غلٰم وكانت امرأتى عاقرًا وقد بلغت من الكبر عتيًا قال كذٰلك قال ربك هو على هين وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئًا ﴾(٢).

معاني المفردات :

سميًا : اختلف المفسرون في معنى " سميا " على ثلاثة أقوال :

القول الأول : لم يسم أحد قبله بهذا الاسم .

أخرجه الحاكم عن ابن عباس ، وصححه ، ووافقه الذهبي(٣).

ورواه الطبري عن قتادة ، وابن جريج(٤) ، والسدي ، واختاره الطبري(٥).

١ـ آل عمران ٣٩. وسبق ذكر معاني المفردات في " وحي الملائكة إلى زكريا " ص ٦٠ـ ٧٢.

٢ـ مريم ٧ـ ٨ـ ٩.

٣ـ انظر المستدرك ٣٧٢/٢.

٤ـ هو عبد الملك بن جريج الاموي. روى عن عكرمة ، والزهري ، والعطاء،ين. وعنه ابناه عبد العزيز ومحمد ، والأوزاعي ، والليث . وهو ثقة عابد فاضل ، إلا أنه يدلس ويرسل . مات عام ١٥٠. وانظر تهذيب التهذيب ٤٠٢/٦ـ ٤٠٦. والتقريب ٣٦٣.

٥ـ انظر تفسيره ٤٩/١٦ـ ٥٠.

القول الثاني : لم تلد العواقر ولدا مثله .

رواه الطبري عن ابن عباس رضي الله عنهما (١) ، واختاره البيضاوي(٢).

القول الثالث : ليس له شبيه ولا نظير.

رواه الطبري عن مجاهد (٣). . وذكره البغوي عن سعيدبن جبير، وعطاء (٤)، ورجحه الشوكاني (٥). وقالوا هو مثل قوله تعالى ﴿ هل تعلم له سميًا ﴾(٦).

الترجيح :

الذي يظهر لي أن القول الأول هو الراجح ، وأن الله لما بشره بالغلام بواسطة الملائكة بشره أيضا أن هذا الاسم لم يتسم به أحد قبله.

فإن قيل : ما وجه التفضيل باسم لم يسم به أحد قبله ونحن نرى كثيرًا من الأسماء التي لم يُسبق إليها ؟

فالجواب : أن وجه الفضيلة أن الله تعالى تولى تسميته ولم يكل ذلك إلى أبويه(٧).

وأما القول الثاني : وهو ما رواه الطبري عن ابن عباس فإنه ضعيف ، لأنه من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن

١- انظر تفسير الطبري ٤٩/١٦.
٢- انظر تفسيره ٢٧/٢.
٣- انظر تفسير الطبري ٤٩/١٦.
٤- هو ابن أبي رباح وقد سبقت ترجمته ص ٦٨. ، وانظر تفسير البغوي ١٨٩/٣.
٥- انظر تفسيره ٣٢٣/٣.
٦- مريم ٦٥.
٧- انظر تفسير ابن الجوزي ٢١١/٥.

عباس . ولم يسمع منه ولم يره(١).

وأما القول الثالث : فيجاب عنه بأنه وجد من هو أعلى منزلة من يحيى عليه السلام مثل إبراهيم خليل الرحمن، وموسى كليم الله عليهما السلام .

إلا أن يراد بأنه لا نظير له في شيء مخصوص ، وهو كونه سيدًا ، وحصورًا .

فهو سيد في قومه ولا حاجة به إلى النساء(٢).

عتيا : العتي : النهاية في الكبر(٣).

المعنى :

في هذه الآيات بشارات عظيمة من الملائكة لزكريا عليه السلام وتتمثل فيما يأتي:

١ـ بشارة الملائكة لزكريا بإجابة الله دعوته . وذلك أنه لما رأى الطعام يأتي إلى مريم في غير حينه ، دعا الله دعاء خفيًا ـ لم يسمعه أحد من الناس ـ أن يرزقه ولدا وإن كان كبيرًا.فبشرته الملائكة بإجابة الله دعاءه .

٢ـ بشارة الملائكة له بأنه سيولد له ولد وهو في حاجة إليه ، وأنه سيكبر حتى يكون غلامًا بل أعظم من ذلك أنه يصدق بعيسى عليه السلام ، وأنه سيكون سيدا في قومه ، ونبيًا من الصالحين .

٣ـ بشارة الملائكة له بأن الله هو الذي سمى هذا

١ـ انظر تهذيب التهذيب ٣٣٩/٧ـ٣٤٠ . وقال : "بينهما مجاهد وأبي الوداك وراشد بن سعد والقاسم بن محمد بن أبي بكر وغيرهم " وانظر التقريب ٤٠٢ وحاشية الطبري ٥٢٧/٢ـ٥٢٨ ، تحقيق شاكر .
٢ـ فإن أرادوا هذا المعنى فإن لهذا القول وجه قوي.
٣ـ انظر تفسير القرطبي ٨٣/١١ والشوكاني ٣٢٣/٣.

الغلام يحيى،فلم يكل تسميته لاحد ، ولم يسبقه إلى هذا الاسم أحد .

ومعناه أن الله أحياه بالإيمان والنبوة(١).

١- انظر تفسير القرطبي ٤/٧٦، ١١/٨٣. وابن كثير ١/٣٦٢.

المبحث الخامس : بشارة الملائكة لمريم عليها السلام .

جاءت الآيات الكثيرة في كتاب الله تعالى مخبرة عن بشارة الملائكة لمريم عليها السلام . فمن ذلك :

١ـ قوله تعالى ﴿ وإذ قالت الملٰئكة يٰمريم إن الله اصطفٰك وطهرك واصطفٰك علىٰ نساء العٰلمين ﴾(١).

٢ـ وقوله تعالى ﴿ إذ قالت الملٰئكة يٰمريم إن الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم وجيهًا فى الدنيا والاخرة ومن المقربين ويكلم الناس فى المهد وكهلًا ومن الصٰلحين قالت رب أنىٰ يكون لى ولد ولم يمسسنى بشر قال كذٰلك الله يخلق ما يشاء إذا قضىٰ أمرًا فإنما يقول له كن فيكون ويعلمه الكتٰب والحكمة والتورٰة والإنجيل ورسولًا إلىٰ بنى إسرٰءيل ﴾(٢).

معاني المفردات(٣).

يعلمه : قرأ نافع وعاصم(٤) ، وأبو جعفر ، ويعقوب ﴿يعلمه ﴾ بياء الغيبة .

مناسبة لقوله تعالى ﴿ إن الله يبشرك ﴾ . وقوله ﴿ إذا قضىٰ أمرًا ﴾ . فكله بلفظ الغيبة ، فجرى الكلام على نسق واحد .

١ـ آل عمران ٤٢ وسبق ذكر معاني المفردات في " وحي الملك إلى مريم "ص٩٦-٩٨

٢ـ آل عمران ٤٥ـ٤٩.

٣ـ سبق ذكر بعض معاني المفردات في "وحي الملك إلى مريم " ص٩٩.

٤ـ هو عاصم بن أبي النجود الاسدي الكوفي. أحد القراء السبعة ـ واسم أبيه بهدلة ـ قرأ القرآن على أبي عبد الرحمن السُلمي ، وزر بن حبيش ، وأبي وائل . روى عنه عطاء بن أبي رباح ، والسفيانان ، والخليل بن أحمد . وخرج له أصحاب الكتب الستة . وانظر معرفة القراء ٨٨/١ـ٨٩. وطبقات ابن الجزري ٣٤٦/١ـ٣٤٩.

وقرأ الباقون ﴿ نعلمه ﴾ بالنون . على إنه إخبار من الله تعالى عن نفسه أنه يعلمه الكتاب لأن قبله إخبارًا من الله عن نفسه في قوله ﴿ قال كذٰلك الله ﴾(١).

الكتاب : الكتابة بيده(٢).

الحكمة : السنة التي يتكلم بها في الشرع ، مما لم يوح إليه في كتاب(٣).

٣ـ قوله تعالى ﴿ فأرسلنا إليها روحنا فتمثل لها بشرًا سويًا قالت إنى أعوذ بالرحمٰن منك إن كنت تقيًا قال إنما أنا رسول ربك لأهب لك غلٰما زكيًا قالت أنى يكون لى غلٰم ولم يمسسنى بشر ولم أك بغيًا قال كذٰلك قال ربك هو على هين ولنجعله ءاية للناس ورحمة منا وكان أمرًا مقضيًا فحملته فانتبذت به مكانًا قصيًا فأجاءها المخاض إلىٰ جذع النخلة قالت يٰليتني مت قبل هٰذا وكنت نسيًا منسيًا فنادىٰها من تحتها ألا تحزنى قد جعل ربك تحتك سريًا وهزى إليك بجذع النخلة تسٰقط عليك رطبا جنيًا ﴾(٤).

معاني المفردات(٥) :

انتبذت : تنحت واعتزلت(٦).

قصيا : بعيدا نائيًا(٧).

فأجاءها : ألجأها واضطرها(٨).

١ـ انظر الكشف عن وجوه القراءات السبع ٣٤٤/١. والمهذب ١٣١/١ـ ١٣٢.
٢ـ انظر تفسير البغوي ٣٠٢/١. وابن كثير ٣٦٥/١.
٣ـ انظر تفسير الطبري تحقيق شاكر ٤٣٢/٦ـ ٤٣٣. وابن عطية ٩١/٣.
٤ـ مريم ١٧ـ ٢٥.
٥ـ سبق ذكر بعض معاني المفردات في وحي الملائكة إلى مريم ص٩٩ـ ١٠٠.
٦ـ انظر تفسير الطبري ٦٣/١٦. والشوكاني ٣٢٨/٣.
٧ـ انظر تفسير الطبري ٦٣/١٦. والقرطبي ٩٢/١١.
٨ـ انظر تفسير ابن كثير ١١٧/٣. والشوكاني ٣٢٨/٣.

المخاض : وجع الولادة . وهو : الطلق(١).

فناداها : اختلف المفسرون في المنادي هنا على قولين :

القول الأول : أنه جبريل عليه السلام .

وهذا قول الجمهور ورجحه القرطبي(٢).

واستدلوا على ذلك بما يأتي :

١ـ قراءة ابن عباس ﴿ فناداها ملك من تحتها ﴾(٣).

وهذه قراءة شاذة .

٢ـ أن هذا النداء حصل بكلام . وعيسى عليه السلام لم يتكلم إلا بعد ذلك حينما قال : ﴿ إني عبد الله ءاتنى الكتب ﴾(٤).

القول الثاني : أنه عيسى عليه السلام .

وهذا القول رواه الطبري عن مجاهد ، والحسن البصري ، وسعيد بن جبير في رواية عنه ، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم ، واختاره الطبري(٥).

واستدل هؤلاء بما يأتي :

١ـ أنها أشارت إليه بعد ذلك ولم تشر إليه إلا وهي تعلم أنه قد نطق في حاله تلك(٦).

٢ـ أن عيسى عليه السلام هو أقرب مذكور فيرجع الضمير إليه(٧).

١ـ انظر تفسير البغوي ١٩٢/٣. وابن كثير ١١٧/٣.
٢ـ انظر تفسير الطبري ٦٧/١٦ـ ٦٨. والقرطبي ٩٤/١١. وابن كثير ١١٨/٣.
٣ـ انظر تفسير القرطبي ٩٤/١١.
٤ـ مريم ٣٠ . وانظر تفسير الطبري ٦٨/١٦، وابن كثير ١١٨/٣.
٥ـ انظر تفسير الطبري ٦٨/١٦ـ ٦٩.
٦ـ انظر تفسير الطبري ٦٩/١٦.
٧ـ المصدر السابق .

الترجيح :

الراجح هو القول الأول : وأن الذي ناداها هو جبريل عليه السلام .

وأما أدلة أصحاب القول الثاني فيجاب عنها بما يأتي :

١ـ الدليل الأول يجاب عنه : بأن جبريل هو الذي بشرها بعيسى عليه السلام وأنه سيكلم الناس في المهد قال تعالى ﴿ إذ قالت الملٰئكة يٰمريم إن الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم وجيهًا فى الدنيا والآخرة ومن المقربين ويكلم الناس في المهد وكهلاً ومن الصٰلحين ﴾(١).

٢ـ الدليل الثاني يجاب عنه : بأنهِ لم يثبت أن عيسى عليه السلام تكلم في تلك اللحظة بل الذي ثبت أنه تكلم بعد ذلك وهو لم يزل في المهد .

وأما القراءتان في ﴿ من تحتها ﴾

فقرأ نافع ، وحفص(٢) ، وحمزة ، والكسائي ، وروح(٣) ، وخلف العاشر بكسر الميم وجر التاء ﴿ مِن تحتِها ﴾ ووجه هذه القراءة أن ﴿من﴾ حرف جر وتحت ظرف مكان مجرور بمن.

وقرأ الباقون بفتح الميم ونصب التاء ﴿ مَن تحتَها ﴾

١ـ آل عمران ٤٥ـ٤٦.

٢ـ هو حفص بن عمر بن عبد العزيز بن صهبان ، ويقال : صهيب الأزدي ، المقرىء أبو عمر الدروي ، نسبه إلى الدور في بغداد . قرأ على الكسائي ، وإسماعيل بن جعفر . وعنه أحمد ، وهو من أقرانه ، وابن عيينة . توفي عام ٢٤٦. وانظر معرفة القراء ١/١٩١ـ١٩٢. وطبقات ابن الجزري ١/٢٥٥ـ٢٥٧.

٣ـ هو روح بن عبد المؤمن أبو الحسن البصري المقرىء صاحب يعقوب الحضرمي . كان متقنا مجودا . روى عن أبي عوانة ، وحماد بن زيد . وقرأ عليه أحمد الحلواني ، وأبو الطيب بن حمدان وأبو بكر الثقفي ، وغيرهم . توفي عام ٢٣٤ تقريبا . وانظر معرفة القراء ١/٢١٤. وطبقات ابن الجزري ١/٢٨٥.

ووجه هذه القراءة أن ﴿مَن﴾ اسم موصول وتحت ظرف مكان متعلق بمحذوف صلته(١).

وليس في القراءتين حجة لأحد الفريقين

لأن قراءة ﴿ مِن تحتِها ﴾ تحتمل أن الذي ناداها عيسى عليه السلام أو جبريل عليه السلام ومعنى كون جبريل من تحتها أي من مكان أسفل منها(٢) وهذا أقرب ، لأن ولادة عيسى لم تتم في تلك اللحظة ، لأن الله يقول ﴿ فأجاءها المخاض إلىٰ جذع النخلة قالت يٰليتني مت قبل هذا وكنت نسيًا منسيًا فناداها من تحتها ﴾(٣) فجاء بالفاء التي تقتضي الترتيب والتعقيب ، ولأن أكل الرطب يسهل الولادة .

وقراءة ﴿ مَن تحتَها ﴾ تحتمل الاحتمالين السابقين وكون المنادي جبريل أقرب لأن كلام عيسى عليه السلام لم يثبت إلا بعد ذلك . ثم إن جبريل عليه السلام هو الذي وُكل من قبل الله تعالى بتبشيرها ، والنفخ فيها ، وإيناسها .

ولذا قال الفراء : المنادي هو المَلَك في الوجهين جميعا(٤).

سريا : قال جمهور المفسرين : هو النهر الصغير الذي يسمى : الجدول .

ورواه البخاري تعليقا عن البراء بن عازب قال: نهر صغير بالسريانية(٥).

١- انظر النشر ٣٦٨/٢. وحجة القراءات ٤٤١-٤٤٢. والمهذب ٦/٢.

٢- انظر حجة القراءات ٤٤١-٤٤٢ وتفسير أبي السعود ٢٦٢/٥ وحاشية الجمل ٥٨/٣.

٣- مريم ٢٣-٢٤.

٤- انظر معاني القرآن ١٦٥/٢.

٥- انظر صحيح البخاري ١٤٠/٤. وفي رواية عنه قال: "الجدول : النهر الصغير". أخرجه الطبري ٦٩/١٦ والحاكم ٣٧٣/٢، وصححه ووافقه الذهبي، واللفظ له.

وروى ابن جرير عن الحسن وابن زيد أنهما قالا : هو عيسى عليه السلام(١). لأن السري هو العظيم من الرجال(٢) ولأنه لو أراد النهر لقال: بجانبها ولا يكون تحتها(٣).

ويجاب عن قولهم بما يأتي :

١ـ أنه مخالف لما ثبت عن البراء رضي الله عنه وتفسير الصحابي حجة إذا لم يخالف الكتاب والسنة .

٢ـ أن قولهم هو العظيم من الرجال مخالف لقول جميع أهل اللغة(٤).

ومما يؤيد قول الجمهور :

١ـ أن الله قال بعد ذلك ﴿ فكلي واشربي ﴾(٥) وقد ذكر الرطب الذي تأكله ، ولم يذكر الماء الذي تشربه إلا بقوله ﴿ سريا ﴾ .

٢ـ أن مريم قد علمت أنها ستلد عيسى عليه السلام حينما بشرها جبريل به وحينما نفخ فيها .

فإن قيل كيف ناسب تسليتها من الحزن الذي أصابها بالنهر ؟

فيجاب عن ذلك :

بأنها حزنت لأنها ولدت من غير زوج . فأجرى الله لها النهر ، وأخرج لها الرطب ليدل بذلك على قدرته على إيجاد عيسى من غير أب(٦).

جنيا : طريًا(٧).

١ـ انظر تفسير الطبري ٧٠/١٦ـ٧١.
٢ـ انظر تفسير القرطبي ٩٤/١١.
٣ـ انظر تفسير الطبري ٧١/١٦.
٤ـ انظر تهذيب اللغة ٥٤/١٣. ولسان العرب ٣٨٠/١٤.
٥ـ مريم ٢٦.
٦ـ انظر زاد الميسر ٢٣٢/٥.
٧ـ انظر تفسير الرازي ٢٠٦/٢١ والشوكاني ٣٣٩/٣.

المعنى(1).

في هذه الآيات بشارات عظيمة من الله سبحانه وتعالى إلى مريم عليها السلام بواسطة الملائكة . وهذه البشارات هي :

١ـ بشارتها باصطفاء الله لها وتطهيرها .

أرسل الله الملائكة إلى مريم لتبشرها أن الله اختارها لعبادته ، وأنه طهرها من الذنوب والوساوس والأدناس ، واختارها على نساء العالمين جميعًا . وهذه البشارة تحتاج إلى حمد وشكر عظيمين . ولذلك أمرتها الملائكة بعد ذلك بإطالة العبادة في خشوع، وكثرة السجود والركوع لله تعالى .

٢ـ بشارتها بعيسى عليه السلام .

نزلت الملائكة إلى مريم عليها السلام وهي تحمل لها بشارة عظيمة من الله سبحانه وتعالى . وهي أن الله سيهب لها ولدا يخلقه بكلمة ﴿ كن ﴾ . وهذا المولود اسمه عيسى بن مريم ، وله مكانة ومنزلة في الدنيا والآخرة . فمن ميزاته في الدنيا أنه يكلم الناس وهو صبي في مهده . قال الله عنه ﴿ قال إني عبد الله ءاتني الكتب وجعلني نبيًا وجعلني مباركًا أين ما كنت وأوصني بالصلوٰة والزكوٰة ما دمت حيًا وبرًا بوٰلدتي ولم يجعلني جبارًا شقيًا والسلٰم علي يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيًا ﴾(2).

وكذلك يكلم الناس وهو رجل سوي ؛ ويكون نبيًا من الصالحين .

وبشرتها بأن الله يعلمه الكتابة ، والسنة التي يتكلم بها في إبلاغ الوحي إلى الناس ويفصل بينهم فيها . وكذلك يعلمه التوراة المنزلة على موسى عليه السلام ، والإنجيل

١ـ سبق ذكر المعنى في "وحي الملائكة إلى مريم"

٢ـ مريم ٣٠ـ٣٣.

المبحث السادس : بشارة الملائكة المؤمنين في معركة بدر

ذكر الله تعالى في كتابه العزيز أنه أمد المؤمنين بالملائكة في بدر ليستبشروا بالنصر الذي لا يكون إلا من عند الله عز وجل . فمن ذلك :

١ـ قوله تعالى عن مدد الملائكة ﴿ وما جعله الله إلا بشرىٰ لكم ولتطمئن قلوبكم به وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم ﴾(١).

٢ـ وقوله تعالى ﴿ وما جعله الله إلا بشرىٰ ولتطمئن به قلوبكم وما النصر إلا من عند الله إن الله عزيز حكيم ﴾(٢).

المعنى

ذكر الله في هاتين الآيتين الحكمة من إمداد المؤمنين بالملائكة في معركة بدر ، وهي البشرى والفرح بالنصر الذي لا يكون إلا من عند الله عز وجل .

أما الملائكة فإنما هم سبب في نصر المؤمنين ، وذلك أنهم قاتلوا معهم في هذه المعركة التي نصر الله فيها الإسلام وأهله ، وأذل فيها الشرك وأهله(٣).

١ـ آل عمران ١٢٦.

٢ـ الأنفال ١٠.

٣ـ أما الحديث عن تفاصيل نزول الملائكة لنصرة المؤمنين في معركة بدر. فسيأتي الحديث عنه في مبحث نصر الملائكة المؤمنين في معركة بدر . ص١٩٩ـ٢١٢.

المبحث السابع : إنذار الله لكفار قريش بالملائكة.

كثيرًا ما يعاند كفار قريش الرسول - صلى الله عليه وسلم - فيحذرهم الله ويخوفهم بالملائكة عليهم السلام .

وقد جاءت آيات كثيرة في تخويف كفار قريش بالملائكة. ومن ذلك:

١- قوله تعالى ﴿ وقالوا لولا أنزل عليه ملك ولو أنزلنا ملكاً لقضي الأمر ثم لا ينظرون ولو جعلنٰه ملكاً لجعلنٰه رجلاً وللبسنا عليهم ما يلبسون ﴾(١).

معاني المفردات :

لقضي الأمر : لجاءهم العذاب(٢).

لا ينظرون : لا يؤخرون(٣).

لبسنا عليهم ما يلبسون : خلطنا عليهم ما يخلطون(٤).

٢- وقوله تعالى ﴿ ولو أننا نزلنا إليهم الملٰئكة وكلمهم الموتىٰ وحشرنا عليهم كل شيء قبلاً ما كانوا ليؤمنوا إلا أن يشاء الله ولٰكن أكثرهم يجهلون ﴾(٥).

قبلاً : قرأ نافع ، وابن عامر ، وأبو جعفر ﴿ قِبَلاً ﴾ بكسر القاف ، وفتح الباء بمعنى مقابلة أي : معاينة .

وقرأ الباقون ﴿ قُبُلاً ﴾ بضم القاف ، والباء جمع قبيل ، أي : جماعة جماعة ، أو بمعنى كفيل(٦).

١- الأنعام ٨-٩.

٢- انظر تفسير الطبري ٣٦٧/١١، تحقيق شاكر . وابن كثير ١٢٥/٢.

٣- انظر تفسير الطبري ٣٦٧/١١، تحقيق شاكر. والقرطبي ٣٩٣/٦.

٤- انظر تفسير القرطبي ٣٩٤/٦. والبيضاوي ٢٩٤/١.

٥- الأنعام ١١١.

٦- وانظر حجة القراءات ٣٦٧-٣٦٨. والمهذب ٢٢٢/١.

٣ـ وقوله تعالى ﴿ وقالوا يٰأيها الذى نزل عليه الذكر إنك لمجنون لو ما تأتينا بالملٰئكة إن كنت من الصٰدقين ما ننزل الملٰئكة إلا بالحق وما كانوا إذاً منظرين ﴾(١).

المعنى :

أخبر الله في هذه الآيات عن سؤال المشركين النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن يُنزل عليه ملك ، ويشاهدوه عيانا حتى يؤمنوا بما جاء به النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ فأجاب الله عن سؤالهم بجوابين :

الأول : أن الله لو أنزل ملكا حسب طلبهم ولم يؤمنوا لعذبهم به بسبب تكذيبهم ، كما حصل للأمم السابقة .

الثاني : أنه لو نزّل ملكاً فسيكون على صورة بني آدم ، لأن الناس لا يطيقون رؤية الملك بصورته الحقيقية ، ولا يمكنهم تكليمه بل قد تزهق أرواحهم خوفًا منه(٢)، إذاً المصحلة تقتضي أن لا ينزل الله ملكا على صورته الحقيقة .

ولو جعله الله على صورة البشر حتى يكلموه ، ويأنسوا به لقالوا إنه بشر وليس بملك ، فيلتبس عليهم الأمر حينئذ .

فتبين من هذا أن اقتراح نزول الملك جهل منهم، إذ هو تعلل لعدم إيمانهم ، ولن يؤمن منهم إلا من شاء الله .

١ـ الحجر ٦ـ٨.
٢ـ إلا من خص منهم مثل الرسول صلى الله عليه وسلم

قال تعالى ﴿ ولو أننا نزلنا إليهم الملئكة وكلهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلاً ما كانوا ليؤمنوا إلا أن يشاء الله ولكن أكثرهم يجهلون ﴾(١).

١ـ الأنعام ١١١.

المبحث الثامن : إنذار الله لأبي جهل بواسطة الملائكة .

كان أبو جهل من أكثر كفار قريش إيذاء للنبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ وقد أنزل الله في شأنه قرآنا يتلى إلى يوم القيامة إنذارًا وتخويفا له من الاستمرار في إيذاء النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ .

قال تعالى ﴿ كلا لئن لم ينته لنسفعا بالناصية ناصية كذبة خاطئة فليدع ناديه سندع الزبانية كلا لا تطعه واسجد واقترب﴾(١).

سبب نزول الآيات :

أخرج مسلم في صحيحه عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال : قال أبو جهل هل يعفر محمد وجهه بين أظهركم ؟ قال قيل : نعم . فقال : واللات والعزى لئن رأيته يفعل ذلك لأطأن على رقبته . أو لأعفرن وجهه في التراب قال: فأتى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهو يصلي . زعم ليطأ على رقبته . قال: فما فجئهم منه إلا وهو ينكص على عقبيه . ويتقي بيديه . قال: فقيل له : ما لك؟ فقال : إن بيني وبينه لخندقا من نار وهولا وأجنحة . فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ " لو دنا مني لاختطفته الملائكة عضوًا عضوًا " . قال: فأنزل الله عز وجل ـ لا ندري في حديث أبي هريرة أو

١ـ العلق ١٥ـ١٩.

شيء بلغه ـ : ﴿ كلا إن الإنسٰن ليطغىٰ (١) ... ﴾ إلى آخر السورة(٢).

وعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال : كان النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ يصلي فجاء أبو جهل فقال: ألم أنهك عن هذا ؟ ألم أنهك عن هذا ؟ فانصرف النبي صلى الله عليه وسلم فزبره(٣)، فقال أبو جهل : إنك لتعلم ما بها ناد أكثر مني . فأنزل الله ﴿ فليدع ناديه سندع الزبانية ﴾(٤) فقال ابن عباس : فوالله لو دعا ناديه لأخذته زبانية الله "(٥).

معاني المفردات :

نسفعًا : نأخذن ومنه قوله تعالى ﴿ فيؤخذ بالنواصى والأقدام ﴾(٦)، أو لنسودن في نار جهنم، أو لنضربن. وكل هذه الأشياء تُجْمَع عليه فيؤخذ بناصيته وتسود وتضرب(٧).

الناصية : مقدمة الرأس(٨).

ناديه : أهل مجلسه وعشيرته(٩).

الزبانية : ملائكة العذاب(١٠).

١ـ العلق ٦.
٢ـ أخرجه مسلم في صحيحه ٢١٥٤/٤ ـ ٢١٥٥.
٣ـ زَبَرَه : نهره وأغلظ عليه القول وانظر النهاية في غريب الحديث ٢٩٣/٢ .
٤ـ العلق ١٧ ـ ١٨.
٥ـ أخرجه الترمذي ٤٤٤/٥ وقال : هذا حديث حسن غريب صحيح ، والنسائي في التفسير ٥٣٦/٢ ، والطبري ٢٥٦/٣٠. وقال الألباني في صحيح سنن الترمذي ١٣٢/٣: صحيح الإسناد .
٦ـ الرحمن ٤١.
٧ـ وهذه الأشياء من معاني السفع في اللغة . وانظر لسان العرب ١٥٦/٨ ـ ١٥٨. وتفسير القرطبي ١٢٤/٢٠. والشوكاني ٤٦٩/٥ ـ ٤٧٠.
٨ـ انظر تفسير الطبري ٢٥٥/٣٠. وزاد المسير ١٧٨/٩.
٩ـ انظر تفسير الطبري ٢٥٥/٣٠. وابن كثير ٥٢٨/٤.
١٠ـ انظر تفسير ابن كثير ٥٢٨/٤.

المعنى :

يحذر الله سبحانه وتعالى أبا جهل من الاستمرار في إيذاء النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ . وذلك حينما أقسم باللات والعزى إن رأى النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ساجدا ليطأن على رقبته . فقال الله لئن لم ينته عما يريد لتأخذن الملائكة بناصيته إلى نار جهنم .

وإن استمر على إيذائه النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ فستنزل عليه ملائكة غلاظ شداد تأخذه بقوة .

فإن قيل هل هذا الأخذ في الدنيا أو في الآخرة .

أقول : إنه في الدنيا . والدليل على ذلك ما يأتي :

١ـ الحديثان المتقدمان في سبب نزول الآيات :

ففي حديث أبي هريرة " فما فجئهم منه إلا وهو ينكص على عقبيه ويتقي بيديه قال : فقيل له : ما لك؟ فقال: إن بيني وبينه لخندقا من نار وهولاً وأجنحة. فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ " لو دنا مني لاختطفته الملائكة عضوًا عضوًا".

وفي حديث ابن عباس أن ابن عباس قال : " فوالله لو دنا لأخذته زبانية الله ".

ولفظ الطبري " أخذته زبانية العذاب من ساعته " وفي لفظ " لأخذته الملائكة من مكانه " وفي لفظ أيضا " لأخذته الملائكة والناس ينظرون إليه " (١)

٢ـ أخرج البخاري ، والترمذي ، والنسائي عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال : قال أبو جهل لئن رأيت محمدا يصلي عند الكعبة لأطأن على عنقه فبلغ النبي ـ صلى

١ـ سبق تخريج الحديثين ص ١٣٩ - ١٤٠ .

الله عليه وسلم ـ فقال: " لو فعله لأخذته الملائكة "(١).

ولفظ الترمذي(٢) والنسائي(٣) " لو فعل لأخذته الملائكة عيانا ".

فهذه الأحاديث والآثار تدل على أن أبا جهل رأى الملائكة بعينه تهدده ، وأنه لو اقترب من النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ لأخذته في تلك اللحظة .

وكذلك لو جمع أهل مجلسه وعشيرته لينتصر على محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ فإن الله سيأتي بجنود لا قبل لكفار قريش بهم ، وهم الزبانية .

وإنما شُدِدَ في حق أبي جهل وعجلت له العقوبة لو فعل ما هدد به النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ لأن أبا جهل زاد في تهديده الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ وبجمع أهل مجلسه وعشيرته وبإرادته وطء العنق الشريف وهو ساجد لله تعالى(٤).

١ـ أخرجه البخاري في صحيحه ٨٩/٦.
٢ـ انظر سنن الترمذي ٤٤٤/٥.
٣ـ انظر تفسير النسائي ٥٣٦/٢.
٤ـ انظر فتح الباري ٧٢٤/٨.

الفصل الرابع : دعاء الملائكة للمؤمنين ولعنهم الكافرين وغيرهم

وهذا الفصل فيه خمسة مباحث

المبحث الأول : دعاء الملائكة لجميع المؤمنين .

المبحث الثاني : دعاء الملائكة للنبي صلى الله عليه وسلم .

المبحث الثالث : لعن الملائكة للكفار .

المبحث الرابع : لعن الملائكة لمن يكتم العلم .

المبحث الخامس : لعن الملائكة للمرتدين .

وإليك تفصيل هذه المباحث :

المبحث الأول : دعاء الملائكة لجميع المؤمنين .

إن دعاء الملائكة للمؤمنين له شأن عظيم عند الله تعالى ، لأن الملائكة من أصلح خلق الله عز وجل وحري بأرحم الراحمين أن يجيب هذا الدعاء من هؤلاء العباد الذين لا يعصونه أبدا ويفعلون ما يؤمرون .

وقد تعددت الآيات في دعاء الملائكة للمؤمنين . فمن ذلك :

١ـ قوله تعالى ﴿ هو الذى يصلى عليكم وملٰئكته ليخرجكم من الظلمٰت إلى النور وكان بالمؤمنين رحيما ﴾(١).

معاني المفردات :

صلاة الله على المؤمنين : ثناؤه عليهم في الملأ الأعلى أو رحمته إياهم(٢).

والأول ألصق بالسياق ، وذلك أن الله لما أمر المؤمنين بذكره ذكرًا كثيرًا أخبر أنه يذكرهم ويثني عليهم .

وصلاة الملائكة على المؤمنين : الدعاء والاستغفار لهم قال تعالى ﴿ وصل عليهم ﴾(٣). وقال : ﴿ ويستغفرون للذين ءامنوا ﴾(٤).

٢ـ وقوله تعالى ﴿ الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين ءامنوا ربنا

١ـ الأحزاب ٤٣.
٢ـ انظر تفسير الطبري ١٧/٢٢ والبغوي ٥٣٤/٣٠. وابن كثير ٤٩٦/٣.
٣ـ التوبة ١٠٣.
٤ـ غافر ٧. وانظر تفسير الطبري ٤٣/٢٢. والقرطبي ١٩٨/١٤. وابن كثير ٤٩٧/٣.

وسعت كل شيء رحمة وعلما فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم ربنا وأدخلهم جنٰت عدن التى وعدتهم ومن صلح من ءابآئهم وأزوٰجهم وذريٰتهم إنك أنت العزيز الحكيم وقهم السيئات ومن تق السيئات يومئذ فقد رحمته وذٰلك هو الفوز العظيم ﴾(١).

معاني المفردات :

ومن حوله : هم الكروبيون وهم : سادة الملائكة والمقربون منهم .

قال تعالى ﴿ لن يستنكف المسيح أن يكون عبدا لله ولا الملٰئكة المقربون ﴾(٢).

اتبعوا سبيلك : سلكوا طريقك الذي هو الإسلام(٣).

عدن : إقامة مأخوذ من قولك عدن بالمكان إذا أقام به(٤).

وقهم السيئات : اصرف عنهم جزاء السيئات فلا تؤاخذهم بما صدر منهم.

وهذا على تقدير مضاف محذوف . أو أن السيئات بمعنى العقوبات(٥) والمعنى واحد لأن العقوبات جزاء السيئات .

٣ـ وقوله تعالى ﴿ والملٰئكة يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون لمن فى الأرض ألا إن الله هو الغفور الرحيم﴾(٦).

١ـ غافر ٧ـ٩.
٢ـ النساء ١٧٢. وانظر النهاية في غريب الحديث ١٦١/٤. وتفسير ابن كثير ٧٢/٤. والبداية والنهاية ٤٤/١.
٣ـ انظر تفسير الطبري ٤٤/٢٤.
٤ـ انظر تفسير القرطبي ٢٠٤/٨.
٥ـ انظر تفسير الطبري ٤٥/٢٤. والشوكاني ٤٨٢/٣.
٦ـ الشورى ٥.

لمن في الأرض : أي من المؤمنين دون الكفار(١).

المعنى :

يخبر الله في هذه الآيات عن كمال لطفه ورحمته بعباده المؤمنين ، وأنه قيض الأسباب الخارجة عن قدرتهم لتكون سببًا في رحمة الله بهم . فذكر أن جميع الملائكة ـ ومنهم حملة العرش ، ومن حوله من الملائكة المقربين ، وهم من أعظم الملائكة ـ يسبحون الله ، وينزهونه عن جميع النقائص والعيوب ، ويسألونه سبحانه وتعالى المغفرة للذين آمنوا ، فيتوسلون إلى الله بأسمائه وصفاته التي تناسب المقام . قائلين : يا ربنا يا من وسعت رحمته وعلمه كل شيء نسألك أن تغفر للذين تابوا من جميع الذنوب وسلكوا الطريق الذي وضعته لهم وأمرتهم باتباعه .

ثم سألوه جل وعلا أن يقي هؤلاء المؤمنين عذاب النار المقيم .

ثم توسلوا إليه بربوبيته أن يدخلهم جنات النعيم التي جعلها الله للمؤمنين دار مكث وإقامة لا خروج لهم بعد دخولها أبدا.

ولما كانت السعادة لا تكمل حقيقة إلا إذا كان الإنسان بين آبائه وأزواجه وذريته . سألت الملائكة الله عز وجل أن يلحق بهؤلاء المؤمنين آباءهم وأزواجهم وذرياتهم ، دون أن ينقص من أجورهم شيئًا . وفي هذا يقول تبارك وتعالى ﴿والذين ءامنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمٰن ألحقنا بهم ذريتهم وما

١ـ انظر تفسير البغوي ١٢٠/٤. والخازن ١١٦/٦.

ألتْهم من عملهم من شيء ﴾(١).

١- **الطور ٢١.** وهذه الآية خاصة في إلحاق الذرية بهم. وآية المبحث عامة في الآباء والأزواج والذرية.

المبحث الثاني : دعاء الملائكة للنبي صلى الله عليه وسلم .

لما كان النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أفضل البشر ، وأكملهم ، وصاحب المقام المحمود يوم القيامة خصه الله بمزيد فضل منه جل وعلا ، كما خصه بدعاء الملائكة الكرام له .

قال تعالى ﴿ إن الله وملٰئكته يصلون على النبى يٰأيها الذين ءامنوا صلوا عليه وسلموا تسليمًا ﴾(١).

المعنى :

يخبر الله سبحانه وتعالى في هذه الآية عن منزلة النبي صلى الله عليه وسلم عنده فبين أنه يثني عليه في الملاء الأعلى. وأن الملائكة يدعون له صلى الله عليه وسلم . وهذا فيه تنبيه على فضله ، وعلو منزلته ورفعة درجته عند الله وعند ملائكته .

قال الحافظ ابن حجر : " سئلت عن إضافة الصلاة إلى الله دون السلام . وأمر المؤمنين بها وبالسلام . فقلت : يحتمل أن يكون السلام له معنيان التحية والانقياد فأمر بها المؤمنين لصحتها منهم والله وملائكته لا يجوز منهم الانقياد فلم يُضف إليهم دفعًا للإيهام "(٢).

١ـ الاحزاب ٥٦ وسبق ذكر معنى الصلاة من الله ومن ملائكته في مبحث : دعاء الملائكة للمؤمنين ص ١٤٤.

٢ـ انظر فتح الباري ٥٣٣/٨.

المبحث الثالث : لعن الملائكة الكفار

ذكر الله تعالى في كتابه العزيز أن الملائكة تلعن الكفار الذين ماتوا على كفرهم .

قال تعالى ﴿ إن الذين كفروا وماتوا وهم كفار أولٰئك عليهم لعنة الله والملٰئكة والناس أجمعين خٰلدين فيها لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون ﴾(١).

معاني المفردات:

اللعن : الطرد والإبعاد عن رحمة الله(٢).

ينظرون : ينتظرون ويمهلون(٣).

المعنى:

يخبر الله تعالى عن حال الكفار الذين استمروا على الكفر حتى ماتوا عليه وذلك بطردهم من رحمته ، وبأن الملائكة والناس يلعنونهم .

ولما كان الكفار مستمرين على الكفر حتى الموت ، استمرت عليهم اللعنة والعذاب ، ولا ينفعهم أي عذر من الأعذار . قال تعالى ﴿ فيومئذ لا ينفع الذين ظلموا معذرتهم ولا هم يستعتبون ﴾(٤).

١- البقرة ١٦١-١٦٢.
٢- انظر تفسير القرطبي ٢/٢٥-٢٦. وابن كثير ١/١٢٤.
٣- انظر تفسير الشوكاني ١/١٦٢. والسعدي ١/٩٠.
٤- الروم ٥٧.

المبحث الرابع : لعن الملائكة من يكتم العلم .

يجب على كل من علم علمًا أن لا يكتمه عن الناس إذا احتاجوا إليه أو سئل عنه . ومن كتم شيئا من العلم فيُخشى أن يصيبه الوعيد الذي فيه اللعن من الله تعالى ومن اللاعنين .

ومما ورد في القرآن الكريم من ذلك :

قوله تعالى ﴿ إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينٰت والهدىٰ من بعد ما بينٰه للناس في الكتٰب أولٰئك يلعنهم الله ويلعنهم اللٰعنون إلا الذين تابوا وأصلحوا وبينوا فأولٰئك أتوب عليهم وأنا التواب الرحيم ﴾(١).

معاني المفردات :

البينات : الآيات الواضحات(٢).

الهدى : كل ما يهدي الناس ويرشدهم إلى الحق .

الكتاب : اسم جنس ، فيشمل جميع الكتب المنزلة(٣).

اللاعنون : اختلف المفسرون في المراد باللاعنين على أربعة أقوال :

القول الأول : أنهم كل الخلائق .

قاله ابن كثير والسعدي .

وقالوا : كما أن معلم الناس الخير يستغفر له كل شيء حتى الحوت في الماء، والطير في الهواء. فالكاتم لما أنزل

١- البقرة ١٥٩-١٦٠.

٢- انظر تفسير أبي السعود ١٨٢/١. والفتوحات الإلهية ١٣٦/١.

٣- انظر تفسير القرطبي ١٨٦/٢. والشوكاني ١٦/١.

الله بخلاف هؤلاء(١).

القول الثاني : أنهم الملائكة والمؤمنون .

أخرجه الطبري عن قتادة ، والربيع بن أنس . واختاره الطبري(٢) ، وابن عطية ، والقاسمي ، والشنقيطي(٣).

وقالوا : بأن اللاعنين في هذه الآية مفسر بقوله تعالى بعدها ﴿ إن الذين كفروا وماتوا وهم كفار أولئك عليهم لعنة الله والملئكة والناس أجمعين ﴾(٤).

القول الثالث : أنهم كل ما عدا بني آدم والجن .

أخرجه الطبري عن البراء بن عازب(٥) والضحاك(٦) وذلك أن الكافر إذا وضع في قبره ضرب بمطرقة من حديد فيصيح صيحة يسمع صوته كل شيء إلا الثقلين الجن والإنس . فلا يسمع صيحته شيء إلا لعنه(٧).

القول الرابع : أنهم دواب الأرض وهوامها

أخرجه الطبري عن مجاهد ، وعكرمة . وذلك أن ابن

١- انظر تفسير ابن كثير ٢٠١/١. والسعدي ٩٠/١.
٢- انظر تفسير الطبري ٢٥٧/٣-٢٥٨، تحقيق شاكر.
٣- انظر تفسير ابن عطية ٣٦/٢. والشنقيطي ١٥٠/١. والقاسمي ١١/٣-١٢.
٤- البقرة ١٦١.
٥- هو البراء بن عازب أبو عُمارة الأنصاري . من أعيان الصحابة . وحضر كثيرًا من المشاهد ، ولم يحضر بدر هو وابن عمر لصغرهما . وكان فقيها . وحدث كثيرًا عن النبي صلى الله عليه وسلم . نزل الكوفة وتوفي بها عام ٧٢ وقيل ٧١. وانظر الطبقات الكبرى ٣٦٤/٤-٣٦٧. والسير ١٩٤/٣-١٩٦.
٦- هو الضحاك بن مزاحم الهلالي أبو القاسم ، وقيل : أبو محمد . روى عن ابن عمر ، وابن عباس ، وأبي هريرة ، وغيرهم . وفي سماعه من ابن عباس خلاف . وروى عنه مقاتل بن حيان ، وابن كيسان ، وغيرهما . توفي عام ١٠٦ . وانظر السير ٥٩٨/٤-٦٠٠. وتهذيب التهذيب ٤٥٣/٤-٤٥٤.
٧- انظر تفسير الطبري ٢٥٧/٣، تحقيق شاكر.

آدم إذا عصى الله يمسك الله المطر من السماء فتلعن هذه الدواب والهوام هذا العاصي(١).

واستدلوا بما أخرجه ابن ماجة عن البراء بن عازب قال: قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : ﴿ يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون ﴾(٢) قال : " دواب الأرض "(٣).

الترجيح :

الذي يظهر لي أن القول الأول هو الراجح وأن الآية عامة في كل من يتأتى منه اللعن .

وأما الأقوال الثلاثة الأخيرة ففيها تخصيص بدون مخصص .

وأما الحديث الذين استدل به أصحاب القول الرابع. فقد قال في مصباح الزجاجة " هذا إسناد ضعيف لضعف ليث أبي سليم(٤) "(٥).

وذكره الشيخ الألباني في ضعيف سنن ابن ماجة وقال : ضعيف الإسناد(٦).

فعلى هذا لا يكون الحديث حجة في تخصيص اللاعنين

١ـ انظر تفسير الطبري ٢٥٤/٣ـ ٢٥٥، تحقيق شاكر.
٢ـ البقرة ١٥٩.
٣ـ انظر سنن ابن ماجة ١٣٣٤/٢.
٤ـ هو ليث بن أبي سُليم ، أبو بكر الكوفي ـ هكذا اسمه في الكامل في ضعفاء الرجال ، والضعفاء الكبير ، وتهذيب التهذيب . والذي في سنن ابن ماجة " الليث وهو ابن سليم" . وفي مصباح الزجاجة " ليث أبي سليم " . ضعفه أكثر أهل الحديث ، وقال الحافظ في التقريب ٤٦٤ : " صدوق اختلط جدا ولم يتميز حديثه فتُرك " . توفي عام ١٤٨. وانظر الضعفاء الكبير ١٤/٤ـ ١٧. والكامل في الضعفاء ٢١٠٥/٦ـ ٢١٠٨. وتهذيب التهذيب ٤٦٥/٨ـ ٤٦٨.
٥ـ انظر مصباح الزجاجة ١٨٧/٤.
٦ـ انظر ضعيف سنن ابن ماجة ٣٢٣.

بدواب الأرض وهوامها .

و الآية عامة في كل من كتم علمًا يجب عليه أن يخرجه إلى الناس ، لأنه على هذه الحالة ضد معلم الناس الخير ، الذي يصلي عليه الله وملائكته وأهل السموات والأرض .

والدليل على ذلك ما ثبت عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه قال : " إن الله وملائكته وأهل السموات والأرضين حتى النملة في جحرها وحتى الحوت ليصلون على معلم الناس الخير "(١).

المعنى :

بين الله في هاتين الآيتين حال بعض الناس الذين يكتمون العلم ولا يظهرونه حينما يكون واجبًا عليهم من بعد ما بينه الله ووضحه . وذلك بلعن الله لهم وإبعادهم من رحمته ودعاء جميع الخليقة عليهم بالإبعاد من رحمة الله ، لأن الله قد أخذ الميثاق على أهل الكتاب ببيان ما علموا من الكتاب وعدم كتمانه .

قال تعالى ﴿ وإذ أخذ الله ميثٰق الذين أوتوا الكتٰب لتبيننه للناس ولا تكتمونه فنبذوه ورآء ظهورهم واشتروا به ثمنًا قليلًا فبئس ما يشترون ﴾(٢).

وقال الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ : " من سئل عن علم ثم كتمه أُلجم يوم القيامة بلجام من نار "(٣).

١ـ جزء من حديث أخرجه الترمذي ٥/٥١ وقال حديث غريب . وصححه الالباني في صحيح الترمذي ٣٤٣/٢. والارنوط في رياض الصالحين ٥٣٦.

٢ـ آل عمران ١٨٧.

٣ـ أخرجه أبو داود ٦٧/٤ـ٦٨. والترمذي ٢٩/٥ـ٣٠. وحسنه . وابن ماجة ٩٨/١. وصححه الالباني في صحيح الترمذي ٣٣٦/٢.

فهذا وعيد وتهديد لمن كتم علمًا من شريعة الله والناس محتاجون إليه لأنه سعى في غش الخلق ، وإفساد أديانهم .

ثم استثنى الله الذين تابوا إليه ورجعوا عن هذا العمل وأصلحوا ما فسد من أعمالهم ، فبينوا للناس ما كتموه من شريعة الله . فمن كانت هذه حاله فإن الله يتوب عليه ، ويقبل توبته ، لأن الله تواب رحيم يقبل توبة عباده إذا تابوا. ويرحمهم سبحانه وتعالى .

المبحث الخامس لعن الملائكة المرتدين .

إن من أعظم الفتن في هذه الدنيا أن يدخل الإنسان الإسلام ، ويعرف أنه هو الدين الحق ويتنعم بنعم الله في ظل الإسلام ويعلم إن استمر عليه أن مآله إلى الجنة دار المتقين .

ثم يترك هذه النعم وينقلب على عقبيه ويستبدل الذي هو أدنى بالذي هو خير ، فيستبدل الكفر بالإسلام .

وقد لعن الله من كانت هذه حاله ولعنته الملائكة وجميع الناس .

قال تعالى ﴿ كيف يهدى الله قومًا كفروا بعد إيمٰنهم وشهدوا أن الرسول حق وجآءهم البيٍّنٰت والله لا يهدى القوم الظّٰلمين أولٰئك جزاؤهم أن عليهم لعنة الله والملٰئكة والناس أجمعين خٰلدين فيها لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون إلا الذين تابوا من بعد ذٰلك وأصلحوا فإن الله غفور رحيم ﴾(١).

سبب النزول

أخرج الإمام أحمد والنسائي والطبري والحاكم والبيهقي والواحدي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: " كان رجل من الأنصار(٢) أسلم ثم ارتد، ولحق بالشرك ثم ندم فأرسل إلى قومه : سلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم هل لي من توبة ؟ فجاء قومه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا : إن فلاناً قد ندم ، وإنه قد أمرنا أن نسألك : هل له من

١- آل عمران ٨٦-٨٩ وسبق ذكر بعض المفردات في المبحثين السابقين .

٢- أخرج الطبري ٥٧٣/٦ تحقيق شاكر . عن مجاهد ، والسدي أن اسمه : الحارث بن سُوَيد.

توبة ؟ فنزلت ﴿ كيف يهدى الله قومًا كفروا بعد إيمٰنهم ﴾(١) إلى ﴿ غفور رحيم ﴾(٢) فأرْسِل إليه ، فأسلم "(٣).

معاني المفردات :

كيف : استفهامية للاستبعاد أي : يبعد أن يهدي الله من كانت هذه حاله(٤) ، أو كيف يستحق الهداية من كانت هذه حاله(٥).

شهدوا : أقروا(٦).

المعنى :

هذه الآيات موضحة لحكم بعض الناس الذين دخلوا في الإسلام وعلموا محاسنه ، وأقروا بأن الرسول صلى الله عليه وسلم مرسل من عند الله تعالى ، وجاءتهم الحجج والبراهين الدالة على أن ما جاء به الإسلام كله حق وصدق . وبعد هذا كله يرتد هذا الإنسان عن الإسلام فيستبدل به الكفر والشرك . إذ يستبدل غضب الله برضاه وناره بجنته فهذا يستبعد أن يوفقه الله عز وجل ويرجع إلى الإسلام لأنه ظالم لنفسه بهذا الكفر والشرك ، والله لا يهدي القوم الظالمين فتكون الهداية في حقه مستبعدة للغاية ولم تكن مستحيلة(٧).

١- آل عمران ٨٦.

٢- آل عمران ٨٩.

٣- أخرجه أحمد ٢٤٧/١. والنسائي في السنن ١٠٧/٧. والتفسير ٣٠٨/١، واللفظ له . والطبري ٥٧٢/٦-٥٧٣، تحقيق شاكر . والبيهقي ١٩٧/٨. والحاكم ١٤٢/٢، و٣٦٦/٤، وصححه ووافقه الذهبي ، والواحدي ١٠٩. وصحح إسناده أحمد شاكر في تحقيقه للمسند ٤٧/٤. والألباني في صحيح سنن النسائي ٨٥٣/٣.

٤- انظر البحر المحيط ٥١٨/٢. وابن كثير ٣٨١/١.

٥- انظر تفسير ابن عطية ١٥٢/٣. والسعدي ١٩٠/١.

٦- انظر تفسير الطبري ٥٧٦/٦، تحقيق شاكر.

٧- انظر أيسر التفاسير ٢٨٦/١.

لأن الله قد يوفق هذا المرتد إلى الإسلام كما حصل للحارث بن سويد في سبب نزول هذه الآيات .

لكن من سبق في علم الله أنه لن يهتدي فإن الله لا يوفقه للهداية كما قال تعالى ﴿ إن الله لا يهدى القوم الكٰفرين ﴾(١).

ثم أخبر سبحانه وتعالى عن مصير هؤلاء وأن الله يطردهم ويبعدهم من رحمته وأن الملائكة والناس جميعًا يدعون عليهم بالطرد والإبعاد من رحمة الله تعالى ، وأنهم خالدون في هذه اللعنة المستلزمة للعذاب الذي يخلدون ويمكثون فيه أبدا . وهذا الجزاء من جنس عملهم الذي عملوه لأنهم أبعدوا أنفسهم من كل ما يقربهم من رحمة الله بعد ما عرفوه ، فلا يفتّر عنهم العذاب ولا يمهلون للاعتذار بل هم في عذاب شديد دائم .

ولما كان الله سبحانه وتعالى لطيف بعباده ويحب توبتهم ـ وهو أشد فرحًا بتوبة عبده من أحدنا في الصحراء ومعه راحلته وعليها طعامه وشرابه ثم ضلت عنه وبحث عنها فلم يجدها ، وبقي تحت شجرة ينتظر الموت ، فإذا خطامها فوق رأسه ، فقال : اللهم أنت عبدي وأنا ربك أخطأ من شدة الفرح ـ استثنى الذين تابوا من الكفر ورجعوا إلى الإسلام فإن الله يقبل توبتهم إذا أقبلوا عليه مقلعين عن الذنوب عازمين أن لا يعودوا إلى الكفر ، وأصلحوا أعمالهم التي فسدت بهذه الردة . لأن الله غفور أي : يستر عباده ، ويتجاوز عنهم . ورحيم بهم ، ومن مقتضيات رحمته أن يعمهم بنعمه ،

١ـ المائدة ٦٧. وانظر أيسر التفاسير ٢٨٦/١.

ويبعد عنهم نقمه وعذابه .

الفصل الخامس : نصر الملائكة وتأييدهم المؤمنين · وإهلاكهم وتعذيبهم الكافرين

وفيه ثمانية مباحث :

المبحث الأول : نصر الملائكة لوطا عليه السلام وإهلاك قومه ·

المبحث الثاني : تعذيب جبريل عليه السلام فرعون عند غرقه ·

المبحث الثالث : تأييد الملائكة طالوت عليه السلام ·

المبحث الرابع : تأييد جبريل عيسى عليهما السلام ·

المبحث الخامس : تأييد الملائكة للنبي صلى الله عليه وسلم ·

المبحث السادس : نصر الملائكة المؤمنين وإهلاكهم الكفار في معركة بدر ·

المبحث السابع : نصر الملائكة المؤمنين وهزيمتهم الكفار في غزوة الأحزاب ·

المبحث الثامن : نصر الملائكة المؤمنين وهزيمتهم الكفار في معركة حنين ·

وقبل الدخول في الحديث عن مباحث هذا الفصل أقول وبالله التوفيق :

إن الله ينصر أولياءه ويهزم أعداءه بما شاء من جنوده الذين لا يعلمهم إلا هو . وقد يكون نصر المؤمنين بإنزال السكينة عليهم وإلقاء الرعب في قلوب أعدائهم . قال تعالى عن يهود بني النضير ﴿ فأتٰهم الله من حيث لم يحتسبوا وقذف فى قلوبهم الرعب يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدى المؤمنين ﴾(١).

ويكون النصر بإنزال المطر . قال تعالى عن المؤمنين في بدر ﴿ وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به ويذهب عنكم رجز الشيطٰن وليربط علىٰ قلوبكم ويثبت به الاقدام ﴾(٢).

وأحيانا يكون الهلاك بالغرق . كما أغرق الله فرعون وقومه .

وأحيانا بالريح . كما أهلك قوم هود .

وأحيانا بالصيحة من السماء . كما أهلك قوم صالح .

وأحيانا بخسف الأرض بالكافرين . كما أهلك قارون .

وقد جمع الله صفات هلاك هؤلاء في قوله ﴿ فكلا أخذنا بذنبه فمنهم من أرسلنا عليه حاصبًا ومنهم من أخذته الصيحة

١- الحشر ٢.
٢- الأنفال ١١.

ومنهم من خسفنا به الأرض ومنهم من أغرقنا وما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون ﴾(١).

ولما كانت الملائكة جنداً من جند الله العظام ، فإنه ينصر المؤمنين ويؤيدهم بهم ، ويجعلهم يتولونهم جميعًا في الدنيا والآخرة . قال تعالى على ألسنة الملائكة ﴿ نحن أولياؤكم في الحيوٰة الدنيا وفى الآخرة ﴾(٢).

ويرسل الله ملائكته على الكفار والمعاندين ليعذبوهم أو يهلكوهم على ما سنبينه إن شاء الله .

وإليك الحديث عن مباحث هذا الفصل :

١- العنكبوت ٤٠.
٢- فصلت ٣٦.

المبحث الأول : نصر الملائكة لوطًا عليه السلام وإهلاكهم قومه .

بعث الله لوطًا عليه السلام إلى قومه ليعبدوا الله وحده لا شريك له ويتركوا عمل الفاحشة التي لم يسبقهم بها أحد من العالمين .

ولما يئس من استجابة قومه نزلت عليه الملائكة لينجوه ومن آمن معه ويهلكوا قومه .

وقد تعدد الآيات في هذا المعنى . فمن ذلك :

١ـ قوله تعالى ﴿ فأنجينه وأهله إلا امرأته كانت من الغبرين وأمطرنا عليهم مطرًا فانظر كيف كان عقبة المجرمين ﴾(١).

٢ـ وقوله تعالى ﴿ قالوا يلوط إنا رسل ربك لن يصلوا إليك فأسر بأهلك بقطع من اليل ولا يلتفت منكم أحد إلا امرأتك إنه مصيبها ما أصابهم إن موعدهم الصبح أليس الصبح بقريب فلما جاء أمرنا جعلنا عليها سافلها وأمطرنا عليها حجارة من سجيل منضود مسومة عند ربك وما هى من الظلمين ببعيد ﴾(٢).

معاني المفردات :
سجيل : طين لقوله تعالى ﴿ لنرسل عليهم حجارة من

١ـ الأعراف ٨٣ـ٨٤.
٢ـ هود ٨١ـ٨٣.

طين ﴾(١).

منضود : متتابع(٢).

مسومة : معلمة بعلامات(٣).

٣ـ وقوله تعالى ﴿ قالوا بل جئنٰك بما كانوا فيه يمترون وأتينٰك بالحق وإنا لصٰدقون فأسر بأهلك بقطع من اليل واتبع أدبٰرهم ولا يلتفت منكم أحد وامضوا حيث تؤمرون وقضينا إليه ذٰلك الأمر أن دابر هٰؤلاء مقطوع مصبحين ﴾(٤). إلى أن قال جل وعلا ﴿ فأخذتهم الصيحة مشرقين فجعلنا عٰليها سافلها وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل ﴾(٥).

مشرقين : أي وقت شروق الشمس (٦).

٤ـ وقوله تعالى ﴿ فنجينٰه وأهله أجمعين إلا عجوزًا فى الغٰبرين ثم دمرنا الاخرين وأمطرنا عليهم مطرًا فساء مطر المنذرين ﴾(٧).

٥ـ وقوله تعالى ﴿ فأنجينٰه وأهله إلا امرأته قدرنٰها من الغٰبرين وأمطرنا عليهم مطرًا فساء مطر المنذرين ﴾(٨).

٦ـ وقوله تعالى ﴿ وقالوا لا تخف ولا تحزن إنا منجوك وأهلك إلا امرأتك كانت من الغٰبرين إنا منزلون علىٰ

١ـ الذاريات ٣٣. وانظر تفسير البغوي ٣٩٧/٢. وابن كثير ٤٥٥/٢ـ ٤٥٦.
٢ـ انظر تفسير القرطبي ٨٣/٩. والسعدي ٣١٠/٣.
٣ـ انظر تفسير البغوي ٣٩٧/٢. والشوكاني ٥١٦/٢.
٤ـ الحجر ٦٣ـ ٦٦.
٥ـ الحجر ٧٣ـ ٧٤.
٦ـ انظر تفسير الطبري ٤٤/١٤ـ ٤٥. والقرطبي ٤٢/١٠.
٧ـ الشعراء ١٧٠ـ ١٧٣.
٨ـ النمل ٥٧ـ ٥٨.

أهل هذه القرية رجزاً من السماء بما كانوا يفسقون ﴾(١).

٧ـ وقوله تعالى ﴿ إذ نجينه وأهله أجمعين إلا عجوزاً في الغبرين ثم دمرنا الآخرين ﴾(٢).

٨ـ وقوله تعالى ﴿ قالوا إنا أرسلنا إلىٰ قوم مجرمين لنرسل عليهم حجارة من طين مسومة عند ربك للمسرفين فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين ﴾(٣).

٩ـ وقوله تعالى ﴿والمؤتفكة أهوىٰ فغشّٰها ما غشىٰ﴾(٤).

معاني المفردات :

المؤتفكة : المقلوبة بأهلها ، وهي قرى قوم لوط(٥).

أهوى : أسقط(٦).

فغشاها ما غشى: أي ألبسها ما ألبسها من الحجارة(٧).

١٠ـ وقوله تعالى ﴿ كذبت قوم لوط بالنذر إنا أرسلنا عليهم حاصبا إلا ءال لوط نجينٰهم بسحر نعمة من عندنا كذٰلك نجزى من شكر ولقد أنذرهم بطشتنا فتماروا بالنذر ولقد رٰودوه عن ضيفه فطمسنا أعينهم فذوقوا عذابى ونذر ولقد صبحهم بكرة

١ـ العنكبوت ٣٣ـ٣٤.
٢ـ الصافات ١٣٣ـ١٣٦.
٣ـ الذاريات ٣٢ـ٣٦. وسبق بيان مفردات هذه الآيات في مبحثي وحي الله إلى لوط ، ص ٥٥ـ٥٩. وبشارة الملائكة لوطا، ص ١٢١ـ١٢٢.
٤ـ النجم ٥٣ـ٥٤.
٥ـ انظر تفسير أبي السعود ١٥٦/٨. والقاسمي ٢٥٦/١٥.
٦ـ انظر تفسير البغوي ٢٥٦/٤. وابن الجوزي ٨٤/٨.
٧ـ انظر تفسير الشوكاني ١١٧/٥. وصديق حسن خان ١٨٧/٩.

عذاب مستقر فذوقوا عذابي ونذر ﴾(١).

معاني المفردات :

حاصبًا : حجارة(٢).

سحر : ما بين آخر الليل إلى طلوع الفجر ، حينما يختلط ضوء النهار بسواد الليل(٣).

تماروا : إما أنه من المرية ، وهي الشك . أي : شكّوا(٤).

أو من المراء وهو الجدال . أي : تجادلوا(٥) ، والكل صدر منهم .

طمسنا : أعمينا أو أنها طُمِسَت وصارت كسائر الوجه لا شق لها كما تطمس الريح الاعلام وتسفى عليها التراب(٦).

واختلف المفسرون في الذي طمس أعينهم .

فقال أكثر المفسرين بأنه جبريل عليه السلام طمسها بأمر الله تعالى(٧).

وقال الضحاك : طمس الله أبصارهم(٨).

والذي يظهر لي أن القول الأول : هو الصواب . لما يأتي :

١- القمر ٣٣-٣٩.
٢- انظر تفسير الطبري ١٠٤/٢٧. والبغوي ٢٦٣/٤.
٣- انظر تفسير القرطبي ١٤٤/١٧. ولسان العرب ٣٥٠/٤. وتفسير الشوكاني ١٢٧/٥.
٤- انظر تفسير البغوي ٢٦٣/٤. والشوكاني ١٢٧/٥.
٥- انظر تفسير الجلالين ٤٤٩.
٦- انظر تفسير الطبري ١٠٥/٢٧. والفتوحات الإلهية ٢٤٩/٤.
٧- انظر تفسير البغوي ٢٦٣/٤. والبداية والنهاية ١٦٩/١.
٨- انظر تفسير البغوي ٢٦٣/٤.

١ـ أن قوله ﴿ طمسنا ﴾ مثل قوله في أول الآيات ﴿ إنا أرسلنا عليهم حاصبًا ﴾ فنسب الله الفعل إليه لأنه هو الذي أمر به سبحانه وتعالى ، والذي باشر إرسال الحجارة هم الملائكة ، لأنهم قالوا لإبراهيم عليه السلام : ﴿ إنا أرسلنا إلىٰ قوم مجرمين لنرسل عليهم حجارة من طين مسومة عند ربك للمسرفين ﴾(١) فالملائكة هم الذين أرسلوا عليهم الحجارة المعلمة. ومع ذلك أضاف الله الضمير إليه في قوله ﴿ إنا أرسلنا ﴾ فكذلك ﴿ طمسنا ﴾.

٢ـ أن الملائكة هم الموكلون بتعذيبهم ، لأنهم لما جاءوا إلى لوط عليه السلام وأنكرهم أجابوه قائلين ﴿ بل جئنٰك بما كانوا فيه يمترون وأتينٰك بالحق وإنا لصٰدقون ﴾(٢).

فالملائكة جاءت لوطا لإهلاك قومه وتعذيبهم .

مستقر : دائم ومستمر(٣).

المعنى :

بين الله في هذه الآيات كيف نجى لوطا ومن معه من المؤمنين . وكيف عذب وأهلك الكافرين بواسطة الملائكة . وقد قامت الملائكة عليهم السلام حينما جاءوا لوطا وقومه بعدة أعمال . وهي :

أولا : تعذيب قوم لوط الذين راودوه عن ضيفه من الملائكة .

وذلك أن الملائكة جاءت إلى لوط على صور شبان

١ـ الذاريات ٣٢ـ٣٤.
٢ـ الحجر ٦٣ـ٦٤.
٣ـ انظر تفسير البغوي ٢٦٣/٤. والقرطبي ١٤٤/١٧.

حسان . فلما رأتهم زوجه أخبرت قومها ، فجاءوا إليه مسرعين وطلبوا منه أن يخلي بينهم وبين هؤلاء الشبان ـ ولم يعلم لوط حينئذ أنهم ملائكة ـ فأرشدهم عليه السلام إلى ما أباح الله لهم من النساء . فلما رأت الملائكة ما به من الضيق والكرب أخبروه عن حقيقتهم وأنهم ملائكة ولن يصل إليه قومه بسوء .

ولما أصر القوم على موقفهم ضربهم جبريل عليه السلام بجناحه فطمس أعينهم ، فخرجوا عميًا لا يبصرون وهم يهددون لوطا ويتوعدونه(١).

ثانيا : إنجاء لوط ومن معه من المؤمنين :

لم يؤمن للوط عليه السلام من قومه إلا أهل بيته باستثناء امرأته فإنها بقيت على كفرها ودين قومها . قال تعالى ﴿ لننجينه وأهله إلا امرأته كانت من الغٰبرين ﴾(٢) وقال ﴿ فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين ﴾(٣) ولما جاءته الملائكة أمرته أن يخرج هو والمؤمنون من القرية ليلاً.وأمْر الملائكة لهم بالخروج يعتبر تخليصًا لهم من العذاب الذي سيحل بالقوم صباحًا . كما قال تعالى عن الملائكة أنهم قالوا لإبراهيم عليه السلام ﴿ إلا ءال لوط إنا لمنجوهم أجمعين ﴾(٤).

وقالوا للوط ﴿ إنا منجوك وأهلك إلا امرأتك كانت من الغٰبرين ﴾(٥).

١ـ هكذا جاء عن كثير من المفسرين ، وقيل ضربهم بيده . وانظر تاريخ الطبري ٣٠١/١ـ٣٠٤. وتفسيره ٤٢٥/١٥ـ٤٣١ تحقيق شاكر. والبداية والنهاية ١٦٩/١.

٢ـ العنكبوت ٣٢.

٣ـ الذاريات ٣٦.

٤ـ الحجر ٥٩.

٥ـ العنكبوت ٣٣.

فخرج لوط وأهل بيته ليلاً ونزل العذاب على قومه صباحًا.

فإن قيل هل خرجت امرأة لوط الكافرة معهم أو لا ؟

أقول في ذلك خلاف .

وسبب الخلاف هو اختلافهم في قراءة ﴿ امرأتك ﴾ في قوله تعالى ﴿ فأسر بأهلك بقطع من الليل ولا يلتفت منكم أحد إلا امرأتك ﴾(١).

فقرأ جمهور القراء ﴿ امرأتَك ﴾ بالنصب على أنها مستثنى من ﴿ أهلك ﴾(٢).

وعلى هذه القراءة لم تخرج امرأته معه .

ويؤيد هذا المعنى قراءة ابن مسعود ﴿ فأسر بأهلك بقطع من الليل إلا امرأتَك ﴾ بالنصب (٣).

وقرأ ابن كثير ، وأبو عمرو ﴿ امرأتُك ﴾ برفع التاء ، على أنها بدل من ﴿ أحد ﴾(٤).

ويؤيد هذه القراءة ما روى عن ابن عباس أنه قال: "إنها سمعت الوجبة(٥) فالتفتت فأصابها العذاب"(٦).

ولما أشكل معنى هذه الآية فإننا ننظر إلى الآيات الأخر التي ذكرت هذه القصة ليتضح المراد منها ، والقرآن يفسر

١- هود ٨١.
٢- انظر حجة القراءات ٣٤٨. والمهذب ٣٢٤/١.
٣- انظر تفسير الطبري ٤٣٢/١٥، تحقيق شاكر . وهي قراءة شاذة.
٤- انظر حجة القراءات ٣٤٧. والكشف عن وجوه القراءات السبع ٥٣٦/١.
٥- الوجبة : صوت السقوط. وانظر النهاية في غريب الحديث ١٥٤/٥.
٦- ذكره في حجة القراءات ٣٤٨.

بعضه بعضًا . ففي آية أخرى يقول تعالى ﴿ فأسر بأهلك بقطع من اليل واتبع أدبٰرهم ولا يلتفت منكم أحد وامضوا حيث تؤمرون ﴾(١).

ففي هذه الآية إنما أمره الله أن يسري بأهله ليلًا ويكون من خلفهم ونهاهم عن الالتفات ، فدل هذا على أن امرأته لم تخرج معهم . ويؤيده قوله تعالى ﴿ كانت من الغٰبرين ﴾ والغابر : الباقي أي : الباقين في الهلاك(٢).

وعلى هذا تحمل القراءة الثانية على غير معنى البدل :

فيحتمل أن ﴿ امرأتك ﴾ مرفوع بالابتداء والجملة بعده خبر(٣).

أو أن الالتفات بمعنى التخلف لا بمعنى النظر(٤).

أو أن الاستثناء منقطع فيجوز الرفع اتباعًا وهو لغة تميم(٥).

وقرأ به ابن كثير وأبو عمرو.

ويجوز فيها النصب عند جمهور العرب .

قال ابن مالك في الألفية:

ما استثنت إلا مع تمام ينتصب وبعد نفي أو كنفي انتخب

اتباع ما اتصل وانصب ما انقطع وعن تميم فيه إبدال وقع

أي : أن تميمًا ترفع المستثنى المنقطع اتباعًا للمستثنى

١- الحجر ٦٥.

٢- انظر أضواء البيان ٣/٣٧.

٣- انظر المهذب ١/٣٦٤.

٤- انظر تفسير أبي السعود ٤/٢٢٩.

٥- تميم : قاعدة من أكبر قواعد العرب ، ينتسبون إلى تميم بن مُر بن أد بن طابخة بن إلياس بن مضر بن نزار . وأصبح أفرادها من حاضرة نجد ، وجبل شمر ، والبحرين ، والبصرة ، وغيرها . وانظر تاريخها في جمهرة أنساب العرب ٢٠٦- ٢٣٣و ٤٦٦- ٤٦٧و ٤٨٠. ومعجم قبائل العرب ١/١٢٥- ١٣٢.

منه(١).

ثالثا : إهلاك قوم لوط عليه السلام .

لما أمرت الملائكة لوطا بالخروج ليلا حددت له وقت هلاك قومه قال تعالى ﴿ إن موعدهم الصبح ﴾(٢) وقال ﴿ إن دابر هؤلاء مقطوع مصبحين ﴾(٣) .

وفي آية أخرى يقول تعالى ﴿ فأخذتهم الصيحة مشرقين ﴾(٤).

فالآيتان الأوليان تدلان على أن العذاب نزل عليهم صباحًا .

والآية الثالثة تدل على أن العذاب أخذهم وقت شروق الشمس .

والجمع بين الآيات أن يقال :

أن ذلك راجع إلى ابتداء العذاب وانتهائه فبدأ العذاب عند الصبح وامتد إلى طلوع الشمس(٥).

وأما العذاب الذي أخذهم فهو أنواع :

النوع الأول : الصيحة الشديدة العظيمة التي قال الله فيها ﴿ فأخذتهم الصيحة مشرقين ﴾(٦) واختلف المفسرون في

١- انظر شرح ابن عقيل ٢٠٩/٢-٢١٥. وروح المعاني ١٢-١٠٩-١١٢، وقد أطال عليه الألوسي وذكر أن الحمصي والكانيجي ، ألفا في الاستثناء في هذه الآية رسالتين .

٢- هود ٨١.

٣- الحجر ٦٦.

٤- الحجر ٧٣.

٥- انظر تفسير البغوي ٥٥/٣. والقرطبي ٤٢/١٠.

٦- الحجر ٧٣.

المراد من هذه الصيحة على قولين :

القول الأول: أنها صيحة العذاب حين رفعت بلادهم(١).

القول الثاني : أنها صيحة جبريل عليه السلام(٢).

والجمع بين القولين أن يقال : إن هذه الصيحة هي العذاب الذي جاء به جبريل عليه السلام .

النوع الثاني : رفع بلادهم وجعل عاليها سافيها .

لما جاء موعد العذاب اقتلع جبريل عليه السلام بلاد قوم لوط بما فيها من الجبال والأشجار والدواب والناس ورفعها ثم قلبها عليهم فجعل عاليها سافيها. كما قال تعالى ﴿جعلنا عٰليها سافلها ﴾(٣). وقال ﴿ والمؤتفكة أهوىٰ ﴾(٤). أي البلاد المقلوبة : أسقطها . لأنهم قلبوا فطرة الله بترك النساء ، وإتيان الذكور فالجزاء من جنس العمل.

وجبريل عليه السلام هو الذي تولى رفعها وقلبها على أهلها على ما قاله عامة المفسرين(٥).

قال ابن الجوزي " وانفرد سعيد بن جبير فقال: إن جبريل وميكائيل توليا قلبها "(٦).

النوع الثالث : إرسال الحجارة عليهم من السماء .

١ـ انظر تفسير الطبري ٤٤/١٤. وابن كثير ٥٥٦/٢.
٢ـ انظر تفسير البيضاوي ٥٣٤/١. والشوكاني ١٣٨/٣.
٣ـ هود ٨٢.
٤ـ النجم ٥٣.
٥ـ انظر تاريخ الطبري ٣٠٢/١ـ٣٠٧. وتفسير القرطبي ٨١/٩. والشوكاني ٥٠٥/٢.
٦ـ انظر زاد المسير ١٤٤/٤.

القول الثاني : أنها خمس قرى(١).

القول الثالث : أنها أربع قرى(٢).

القول الرابع : أنها ثلاث قرى(٣).

القول الخامس : أنها قرية واحدة يقال لها سدوم(٤)، ويؤيد هذا القول قوله تعالى ﴿ وجاء أهل المدينة يستبشرون﴾(٥).

والمدينة هي : مدينة لوط وهي : سدوم .

ويجاب عن هذا بأن الذين أتوه هم أهل أكبر القرى وهي : سدوم ، التي يسكنها لوط عليه السلام ، لأنهم هم القريبون منه ، وهم الذين علموا بأضيافه.

أما باقي القرى فلم يعلم أهلها بمجيء الأضياف .

ويؤيد القول بأن القرى المهلكة ثلاث فأكثر ما يأتي :

١ـ قوله تعالى ﴿ وجاء فرعون ومن قبله والمؤتفكت بالخاطئة فعصوا رسول ربهم فأخذهم أخذة رابية ﴾(٦).

والمؤتفكات : المنقلبات وهي قرى قوم لوط عليه السلام . وهذا قول عامة المفسرين(٧).

١ـ انظر تاريخ الطبري ٣٠٧/١. وتفسيره ٤٤٣/١٢. وتفسير القرطبي ٨١/٩. والشوكاني ٥١٥/٢ وفي ضبط هذه القرى اختلاف كبير .
٢ـ انظر تفسير ابن الجوزي ١٤٤/٤. والقرطبي ٨١/٩.
٣ـ انظر تاريخ الطبري ٣٠٦/١. وتفسيره ٤٤١/١٥.
٤ـ انظر تفسير ابن كثير ٤٥٥/٢. والدر المنثور ٤٦٣/٤.
٥ـ الحجر ٦٧.
٦ـ الحاقة ٩ـ١٠.
٧ـ انظر تفسير ابن جرير ٣٩/٢٩ـ٥٣. وابن الجوزي ٣٤٧/٨. والقرطبي ٢٦٢/١٨.

لأن الله ذكرهم بعد عاد ، وثمود ، وفرعون ، وبعض الأمم التي قبل فرعون، فذكرهم ضمن الأمم المهلكة .

٢ـ أن الواقع يؤيد هذا فمكان قرى قوم لوط هوالبحر الميت وهو كبير ، قال في الروض المعطار : طوله ستون ميلاً في عرض اثني عشر ميلاً(١).

وهذه المساحة من الأرض لا يمكن أن تكون لمدينة واحدة . بل كانت قرى متفرقة ، وخصوصًا في تلك الأزمنة المتقدمة .

ولم أستطع القول في عدد هذه القرى إلا إنها ثلاث فأكثر ، لأن المؤتفكات جمع مؤتفكة وأقل الجمع ثلاثة .

فأهلك الله هؤلاء هذا الهلاك الذي لم يهلك به أحداً من العالمين لأنهم جاءوا بالفاحشة التي لم يسبقهم بها أحد من العالمين .

فجعلهم آية للعالمين ، وموعظة للمتقين ، ونكالا وسلفا لمن شاركهم في أعمالهم من المجرمين . وجعل ديارهم على طريق السالكين ﴿ إن في ذٰلك لآيٰت للمتوسمين وإنها لبسبيل مقيم إن في ذٰلك لآية للمؤمنين ﴾(٢).

أخذهم على غرة وهم نائمون ، وجاءهم بأسه وهم في سكرتهم يعمهون ، فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون . فقلبت

١ـ انظر الروض المعطار في أخبار الأقطار ٤٣٦.
٢ـ الحجر ٧٥ـ٧٧.

اللذات آلامًا فأصبحوا بها يعذبون .

فذهبت اللذات وأعقبت الحسرات . وانقضت الشهوات وأورثت الشقوات(١).

وأورث الله مكانهم بحيرة منتنة لا حياة فيها لمخلوق ، وتهيج بعض الأعوام فتقتل ما حولها من الإنسان والدواب . وماؤها حار كريه الرائحة(٢).

١ـ انظر الجواب الكافي ٢٥٦ـ ٢٥٧.
٢ـ انظر معجم البلدان ٣٥٢/١. والروض المعطار ٤٣٦.

المبحث الثاني : تعذيب جبريل عليه السلام فرعون عند غرقه .

لما دعا موسى وهارون عليهما السلام فرعون إلى الإيمان بالله تعالى ، وترك التكبر عن طاعة الله ، ما زاده هذا الدعاء إلا تكبرًا وعنادا ، حتى قال لقومه ﴿ ما علمت لكم من إلٰه غيرى ﴾(١). وقال ﴿ أنا ربكم الأعلىٰ ﴾(٢).

وأراد قتل موسى عليه السلام ومن آمن به عندما آمن السحرة بموسى عليه السلام. فأمره الله أن يخرج من مصر إلى البحر الأحمر في الليل لأن فرعون سيتبعه بجنوده كما قال تعالى ﴿وأوحينا إلىٰ موسىٰ أن أسر بعبادى إنكم متبعون﴾(٣). فخرج فرعون بأثره بجند عظيم ثم حدث بينهما ما قص الله علينا في قوله ﴿ فلما تراءآ الجمعان قال أصحٰب موسىٰ إنا لمدركون قال كلا إن معى ربى سيهدين فأوحينا إلىٰ موسىٰ أن اضرب بعصاك البحر فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم وأزلفنا ثم الآخرين وأنجينا موسىٰ ومن معه أجمعين ثم أغرقنا الآخرين﴾(٤).

وقد قص الله علينا في كتابه ما حدث لفرعون أثناء الغرق ، وفسر ذلك رسوله صلى الله عليه وسلم . فمن ذلك :

١ـ قوله تعالى ﴿حتىٰ إذا أدركه الغرق قال ءامنت أنه

١ـ القصص ٣٨.
٢ـ النازعات ٢٤.
٣ـ الشعراء ٥٢.
٤ـ الشعراء ٦١ـ٦٦.

لا إله إلا الذى ءامنت به بنوا إسرٰءيل وأنا من المسلمين﴾(١).

٢ـ وقوله تعالى ﴿ فعصىٰ فرعون الرسول فأخذنٰه أخذاً وبيلاً ﴾(٢).

الوبيل : الشديد الغليظ(٣).

٣ـ وقوله تعالى ﴿فأخذه الله نكال الأخرة والأولىٰ﴾(٤).

النكال : اسم لما جعل عقوبة للشخص ليعتبر به غيره(٥). ولذلك قال بعدها ﴿إن فى ذلك لعبرة لمن يخشىٰ﴾(٦).

المعنى

خص الله فرعون بالأخذ الشديد ، والنكال العظيم من بين سائر قومه لما صدر منه من ادعاء الألوهية والربوبية ، فيريه الله ويري قومه أن الله هو الإله الذي لا إله غيره ولا رب سواه . قال تعالى ﴿ فاليوم ننجيك ببدنك لتكون لمن خلفك ءاية ﴾(٧).

ولما أدركه الغرق حاول أن يشهد شهادة الحق التي كان يخفيها طول حياته. قال تعالى عنه وعن قومه ﴿ وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلمًا وعلوًا ﴾(٨) . ولكن جبريل عليه

١ـ يونس ٩٠.
٢ـ المزمل ١٦.
٣ـ انظر تفسير القرطبي ١٩/٤٨. وابن كثير ٤/٤٣٩.
٤ـ النازعات ٢٥.
٥ـ انظر تفسير القرطبي ١٩/٢٠٣. وأبي السعود ٩/١٠٠ـ١٠١.
٦ـ النازعات ٢٦.
٧ـ يونس ٩٢.
٨ـ النمل ١٤.

السلام كان له بالمرصاد فكان يملأ فاه بالطين حتى لا يشهد بأن لا إله إلا الله . وهذا الفعل الذي صدر من جبريل عليه السلام جاء بأمر الله تعالى استجابة لدعاء موسى وتأمين هارون على دعائه . كما قال ﴿ ربنا اطمس علىٰ أموٰلهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتىٰ يروا العذاب الأليم ﴾(١) فقال الله عز وجل ﴿ قد أجيبت دعوتكما فاستقيما ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون ﴾(٢).

وقد بين الرسول صلى الله عليه وسلم ذلك بقوله " أن جبريل صلى الله عليه وسلم جعل يدس في فِيِّ فرعون الطين ، خشية أن يقول لا إله إلا الله فيرحمه الله ، أو خشية أن يرحمه الله "(٣).

وقال صلى الله عليه وسلم : " لما قال فرعون آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل قال: قال لي جبريل : يا محمد لو رأيتني وقد أخذت حالاً من حال البحر(٤) فدسسته في فيه ، مخافة أن تناله الرحمة "(٥).

١- يونس ٨٨.
٢- يونس ٨٩.
٣- أخرجه الطيالسي في مسنده ٣٤١. وأحمد ٢٤٠/١. والترمذي ٢٨٧/٥-٢٨٨، وقال : حسن صحيح غريب من هذا الوجه. وأخرجه الطبري ١٩٠/١٥-١٩١ تحقيق شاكر . وقال الشيخ أحمد شاكر في تحقيق المسند ١٦/٤. إسناده صحيح . وصحح إسناده الشيخ الالباني في صحيح سنن الترمذي ٦٢/٣.
٤- حال البحر : الطين الأسود . وانظر النهاية في غريب الحديث ٤٦٤/١.
٥- أخرجه أحمد ٢٤٥/١و ٣٠٩. والترمذي ٢٨٧/٥، وقال : حديث حسن . والطبري ١٩٢/١٥. وقال الشيخ أحمد شاكر في تحقيقه للمسند ٤٠/٤و ٢٩٥ إسناده صحيح . وقال الشيخ الالباني في صحيح سنن الترمذي ٦١/٣ "صحيح بما بعده" يعني الحديث السابق.

فهذا عذاب من جبريل عليه السلام لفرعون وهو في سكرات الموت أثناء غرقه.

المبحث الثالث : تأييد الملائكة طالوت(١).

لما طال في بني إسرائيل العهد بالنبوة قيض الله لهم نبيًا من أنبيائهم ، اسمه : شمويل(٢).

فسأله بنو إسرائيل أن يبعث إليهم ملكا يقاتلون به العماليق ـ الذين أخرجوهم من ديارهم وأبنائهم ـ ثم أخذ عليهم نبيهم العهد على القتال إذا استجاب الله لمطلبهم ، وبعث فيهم ذلك الملِك . ولما استجاب الله لهم وبعث فيهم طالوت ملكا . قالوا : كيف يكون له الملك علينا ونحن أحق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال . فقال لهم نبيهم : إن الله اختاره عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم وهذه من أهم صفات الملوك ، ثم ذكر لهم نبيهم علامة ملك طالوت ، وهي أن الملائكة تحمل التابوت وتأتى به إليهم .

وفي هذا يقول تعالى ﴿ وقال لهم نبيهم إن ءاية ملكه أن يأتيكم التابوت فيه سكينة من ربكم وبقية مما ترك ءال موسىٰ وءال هٰرون تحمله الملٰئكة إن فى ذٰلك لأية لكم إن كنتم مؤمنين ﴾(٣).

معاني المفردات :

التابوت : على وزن : فاعول مثل عاقول فالتاء أصلية وهو : الصندوق(٤).

سكينة : من السكون وهو ما يطمئن ويسكن إليه

١ـ هو طالوت بن قيش بن أفيل بن صارو بن تحورت بن أفيح بن أنيس بن بنيامين بن يعقوب. جعله الله ملكا في بني إسرائيل ، وقاتل هو والمؤمنون جالوت وجنوده . وفي هذه المعركة قتل داود جالوت ، ثم تولى المُلك بعد ذلك فصار نبيًا ملكا . وانظر البداية والنهاية ٧/٢ـ٩.

٢ـ وقيل : شمعون . وليس هو يوشع صاحب موسى لان بينهما أربع مائة سنة . وانظر تاريخ الطبري ٤٦٥/١. والبداية والنهاية ٧/٢.

٣ـ البقرة ٢٤٨.

٤ـ انظر لسان العرب ٢٣٣/١، ١٧/٢ وروح المعاني ١٦٨/٢.

الإنسان(١).

بقية مما ترك آل موسى وآل هارون : اختلف المفسرون في البقية التي تركها آل موسى وآل هارون هل هي :

عصا موسى ورضاض الألواح .

أو عصا موسى وعصا هارون ، وشيء من الألواح .

أو عصا موسى ونعلاه .

أو العصا وحدها .

أو رضاض الألواح وما تكسر منها .

أو الجهاد في سبيل الله وقتال الأعداء(٢).

وليس لقول من هذه الأقوال دليل يؤيده وما أحسن قول إمام المفسرين ابن جرير رحمه الله : " إن الله تعالى ذكره أخبر عن التابوت ـ الذي جعله آية لصدق قول نبيه صلى الله عليه وسلم الذي قال لأمته ﴿ إن الله قد بعث لكم طالوت ملكاً ﴾(٣) ـ أن فيه سكينة منه وبقية من تركة آل موسى وآل هارن وجائز أن تكون تلك البقية هي العصا وكِسَر الألواح أو النعلين والثياب أو غيرها . وذلك أمر لا يدرك علمه من جهة الاستخراج أو اللغة ، ولا يدرك إلا بخبر يوجب عنه العلم ، ولا خبر عند أهل الإسلام في ذلك وإذا كان ذلك كذلك فلا يصوب قول ويضعف غيره "(٤).

١ـ وما ذكره المفسرون في وصف السكينة من أنها ريح سريعة لها وجه كوجه الإنسان ، أو لها رأس كرأس الهرة وجناحان ، أو أنها رأس هرة ميتة أو أنها طست من ذهب يغسل فيه قلوب الأنبياء فليس لهذه الصفات أدلة تؤيدها فنؤمن بأن الله أنزل التابوت وفيه ما يسكّن النفوس ويطمئنها .
*وانظر تفسير الطبري ٥/٣٢٦ـ٣٢٩، تحقيق شاكر . والقرطبي ٣/٢٤٨ـ٢٤٩.

٢ـ انظر تفسير الطبري ٥/٣٣٦ـ٣٣٤ تحقيق شاكر وتفسير القرطبي ٣/٢٤٩ـ٢٥٠.

٣ـ البقرة ٢٤٧.

٤ـ انظر تفسير الطبري ٥/٣٣٤ تحقيق شاكر بتصرف.

المعنى :

يمن الله سبحانه وتعالى في هذه الآية على بني إسرائيل الذين كانوا بعد موسى وقبيل داود بأنه قد جعل لهم طالوت ملكا ، وأن علامة ملكه أن الملائكة عليهم السلام تحمل التابوت الذي فيه سكون وطمأنينة لقلوبهم ، وبعض البقايا التي تركها آل موسى وآل هارون .

وحَمْلُ الملائكة التابوت بما فيه لا شك أنه تأييد لطالوت ، لأن قومه رفضوه، وقالوا لنبيهم ﴿ أنىٰ يكون له الملك علينا ونحن أحق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال ﴾(١). فأرسل الله الملائكة حاملة التابوت تأييدا لطالوت ، وهذا فيه الدلالة الواضحة لصدق نبيهم . فليؤمنوا به وليتركوا ما هم عليه من العناد . وخرج طالوت بجنوده لملاقاة جالوت وجنوده. ثم رجع كثير من جنود طالوت لما شربوا من النهر ولم يبق معه إلا ثلاثمائة وبضعة عشر فانتصروا على جالوت وجنوده . وقتل داود جالوت ثم تولى الملك بعد ذلك .

١- البقرة : ٢٤٧.

المبحث الرابع : تأييد جبريل عيسى عليهما السلام .

لما كانت لعيسى بن مريم عليه السلام منزلة عظيمة عند الله تبارك وتعالى أيده بروح القدس ـ جبريل عليه السلام ـ ليكون آية تدل على قدرة الله تعالى على كل شيء ، وأنه مرسل من عند الله تعالى .

وجاء هذا التأييد على أنواع :

النوع الأول : نفخ روح عيسى عليه السلام .

اقتضت حكمة الله تعالى أن يخلق الخلق على أربعة أصناف :

الصنف الأول : من خلق بدون أم ولا أب ، وهو آدم عليه السلام . قال تعالى ﴿ إن مثل عيسىٰ عند الله كمثل ءادم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون ﴾(١).

الصنف الثاني : من خلق من ذكر بلا أم . وهي حواء خلقت من آدم عليه السلام. قال تعالى ﴿ يٰأيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس وٰحدة وخلق منها زوجها ﴾(٢).

الصنف الثالث : من خلق من أم بلا أب . وهو عيسى بن مريم

الصنف الرابع : من خلق من أم وأب . وهم جميع البشر ، غير آدم ، وحواء ، وعيسى عليهم السلام .

فأيد الله سبحانه وتعالى عيسى ودعوته بجبريل عليهما

١ـ آل عمران ٥٩.
٢ـ النساء ١.

واختلف المفسرون في مكان نفخ روح عيسى من مريم عليها السلام على أربعة أقوال:

القول الأول : أنه نفخ في فرجها(١).

ذكره ابن تيمية ، وابن القيم ، والبيضاوي ، وصديق حسن خان.

لقوله تعالى ﴿ ومريم ابنت عمرٰن التى أحصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا ﴾(٢) ؛ " الهاء " في " فيه " تعود على الفرج.

فظاهر الآية يدل على أنه نفخ في فرجها ، التي أحصنته وأعفّته من الرجال.

القول الثاني : أنه نفخ في جيب درعها . وقالوا بأن كل خرق في الثوب يسمى جيبًا .

روى هذا القول الطبري عن قتادة ، وذكره القرطبي(٣).

القول الثالث : أنه نفخ في فمها .

القول الرابع : أنه نفخ في صدرها .

ذكر هذين القولين ابن كثير ، وردهما(٤).

الترجيح :

الذي يظهر لي أن القول الأول هو الراجح لما يأتي :

١- انظر الجواب الصحيح ٢٤٤/١ والروح ٢٠٩. وتفسير البيضاوي ٥٠٧/٢. وفتح البيان ٤٩٠/٩.

٢- التحريم ١٢.

٣- انظر تفسير الطبري ١٧٢/٢٨. والقرطبي ٢٠٣/١٨-٢٠٤.

٤- انظر البداية والنهاية ٥٩/٢-٦٠.

١ـ أنه ظاهر قوله تعالى ﴿ فنفخنا فيه ﴾(١). ويؤيده قوله تعالى ﴿ فنفخنا فيها من روحنا ﴾(٢). أي : في مريم عليها السلام ، فهذه الآية بينت أن النفخ كان في مريم ، والآية الأولى بينت مكانه منها وهو الفرج .

٢ـ أن الجيب ليس له ذكر في أي آية من الآيات التي ذكرت قصتها .

المعنى

بين الله سبحانه وتعالى في هذه الآيات أنه أيد عيسى بجبريل عليهما السلام. حينما أمره بنفخ روحه في أمه .

ووجه كون ذلك تأييدا لعيسى عليه السلام ، أن الناس إذا علموا أن الله خلقه بنفخة جبريل عليه السلام ، صار ذلك معجزة له فصدّق الناس برسالته وآمنوا به ، فيدخل هذا في عموم قوله تعالى ﴿ وأيدنٰه بروح القدس ﴾(٣).

قال الفخر الرازي : وتأييد جبريل عيسى عليهما السلام من آكد وجوه الاختصاص بحيث لم يكن لأحد من الأنبياء عليهم السلام مثل ذلك ، لأنه هو الذي بَشّر مريم بولادتها ، ونفخ روح عيسى فيها ، ورباه في جميع الأحوال(٤).

النوع الثاني : تأييد جبريل عيسى عليهما السلام مدة حياته .

١ـ التحريم ١٢.
٢ـ الأنبياء ٩١.
٣ـ البقرة ٨٧.
٤ـ انظر تفسير الرازي ٣/١٧٧ـ١٧٨. بتصرف .

أيد الله سبحانه وتعالى عيسى بن مريم بجبريل عليهما السلام طول حياته ، منذ كان صبيًا إلى أن رفعه الله إليه .

وقد ذكر الله ذلك في كتابه العزيز . ومن ذلك :

١ـ قوله تعالى ﴿ وءاتينا عيسى بن مريم البينت وأيدنه بروح القدس ﴾(١).

٢ـ قوله تعالى ﴿ إذ قال الله يعيسى ابن مريم اذكر نعمتى عليك وعلى ولدتك إذ أيدتك بروح القدس تكلم الناس فى المهد وكهلا ﴾(٢).

معاني المفردات :

التأييد : النصرة والتقوية(٣).

روح القدس : جبريل عليه السلام(٤).

كهلا : رجلا سويا وهو ما بين الشباب والشيخوخة(٥).

المعنى

ذكر الله تعالى في هذه الآيات تأييده لعيسى بن مريم بجبريل عليهما السلام طول حياته التي قضاها في بني إسرائيل. وهذا التأييد على قسمين :

القسم الأول : تأييد عام . إذ نصر الله عيسى بن مريم وقواه بجبريل عليه السلام منذ أن نفخ فيه الروح ، إلى أن

١ـ البقرة ٨٧ و ٢٥٣.
٢ـ المائدة ١١٠.
٣ـ انظر تفسير الطبري ٣١٩/٢، تحقيق شاكر. والبغوي ٩٢/١.
٤ـ انظر تفسير الطبري ٣٢٠/٢ـ ٣٢٢ تحقيق شاكر. وابن كثير ١٢٣/١ـ ١٢٤.
٥ـ انظر تفسير القرطبي ٩٠/٤. والشوكاني ٣٤١/١.

رفعه إلى السماء(١). ويؤخذ هذا العموم من قوله تعالى ﴿وأيدنٰه بروح القدس﴾(٢).

القسم الثاني : تأييد خاص في بعض الأمور . وهو أنه يكلم الناس وهو صبي في مهده ويكلمهم وهو رجل ، على حد سواء في كلامه وفي عقله(٣). ويؤخذ هذا من قوله تعالى ﴿ إذ أيدتك بروح القدس تكلم الناس فى المهد وكهلاً ﴾(٤).

فكلم الناس في المهد ليرد التهمة عن أمه مريم عليها السلام ، وأنه صادق في نبوته ، وأنه عبد من عباد الله . فليس هو الله ولا ابنه كما زعمت النصارى ـ سبحان الله عما يصفون ـ وسَيُنزِلُ الله عليه الإنجيل . وجعله الله مباركا أينما كان وأوصاه بالصلاة والزكاة . وأن يبر بوالدته . ولن يكون من المتجبرين الأشقياء . قال تعالى في ذلك ﴿ قال إنى عبد الله ءاتٰنى الكتٰب وجعلنى نبيًا وجعلنى مباركًا أين ما كنت وأوصٰنى بالصلوٰة والزكوٰة ما دمت حيًا وبرًا بوالدتى ولم يجعلنى جبارًا شقيًا والسلٰم على يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيًا﴾(٥).

ثم كلمهم في كبره وبَلّـغ رسالة الله عز وجل ، فأيده جبريل ونصره في ذلك نصرًا عظيمًا . فآمنت به طائفة من بني إسرائيل وكفرت أخرى .

١ـ انظر تفسير البغوي ٩٢/١. والبداية والنهاية ٧٧/٢.
٢ـ البقرة ٨٧.
٣ـ انظر تفسير البيضاوي ٢٨٨/١. والقاسمي ٤٣٦/٦.
٤ـ المائدة ١١٠.
٥ـ مريم ٣٠ـ٣٣.

المبحث الخامس : تأييد الملائكة النبي صلى الله عليه وسلم .

أيد الله سبحانه وتعالى النبي صلى الله عليه وسلم بالملائكة تأييدا عظيمًا.

وجاء تأييده صلى الله عليه وسلم بالملائكة في القرآن على نوعين :

النوع الأول : التأييد العام .

قال تعالى ﴿ وإن تظهرا عليه فإن الله هو مولٰه وجبريل وصٰلح المؤمنين والملٰئكة بعد ذٰلك ظهير ﴾(١).

معاني المفردات :

تظاهرا : تتعاونا على أذى النبي صلى الله عليه وسلم(٢).

مولاه : وليه وناصره(٣).

صالح المؤمنين : اختلف المفسرون في المراد بصالح المؤمنين هنا على ثمانية أقوال :

القول الأول : أنهم جميع الصالحين من المؤمنين . ف "صالح" اسم جنس.

مثل قوله تعالى ﴿ إن الإنسٰن لفى خسر ﴾(٤). وهذا قول جمهور المفسرين(٥).

واستدلوا بما أخرجه مسلم في صحيحه عن عمر بن

١- التحريم ٤.
٢- انظر تفسير البغوي ٣٦٦/٤. والبيضاوي ٥٠٦/٢.
٣- انظر تفسير القرطبي ١٨٩/١٨. والشوكاني ٢٥١/٥.
٤- العصر ٢.
٥- انظر تفسير الطبري ١٦٢/٢٨-١٦٣. والقرطبي ١٨٩/١٨. والبيضاوي ٥٠٦/٢. والشوكاني ٢٥١/٥.

الخطاب رضي الله عنه أنه قال للنبي صلى الله عليه وسلم "يا رسول الله ما يشق عليك من شأن النساء ؟ فإن كنت طلقتهن فإن الله معك وملائكته وجبريل وميكائيل وأنا وأبو بكر والمؤمنون معك"(١).

القول الثاني : أنهم الأنبياء عليهم الصلاة والسلام .
رواه الطبري عن قتادة ، وسفيان(٢).

القول الثالث : أنهما أبو بكر ، وعمر رضي الله عنهما .
رواه الطبري عن مجاهد ، والضحاك(٣). وزاد الحسن البصري عثمان بن عفان رضي الله عنه(٤).

القول الرابع : أنه علي بن أبي طالب رضي الله عنه .
رواه ليث بن أبي سليم عن مجاهد(٥).
واستدل من قال بهذا القول :
بما أخرجه ابن أبي حاتم عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى ﴿ وصلح المؤمنين ﴾ قال : "هو علي بن أبي طالب"(٦).

القول الخامس : أنهم الملائكة(٧).

١- أخرجه مسلم مطولا ٢/١١٠٥-١١٠٨.
٢- هو سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري أبو عبد الله الكوفي ، الإمام المشهور . ثقة حافظ ، فقيه عابد ، إمام حجة ، وربما دلس . من أكثر أصحابه رواية عنه مهران العطار ، راوي هذا الأثر عنه . توفي عام ١٦١ . وانظر التهذيب ٣٢٨/١٠. والتقريب ٢٤٤. وانظر تفسير الطبري ١٦٢/٢٨-١٦٣.
٣- انظر تفسير الطبري ١٦٢/٢٨-١٦٣.
٤- انظر تفسير ابن كثير ٣٩٠/٤.
٥- ذكره ابن كثير ٣٩٠/٤.
٦- ذكره ابن كثير ٣٩٠/٤.
٧- انظر تفسير القرطبي ١٨٩/١٨.

القول السادس: أنه أبو بكر رضي الله عنه(١).

القول السابع : أنه عمر بن الخطاب رضي الله عنه(٢).

القول الثامن : أنهم أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم(٣).

الترجيح :

القول الراجح في هذه المسألة هو القول الأول ، وأن الآية عامة لصالح المؤمنين لقوة دليلهم وعدم حجية ما عارضه .

ولم أجد أدلة للأقوال السابقة إلا لمن قال إنه علي بن أبي طالب رضي الله عنه ويجاب عن هذا بما يأتي :

١ـ أما الحديث فإن فيه رجلاً مجهولاً ولذا قال ابن كثير : " إسناده ضعيف وهو منكر جدا "(٤) وكذلك ضعف السيوطي سنده (٥).

٢ـ وأما ما نسب إلى مجاهد ، فإنه من طريق ليث بن أبي سليم ، وهو ضعيف(٦).

ظهير : مُعين . وهو مفرد ، وجمعه ظهراء(٧).

١ـ انظر زاد المسير ٣٦٠/٨.
٢ـ انظر زاد المسير ٣٦٠/٨.
٣ـ انظر تفسير القرطبي ١٨٩/١٨.
٤ـ انظر تفسير ابن كثير ٣٩٠/٤.
٥ـ انظر الدر المنثور ٢٢٤/٨.
٦ـ سبق بيان ضعفه ص ١٥٢.
٧ـ انظر تفسير الطبري ١٦٣/٢٨. والبغوي ٣٦٦/٤.

المعنى :

بين الله في هذه الآية نصرته لنبيه ومصطفاه من خلقه محمد صلى الله عليه وسلم حيث يقول لعائشة وحفصة رضي الله عنهما : إن تتعاونا على أذية محمد صلى الله عليه وسلم فاعلما بأن الله قد تولى نصره وتأييده ، وكذلك جبريل عليه السلام حيث يرسله الله ليخبر النبي صلى الله عليه وسلم بما يكاد له،ويؤيده وينصره ، ويمنع الناس من الوصول إليه بسوء . وخص الله جبريل وحده دون الملائكة لعلو منزلته وشرفه وأنه منأفضل الملائكة . وكذلك صالح المؤمنين يحاربون عن المصطفى صلى الله عليه وسلم ويقدمون أنفسهم فداء لحياته .

ومن ذلك قول أبي بكر رضي الله عنه ـ في هجرته مع الرسول صلى الله عليه وسلم ـ " ثم فرشت للنبي صلى الله عليه وسلم فيه ـ أي في الظل ـ ثم قلت له اضطجع يا نبي الله فاضطجع النبي صلى الله عليه وسلم ثم انطلقت أنظر ما حولي هل أرى من الطلب أحدا "(١).

وكذلك الملائكة يؤيدون النبي صلى الله عليه وسلم وينصرونه فمنهم من ينزل في الحرب بجانبه كما حدث في غزوة بدر حيث نزلت الملائكة لنصرة النبي صلى الله عليه وسلم كما قال تعالى ﴿ إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أني ممدكم

١ـ أخرجه البخاري ١٨٩/٤ـ١٩٠ من حديث طويل.

بألف من الملئكة مردفين ﴾(١).

ومنهم من يتولون النبي صلى الله عليه وسلم بالحفظ من الأعداء . ومن ذلك ما حدث لأبي جهل حينما أراد أن يطأ على رقبته فلما أقبل على النبي صلى الله عليه وسلم نكص على عقبيه ويتقى بيده فقيل له ما لك؟ فقال: إن بيني وبينه لخندقا من نار وهولاً وأجنحة . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم " لو دنا مني لاختطفته الملائكة عضوًا عضوًا "(٢).

النوع الثاني : تأييد الملائكة للنبي صلى الله عليه وسلم في غار ثور .

هاجر الرسول صلى الله عليه وسلم وأبو بكر رضي الله عنه من مكة إلى المدينة خفية . فأرسلت قريش العيون في طلبهما، وتكفلت بمئة من الإبل لمن عثر عليهما. ولكن الله عصمهما من الناس حتى دخلا المدينة يقول الله تعالى في ذلك ﴿ إلاّ تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثانى اثنين إذ هما فى الغار إذ يقول لصٰحبه لا تحزن إن الله معنا فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلىٰ وكلمة الله هى العليا والله عزيز حكيم ﴾(٣).

معاني المفردات :

الغار : ثقب في الجبل ، والمراد به غار ثور(٤).

١- الأنفال ٩.
٢- الحديث أخرجه مسلم بطوله ٢١٥٤/٤-٢١٥٥.
٣- التوبة ٤٠.
٤- انظر تفسير القرطبي ١٤٤/٨. وابن كثير ٣٥٩/٢. وثور: اسم لجبل جنوب مكة بينه وبين مكة ميلان وفي أعلاه الغار . وانظر الروض المعطار ١٥١.

سكينته : طمأنينته وسكونه(١).

عليه : اختلف المفسرون في عود الضمير على ثلاثة أقوال :

القول الأول : أنه يعود على النبي صلى الله عليه وسلم وأبي بكر جميعًا .

ذكره ابن الجوزي وأبو حيان(٢).

واستدل من قال بهذا القول بما يأتي :

١ـ ما في مصحف حفصة رضي الله عنها ﴿ فأنزل الله سكينته عليهما وأيدهما ﴾(٣).

٢ـ أنه أُكتُفِي بإعادة الضمير على أحدهما لتلازمها فتكون مثل قوله تعالى ﴿ والله ورسوله أحق أن يرضوه ﴾(٤).

القول الثاني : أنه يعود على النبي صلى الله عليه وسلم

وهذا قول الجمهور(٥).

واستدل من قال بهذا القول بما يأتي :

١ـ أن الله قال بعدها ﴿ وأيده بجنود لم تروها ﴾(٦) والمُؤيَّد : النبي صلى الله عليه وسلم.

٢ـ أن هذه الآية تجديد لنزول السكينة في تلك الحال، وهذا لا ينفي أن يكون دائما على سكينة صلى الله عليه

١ـ انظر تفسير الطبري ٣٦١/١٤، تحقيق شاكر. وروح المعاني ٩٨/١٠.
٢ـ انظر زاد الميسر ٤٤١/٣. والبحر المحيط ٤٣/٥.
٣ـ انظر تفسير ابن عطية ١٨٧/٨. والبحر المحيط ٤٣/٥.
٤ـ التوبة ٦٢، وانظر تفسير ابن الجوزي ٤٤١/٣.
٥ـ انظر تفسير الطبري ٣٦١/١٤، تحقيق شاكر. وابن عطية ١٨٧/٥. وابن حيان ٤٣/٥، وابن كثير ٢٥٩/٢.
٦ـ التوبة ٤٠.

وسلم(١).

القول الثالث : أنه يعود على أبي بكر رضي الله عنه .
وهذا اختيار القرطبي ، والرازي(٢).
واستدل من قال بهذا القول بما يأتي :
١ـ أنه أقرب مذكور . فيعود الضمير إليه . والمعنى يقول الرسول صلى الله عليه وسلم لأبي بكر : لا تحزن إن الله معنا ، فأنزل الله سكينته على أبي بكر رضي الله عنه ليزيل الخوف عنه(٣).

٢ـ أن الخوف كان حاصلاً من أبي بكر رضي الله عنه على الرسول صلى الله عليه وسلم فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : لا تحزن(٤).

٣ـ لو قلنا بعود الضمير على الرسول صلى الله عليه وسلم لكان خائفا فكيف يطمئن أبا بكر ويخبره أن الله معهما ويكون خائفا ؟(٥).

٤ـ أن هذا لا ينافي كون الضمير في ﴿ أيده ﴾ يعود على الرسول صلى الله عليه وسلم وهو مثل قوله تعالى ﴿لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه وتسبحوه بكرة وأصيلاً﴾(٦).

١ـ انظر تفسير ابن كثير ٢/٢٥٩.
٢ـ انظر تفسير القرطبي ٨/١٤٨. والرازي ١٦/٦٥ـ٦٦.
٣ـ انظر تفسير الرازي ١٦/٦٥ـ٦٦.
٤ـ انظر تفسير القرطبي ٨/١٤٨. والرازي ١٦/٦٥ـ٦٦.
٥ـ انظر تفسير الرازي ١٦/٦٥ـ٦٦.
٦ـ الفتح ٩.

فالمعنى تعزروا وتوقروا الرسول صلى الله عليه وسلم . وتسبحوا الله صباحًا ومساء(١).

التزجيح :

إذا تأملتَ القول الثاني والثالث وجدتَ أن لكل منهما حجة قوية:

فالثاني يؤيده سياق الآية وأنها دعوة للمؤمنين لنصر الرسول صلى الله عليه وسلم . وإن لم ينصروه فقد نصره الله بالسكينة والجنود .

وهذا الخوف الذي أصابه صلى الله عليه وسلم من العدو إنما هو الخوف الفطري الجبلي في الإنسان . وهذا حال الأنبياء قبله .

قال الله تعالى عن خليله إبراهيم ﴿ فأوجس منهم خيفة قالوا لا تخف ﴾(٢).

وقال عن يعقوب ﴿ وأخاف أن يأكله الذئب ﴾(٣).

وقال عن موسى وهارون ﴿ قالا ربنا إننا نخاف أن يفرط علينا أو أن يطغىٰ ﴾(٤).

فالخوف الفطري لا يخالف التوكل على الله تعالى ،

١- وانظر البحر المحيط ٤٣/٥.
٢- الذاريات ٢٨.
٣- يوسف ١٣.
٤- طه ٤٥.

لأنه يفر من قدر الله إلى قدر الله ، وسبب اختفاء الرسول صلى الله عليه وسلم وأبي بكر رضي الله عنه في الغار الخوف من الكفار .

ونزول السكينة على الرسول صلى الله عليه وسلم ليس خاصًا بغار ثور ، ولكنها كانت تنزل عليه في كثير من المواطن، مثل يوم حنين ، والحديبية .

قال تعالى في يوم حنين ﴿ ثم أنزل الله سكينته علىٰ رسوله وعلىٰ المؤمنين ﴾(١).

وقال في يوم الحديبية ﴿ فأنزل الله سكينته علىٰ رسوله وعلىٰ المؤمنين وألزمهم كلمة التقوىٰ ﴾(٢).

والقول الثالث له أدلة قوية . ولذا جاء في الصحيحين أن أبا بكر قال للنبي صلى الله عليه وسلم وهما في الغار "لو أن أحدهم نظر تحت قدميه لابصرنا . فقال: ما ظنك يا أبا بكر باثنين الله ثالثهما "(٣). فاطمأن عندها أبو بكر رضي الله عنه .

وعلى هذا فالقول الأول يجمع القولين الثاني والثالث وهو الراجح .

أيده بجنود : أي نصره بالملائكة وهذا التأييد حينما كان في الغار هو وصاحبه لأن سياق الآية يدل على ذلك وهو معطوف على إنزال السكينة .

كلمة الله : هي الإسلام ،أو لا إله إلا الله ،وهما

١- التوبة ٢٦.

٢- الفتح ٢٦.

٣- أخرجه البخاري ١٩٠/٤. ومسلم ١٨٥٤/٤.

متلازمان(١).

كلمة الذين كفروا : الشرك(٢).

المعنى

يحث الله في هذه الآية المؤمنين على نصر الرسول صلى الله عليه وسلم ، وأن يجاهدوا معه صلى الله عليه وسلم . وإن لم ينصروه فإن الله سبحانه وتعالى ناصره ، وقد نصره الله سبحانه وتعالى هو وصاحبه رضي الله عنه حينما أخرجه الذين كفروا من مكة ، ومكثا في غار ثور ثلاثة أيام فخاف أبو بكر رضي الله عنه على النبي صلى الله عليه وسلم أن يصل إليه الأعداء لأنهم عند الغار . فطمأنه الرسول صلى الله عليه وسلم عن الحزن الذي شق عليه ، وأخبره أن الله ناصرهما ومؤيدهما. فأنزل الله الطمأنينة والسكون عليهما وأرسل الملائكة لحراستهما من اعتداء الكفار عليهما ومن كل مكروه .

١- انظر تفسير ابن كثير ٢٥٩/٢. والشوكاني ٣٦٢/٢.
٢- انظر تفسير الطبري ٣٦١/١٤، تحقيق شاكر. وفتح البيان ١٣٣/٤.

المبحث السادس : نصر الملائكة المؤمنين وإهلاكهم الكفار في معركة بدر .

وقعت معركة بدر في السنة الثالثة من الهجرة ، وكانت هذه المعركة فاصلة بين الإسلام والشرك . ففيها أظهر الله الإسلام وأهله وأذل الشرك وأهله .

ولما التقى الجيشان كان الفارق بينهما كبيرًا فالكفار نحو ألف مقاتل وسبعين فرسًا وسبعمائة بعير محملة بالزاد والسلاح .

والمسلمون ثلاثمائة وبضعة عشر رجلاً أكثرهم رجالة ، خرجوا يريدون قافلة لقريش قادمة من الشام إلى مكة ولم يخرجوا للقتال ، ولكن ليقضي الله أمرًا كان مفعولا .

ولما دنا اللقاء ورأى الرسول صلى الله عليه وسلم كثرة الأعداء وقوتهم ، وقلة أصحابه وضعفهم لجأ إلى الله عز وجل وسأله النصر وألح في الدعاء .

وقال : " اللهم انجز لي ما وعدتني اللهم آت ما وعدتني اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تعبد في الأرض "(١).

فنصره الله وأصحابه نصرًا عظيمًا فاق كل المقاييس العسكرية ، وهزم المشركون شر هزيمة .

وذلك أن الله أنزل الملائكة لنصر المؤمنين وقتل الكافرين وتعذيبهم . وقد ذكر الله ذلك في كتابه فمن ذلك .

١ـ أخرجه البخاري ٥/٤ـ٥. ومسلم ١٣٨٤/٣ مطولا ، واللفظ له .

١ـ قوله تعالى ﴿ ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة فاتقوا الله لعلكم تشكرون إذ تقول للمؤمنين ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلثة ءالف من الملئكة منزلين بلى إن تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة ءالف من الملئكة مسومين وما جعله الله إلا بشرى لكم ولتطمئن قلوبكم به وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم ليقطع طرفاً من الذين كفروا أو يكبتهم فينقلبوا خائبين ﴾(١).

معاني المفردات :

أذلة : قليلوا العدد والعدة ، أو محتقرون في أعين الكفار(٢).

ممدكم : اختلف المفسرون في الوعد بالمدد هل كان في معركة بدر أو أحد : على قولين :

القول الأول : أنه كان في معركة بدر .

وعلى أن قوله تعالى ﴿ إذ تقول للمؤمنين ﴾ متعلق بقوله ﴿ ولقد نصركم الله ببدر ﴾ وهذا قول الجمهور(٣) واستدلوا عليه بما يأتي :

١ـ سياق الآيات : وأن الله ذكّرهم ـ بعد " أحد " التي هزموا فيها ـ ببدر التي نصرهم الله فيها(٤).

٢ـ أن الوعد بإنزال ثلاثة آلاف من الملائكة وعد غير

١ـ آل عمران ١٢٣ـ ١٢٧.

٢ـ انظر تفسير الشوكاني ٣٧٨/١. وروح المعاني ٤٣/٤ـ ٤٤.

٣ـ انظر تفسير الطبري ١٧٤/٧ـ ١٧٨، تحقيق شاكر . وابن عطية ٣١٩/٣. والرازي ٣١١/٨. وأبي حيان ٤٨/٣. وابن كثير ٤٠٢/١. وفتح الباري ٢٨٥/٧. والتحرير والتنوير ٧٣/٤.

٤ـ انظر تفسير الرازي ٣١١/٨. وزاد المعاد ١٧٧/٣ـ ١٧٨. والتحرير والتنوير ٧٣/٤.

مشروط بشرط فلابد أن يحصل وهذا حصل يوم بدر لا أحد(١).

٣ـ أن العدد والعُدد كانت يوم بدر أقل فكان الاحتياج إلى تقوية قلوبهم أكثر. فَصَرْف الكلام إلى بدر أولى(٢).

٤ـ أن المفسرين فسروا قوله تعالى ﴿ مسومين ﴾ أنهم الملائكة في معركة بدر.

٥ـ أن الله علل نصره للمؤمنين بقوله ﴿ ليقطع طرفًا من الذين كفروا أو يكبتهم فينقلبوا خايبين ﴾(٣). ومعركة أحد كانت الدائرة فيها على المسلمين .

القول الثاني : أنه كان في معركة أحد .

وعلى أن قوله تعالى ﴿ إذ تقول للمؤمنين ﴾ متعلق بقوله ﴿ وإذ غدوت من أهلك ﴾(٤).

وهذا رواه الطبري عن عكرمة والضحاك وابن زيد(٥).

واستدل من قال بهذا القول بما يأتي :

١ـ أن المدد في يوم بدر كان بألف من الملائكة لقوله تعالى ﴿ إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أنى ممدكم بألف من الملئكة مردفين ﴾(٦).

١ـ انظر تفسير أبي حيان ٤٩/٣.
٢ـ انظر تفسير الرازي ٢١١/٨.
٣ـ آل عمران ١٢٧.
٤ـ انظر تفسير ابن كثير ٤٠٢/١.
٥ـ انظر تفسير الطبري ١٧٩/٧ـ١٨٠، تحقيق شاكر .
٦ـ الأنفال ٩.

٢ـ أن عدد الكفار في بدر ألف فأنزل الله من الملائكة بعددهم ، وفي أحد كان عددهم ثلاثة آلاف فأنزل الله من الملائكة بعددهم ، فصار المسلمون في كلا المعركتين زائدين على الكفار .

٣ـ أن الله تعالى يقول في هذه الآية ﴿ ويأتوكم من فورهم ﴾ وهذا المجيء كان في أحد أما في بدر فإن الأعداء ما أتوهم بل هم ذهبوا إلى الأعداء(١).

الترجيح

الذي يظهر لي أن القول الأول هو الأظهر .

ويجاب على أدلة القول الثاني بما يأتي :

اـ قولهم إن يوم بدر إنما كان المدد فيه بألف يجاب عنه من وجهين :

أ ـ أن الله وعدهم أولاً بألف ، ثم زادهم إلى ثلاثة ، ثم إلى خمسة ، وبهذا تجتمع آية الأنفال بآيات آل عمران .

ب ـ أن آية الأنفال ليس فيها ما يدل على قصر الملائكة على الألف . بل فيها ما يفيد زيادتهم بكل جلاء ووضوح وذلك أن الله سبحانه وتعالى قال ﴿ بألف من الملٰئكة مردفين ﴾ . خصوصًا على قراءة نافع بفتح الدال(٢).

١ـ انظر تفسير الرازي ٢١٠/٨ . وأبي حيان ٤٨/٤ـ٤٩.

٢ـ وقرأ بها أبو جعفر ويعقوب . وانظر المهذب ٢٦٣/١.

ومعنى هذه القراءة أي مُتْبَعين بغيرهم(١).

٢ـ وأما قولهم بأن عدد الملائكة صار مثل عدد الكفار في كل من المعركتين .

فيجاب عنه : بأن هذا ليس بلازم فقد يزيد وقد ينقص (٢) فلو قلنا بأنهم مثلهم في أحد فماذا نقول بالخمسة آلاف الذين ليسوا على عدد الكفار ؟

٣ـ وأما قولهم بأن مجيء الكفار كان في أحد ولم يكن في بدر . وهذا معنى قوله تعالى﴿ويأتوكم من فورهم هذا ﴾

فيجاب عنه : بأن المشركين أيضا جاءوا حتى في بدر ، لأن المسلمين إنما خرجوا يريدون القافلة . فخرجت قريش لردها ، ولما علمت قريش بأن أبا سفيان قد نجا بالقافلة لم يرجعوا بل حرضهم أبو جهل على لقاء المسلمين وقتلهم ، فجاءوا إلى بدر لحرب المسلمين(٣).

منزلين : قرأ جمهور القراء بالتخفيف ﴿ مُنْزَلِين ﴾ من أنزل .

وقرأ ابن عامر(٤) بالتشديد مُنَزَّلين ﴾ من نَزَّل وحجته قوله تعالى ﴿ لنزلنا عليهم من السماء ملكاً رسولاً ﴾(٥).

وأنزل ونزل لغتان(٦).

١ـ انظر صفوة الآثار ٣١١/٤.
٢ـ انظر تفسير الرازي ٦١٢/٨.
٣ـ انظر تفسير الرازي ٦١٢/٨.
٤ـ هو عبد الله بن عامر اليحصبي . إمام الشام في القراءة وقاضيها ، وأحد القراء السبعة قال عن نفسه : قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ولي سنتان . توفي عام ١١٨وانظر معرفة القراء ٨٢/١ـ٨٦. وغاية النهاية ٤٢٣/١ـ٤٢٥.
٥ـ الإسراء ٩٥.
٦ـ انظر حجة القراءات ١٧٢. والكشف عن وجوه القراءات السبع ٣٥٥/١.

من فورهم : أصل الفور : القصد إلى الشيء والأخذ فيه بجد وهو من قولهم فارت القدر تفور فورًا وفورانا إذا غَلَت(١).

والمراد به في الآية: وجههم هذا، أو غضبهم هذا، أو سرعتهم هذه(٢).

والجمع بينها أنهم جاءوا من وجههم مسرعين غاضبين على المسلمين لمحاولتهم أخذ القافلة .

مسومين : قرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم ويعقوب ﴿مسوِّمين﴾ بكسر الواو اسم فاعل ، مأخوذ من السومة وهي : العلامة أي : معلمين أنفسهم بعمائم صفر أرسلوها بين أكتافهم، أو معلمين خيولهم بالصوف ، أو أنهم جعلوا لقتلهم وأسرهم علامات تعرف بها على ما سيأتي في الشرح إن شاء الله .

وقرأ الباقون ﴿ مسوَّمين ﴾ بفتح الواو اسم مفعول والفاعل هو الله تعالى ، أي : معلّمين أو بمعنى مرسَلين تقول العرب : لنسوِّمن فيكم الخيل أي : نرسلها . والمعنى نرسلها على الكفار . فيكون موافقا لمعنى ﴿ منزلين ﴾(٣).

ليقطع طرفا : ليهلك ويستأصل طائفة(٤).

يكبتهم : يحزنهم وذلك بالهزيمة(٥) وقتل الآباء ، أو الأبناء ، أو الأقارب ، أو الأصحاب . وأخذ أموالهم وسلاحهم .

خائبين : من خاب يخيب إذا انقطع أمله ، ولم ينل شيئا مما كان يأمله(٦).

١ـ انظر تفسير القرطبي ١٩٦/٤. والشوكاني ٣٧٨/١.
٢ـ انظر تفسير الطبري ١٨١/٧، ١٨٣، تحقيق شاكر . وابن كثير ٤٠٢/١.
٣ـ انظر حجة القراءات ١٧٣. والتيسير في القراءات السبع ٩٠. وتفسير القرطبي ١٩٦/٤. والمهذب ١٣٤/١.
٤ـ انظر تفسير الطبري ١٩٢/٧، تحقيق شاكر . وبحر العلوم ١٤٦/٢.
٥ـ انظر بحر العلوم ١٤٦/٢. والشوكاني ٣٧٨/١.
٦ـ انظر تفسير الطبري ١٩٣/٧، تحقيق شاكر . والقرطبي ١٩٨/٤.

٢ـ وقوله تعالى ﴿ إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أنى ممدكم بألف من الملٰئكة مردفين وما جعله الله إلا بشرىٰ ولتطمئن به قلوبكم وما النصر إلا من عند الله إن الله عزيز حكيم ﴾(١).

٣ـ وقوله تعالى ـ بعدها ـ ﴿ إذ يوحى ربك إلىٰ الملٰئكة أنى معكم فثبتوا الذين ءامنوا سألقى فى قلوب الذين كفروا الرعب فاضربوا فوق الأعناق واضربوا منهم كل بنان ﴾(٢).

سبب النزول :

أخرج مسلم في صحيحه عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : لما كان يوم بدر نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المشركين وهم ألف وأصحابه ثلاثمائة وتسعة عشر رجلاً فاستقبل نبي الله صلى الله عليه وسلم القبلة ثم مد يديه فجعل يهتف بربه " اللهم أنجز لي ما وعدتني اللهم آت ما وعدتني اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تعبد في الأرض " فما زال يهتف بربه ، ماداً يديه مستقبل القبلة حتى سقط رداؤه عن منكبيه فأتاه أبو بكر فأخذ رداءه فألقاه على منكبية ثم التزمه من ورائه وقال : يا نبي الله "كذاك"(٣) مناشدتك ربك فإنه سينجز لك ما وعدك فأنزل الله عز وجل ﴿إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أنى ممدكم بألف من الملٰئكة

١ـ الأنفال ٩ـ١٠.

٢ـ الأنفال ١٢.

٣ـ قال النووي : هكذا وقع لجماهير رواة مسلم : "كذاك" ، بالذال ولبعضهم: "كفاك" بالفاء . ويؤيد هذا ما في رواية البخاري "حسبك" انظر البخاري ٥/٥. وشرح النووي على مسلم ٨٥/١٢ بتصرف.

مردفين ﴾(١).

معاني المفردات :

تستغيثون : تطلبون الغوث(٢).

مردفين : قرأ نافع وأبو جعفر ويعقوب ﴿ مردَفين ﴾ بفتح الدال على أنه اسم مفعول أي مُردفين بغيرهم من الملائكة ، وقيل : من الناس(٣). ولكن هذا فيه بعد ويأباه السياق.

وقرأ الباقون : ﴿ مردِفين ﴾ بكسر الدال أي : متتابعين ، أو ردفوا أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم(٤)، حيث جاءوا من بعدهم ليكونوا قوة لهم ونصرًا على أعدائهم .

فاضربوا : اختلف المفسرون في المأمورين هنا على قولين :

القول الأول : أنهم الملائكة : فيكون متصلاً بقوله ﴿فثبتوا﴾.

القول الثاني : أنهم المؤمنون : لأنهم هم الذين يقاتلون(٥).

ولا مانع من الجمع بين القولين فتكون الملائكة والمؤمنون مأمورين بقتل الكفار. وقد صدر القتل منهم جميعًا على ما سيأتي بيانه في الشرح إن شاء الله .

فوق الأعناق : اختلف المفسرون فيه على ثلاثة أقوال :

١ـ أخرجه مسلم ١٣٨٤/٣، مطولاً.

٢ـ انظر تفسير القرطبي ٣٧٠/٧. والخازن ١١/٣.

٣ـ انظر حجة القراءات ٣٠٧ـ٣٠٨. والمهذب ٢٦٣/١.

٤ـ انظر المصدر السابق .

٥ـ انظر تفسير الرازي ١٣٥/١٥. والقرطبي ٣٧٨/٧. ولم ينسبا القولين لأحد.

القول الأول : ما بين عظم الرأس وعظم العنق ، والمعنى أنهم يضربون في المفصل الذي بين الرأس والرقبة . والضرب في هذا المكان أبلغ الضربات وأحكمها .

ذكره ابن عطية ، والبيضاوي ، وأبو السعود(١).

القول الثاني : أنه الرأس : فتكون ﴿ فوق ﴾ زائدة .

ذكره الطبري عن عكرمة .

واستدل من قال بهذا القول : بأن ما فوق العنق هو الرأس(٢).

القول الثالث : أنها الأعناق . و ﴿ فوق ﴾ زائدة .

ذكره الطبري عن عطية العوفي ، والضحاك .

واستدل من قال بهذا القول : بأن العرب تقول "رأيت نفس فلان ".

بمعنى : رأيته(٣).

ولأن الله أمر المؤمنين بضرب الرقاب بقوله ﴿ فإذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب ﴾(٤).

الترجيح :

قال الطبري رحمه الله تعالى : والصواب من القول في ذلك أن قوله ﴿ فوق الأعناق ﴾ محتمل أن يكون مرادا به الرؤوس ، ومحتمل أن يكون مرادا به من فوق جلدة الأعناق ، فيكون معناه : على الأعناق . وإذا احتمل ذلك صح قول من قال

١- انظر تفسير ابن عطية ٢٨/٨ . والبيضاوي ٣٧٧/١. وأبي السعود ١١/٤.

٢- انظر تفسير الطبري ٤٣٠/١٣، تحقيق شاكر . والرازي ١٣٥/١٥.

٣- انظر تفسير الطبري ٤٢٩/١٣، تحقيق شاكر.

٤- محمد ٤، وانظر تفسير ابن كثير ٢٩٤/٢.

معناه : الأعناق وإذا كان الأمر محتملا ما ذكرنا من التأويل لم يكن لنا أن نوجهه إلى بعض معانيه دون بعض إلا بحجة يجب التسليم لها ولا حجة تدل على خصوصية(١).

كل بنان : البنان جمع بنانة ، وهي: أطراف اليدين والرجلين .

ومن ذلك قول الشاعر(٢) :

إلا ليتني قطعت مني بنانة ولاقيته في البيت يقظان حاذرًا

فإذا ضُربت الأطراف تعطل المضروب عن القتال .

٤ـ وقوله تعالى ﴿ وإذ زين لهم الشيطٰن أعمٰلهم وقال لا غالب لكم اليوم من الناس وإنى جار لكم فلما تراَءت الفئتان نكص علىٰ عقبيه وقال إنى برىء منكم إنى أرىٰ ما لا ترون إنى أخاف الله والله شديد العقاب ﴾(٣).

٥ـ وقوله تعالى بعدها ﴿ ولو ترىٰ إذ يتوفى الذين كفروا الملٰئكة يضربون وجوههم وأدبٰرهم وذوقوا عذاب الحريق ﴾(٤).

معاني المفردات :

نكص على عقبيه : رجع على قفاه هاربًا(٥).

إني أرى ما لا ترون : رأى الملائكة الذين لا يراهم

١ـ انظر تفسير الطبري ٤٣٠/١٣، تحقيق شاكر، بتصرف.

٢ـ هو العباس بن مرداس السلمي قال هذا البيت يتصد به أبا ضب رجلا من هذيل قتل هُرَيم بن مرداس وهو نائم وكان جاورهم بالربيع وانظر مجاز القرآن ٢٤٢/١ـ ٢٤٣ وتفسير الطبري ٤٣١/١٣ـ ٤٣٢ تحقيق شاكر.

٣ـ الأنفال ٤٨.

٤ـ الأنفال ٥٠.

٥ـ انظر تفسير الطبري ١١/١٤، تحقيق شاكر . وابن كثير ٣٦٨/٢.

الكفار(١).

إني أخاف الله : أخاف أن يأخذني الله فيكون يوم بدر هو اليوم الذي أُنْظِرُ إليه فلا قوة لي ولا منعة تمنعني من الملائكة(٢).

وهذه عادته عدو الله لمن أطاعة وانقاد له ، حتى إذا التقى الحق والباطل أسلمهم شر مسلم ، وتبرأ منهم كما قال تعالى عنه ﴿ كمثل الشيطٰن إذ قال للإنسٰن اكفر فلما كفر قال إني برىء منك إني أخاف الله رب العٰلمين ﴾(٣).

المعنى :

بين الله سبحانه وتعالى في هذه الآيات كيف نصر المؤمنين وهزم الكافرين في معركة بدر الكبرى . في هذه المعركة التي خرجت قريش بخيلها وخيلائها لتقضي على نور الله في الأرض . وقام الشيطان مع حزبه يشجعهم على الإقدام على المعركة ويقول بأنه جار لهم ومعينهم على عدوهم ، وذلك أن الكفار ترددوا في الإقدام على المعركة خوفا من بني كنانة. فتصور الشيطان لهم على صورة سراقة بن مالك وقال: إني أجيركم من قومي بني كنانة من أن يصلوا إليكم بسوء فشد من عزائمهم وقواهم.ولما التقى الجيشان رأى عدو الله الملائكة تنزل من السماء فولى على دبره هاربًا ، وقال للكفار : إني أرى ما لا ترون وأخاف أن يصيبني الله بعذاب أو أن يهلكني بواسطة الملائكة فتركهم حينما بدت الحاجة إليه .

وقبل أن تدور رحى المعركة نظر الرسول صلى الله

١ـ انظر تفسير القرطبي ٣٦/٨. والشوكاني ٣١٥/١.
٢ـ انظر تفسير الشوكاني ٣١٦/١. وروح المعاني ١٥/١٠.
٣ـ الحشر ١٦. وانظر تفسير ابن كثير ٣١٩/٢.

عليه وسلم إلى الكفار وقوتهم وإلى المسلمين وضعفهم فلجأ إلى الله وابتهل إليه أن ينصر المسلمين في هذه المعركة . لأن بها يتحدد مصير المسلمين ، وبعد إلحاح شديد في الدعاء نزل عليه الوحي يبشره أن الله أنزل لنصر المسلمين ملائكة يتبع بعضهم بعضا ، ومعلمين بعلامات يعرفون بها . وقد تم ذلك والحمد لله .

وعمل الملائكة في هذه المعركة على نوعين :

النوع الأول : نصر المؤمنين . وذلك بتثبيتهم أثناء المعركة بكل معاني التثبيت ، بحيث يقوون عزائمهم ، ويصححون نياتهم في قتال أعدائهم ، وحضورهم معهم في الحرب ، ويكثرون سوادهم ، ويبشرونهم بالنصر(١) وهزيمة الأعداء . وغير ذلك من معاني التثبيت.

النوع الثاني : قتل الكفار وأسرهم .

وقد تعددت الأحاديث الدالة على مشاركة الملائكة للمؤمنين في قتال الكفار في معركة بدر ، ومن ذلك :

١ـ ما أخرجه مسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: بينما رجل من المسلمين يومئذ يشتد في أثر رجل من المشركين أمامه . إذ سمع ضربة بالسوط فوقه . وصوت الفارس يقول: أقدم حيزوم فنظر إلى المشرك أمامه فخر مستلقيا. فنظر إليه ، فإذا هو قد خطم أنفه وشق وجهه، كضربة السوط. فاْخْضَرَّ ذلك أجمع. فجاء الأنصاري فحدث بذلك رسول الله صلى الله

١ـ انظر تفسير الطبري ٤٣٨/١٣، تحقيق شاكر . والقرطبي ٣٧٨/٧. وابن كثير ٢٩٣/٢.

من هذه الأحاديث يتبين لنا أن الملائكة قد شاركت في معركة بدر بالقتل والأسر ، وكان لقتلهم علامات إذ أنهم يضربون الوجوه بالسياط . ويكون المقتول من قتلاهم أخضر اللون كما في حديث ابن عباس، وبيّن الرسول صلى الله عليه وسلم أن ذلك الملك من مدد السماء الثالثة .

وأن أسرهم أيضا ظاهر من حديث علي بن أبي طالب إذ أسر أحدهم العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه . وبين الرسول صلى الله عليه وسلم أن الذي أعان الصحابي على أسره أحد الملائكة .

ونزول الملائكة إنما هو سبب من أسباب النصر ، وبشرى للمسلمين ، وتطمين لقلوبهم . وأما النصر فإنه من عند الله تعالى وحده لا شريك له فهو قادر على أن ينتصر من الكفار دون قتال .

قال تعالى ﴿ ذلك ولو يشاء الله لانتصر منهم ولكن ليبلوا بعضكم ببعض ﴾(١) وقادر على أن يرسل عليهم ملكا واحدًا يهلكهم ، ولكن جعل هذا العدد من الملائكة تطمينا وبشرى للمسلمين دائمًا وأبدا وأنه مع عباده المؤمنين إذا نصروه سبحانه وتعالى . قال تعالى ﴿ ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز ﴾(٢).

=المسند ١٩٢/٢. والارنؤوط في تعليقه على زاد المعاد ١٨٣/٣.

١- محمد ٤.

٢- الحج ٤٠.

المبحث السابع : نصر الملائكة المؤمنين وهزيمتهم الكفار في غزوة الأحزاب.

في السنة الخامسة من الهجرة تحزبت الأحزاب : ـ قريش وغطفان وأسد واليهود ـ لحرب النبي صلى الله عليه وسلم في المدينة . فلما دنوا منها أشار سلمان الفارسي على رسول الله صلى الله عليه وسلم بحفر خندق حول المدينة ، ليحول بينها وبين العدو .

فكان هذا الخندق سببًا في منع الحرب بين الفريقين ـ إلا بعض المبارزات اليسيرة ـ واستمر الحصار على المسلمين شهرًا . وبلغ الخوف منهم مبلغًا عظيمًا . وصفه الله بقوله ﴿إذ جاءوكم من فوقكم ومن أسفل منكم وإذ زاغت الأبصر وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا هنالك ابتلى المؤمنون وزلزلوا زلزالاً شديداً ﴾(١).

ولما وصلت بهم الحال إلى هذا الحد جاء نصر الله العظيم للمسلمين .

وفي هذا يقول الله تعالى ﴿ يأيها الذين ءامنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ جاءتكم جنود فأرسلنا عليهم ريحًا وجنوداً لم تروها وكان الله بما تعملون بصيرًا ﴾(٢).

معاني المفردات :

جنود : قريش ، وغطفان ، واليهود(٣).

ريحًا : هي : الصَبا . لما ثبت في الصحيحين عن النبي

١ـ الاحزاب ١٠ـ١١.

٢ـ الاحزاب ٩.

٣ـ انظر تفسير ابن كثير ٤٧١/٣.

صلى الله عليه وسلم قال: " نصرت بالصبا (١) وأهلكت عاد بالدبور" (٢).

جنود ٤ : الملائكة .

المعنى :

ذكر الله في هذه الآية منته وإحسانه على المسلمين في معركة الخندق حينما اشتد عليهم البلاء ، وظهر نِفاق المنافقين وصِدق الصادقين .

فأنزل نصره المؤزر على جنده وأوليائه ، فأرسل على الكفار ريحًا شديدة تثير الغبار وتقلع الخيام ولا تستقر لهم نار .

وكان المسلمون قريبين منهم ليس بينهم إلا الخندق ومع هذا لم تصبهم هذه الريح لأن الله إنما أرسلها على الكفار فقط . وهذا من تمام قدرته سبحانه وتعالى .

وأرسل الله عليهم الملائكة أيضا لتزلزلهم ، وتقذف الرعب في قلوبهم قال القرطبي:" قال المفسرون : بعث الله تعالى عليهم الملائكة فقلعت الأوتاد، وقطعت أطناب الفساطيط، وأطفأت النيران ، وأكفأت القدور ، وجالت الخيل بعضها في بعض ، وأرسل الله عليهم الرعب . وكثر تكبير الملائكة في جوانب العسكر حتى كان سيد كل خباء يقول : يا بني فلان هلم إليَّ فإذا اجتمعوا قال لهم : النجاء

١- الصبا : بفتح المهلمة بعلما موحدة متصورة، ويقال لها القبول لأنها تهب مقابل باب الكعبة من جهة الشرق ، وتقابلها الدبور وهي أشد منها إذ أهلكت بها عاد والصبا هي المرادة بقوله تعالى ﴿ فأرسلنا عليهم ريحا﴾ الاحزاب ٩. كما جزم به مجاهد وغيره. وانظر فتح الباري ٢/٥٢٠-٥٢١ بتصرف.

٢- أخرجه البخاري ٢/٢٢. ومسلم ٢/٦١٧.

النجاء "(١).

ثم بين الله أنه عالم ومبصر بما عمله المؤمنون حينما حفروا الخندق وحينما صبروا أمام الأعداء مع الخوف والجوع والبرد ، ولذلك نصرهم سبحانه وتعالى . وسيجازيهم بصبرهم وإيمانهم يوم القيامة .

١- انظر تفسير القرطبي ١٤/١٤٤.

المبحث الثامن : نصر الملائكة المؤمنين وهزيمتهم الكفار في معركة حنين.

لما فتح النبي صلى الله عليه وسلم مكة ، ورأت هوازن أن عموم العرب قد دخلوا في الإسلام تجهزت لغزو النبي صلى الله عليه وسلم ، واجتمع إليها ثقيف وغيرهم . وساقوا نساءهم وأموالهم حتى يتقووا في الحرب للدفاع عنهم . ولما علم النبي صلى الله عليه وسلم بخروجهم خرج إليهم سنة ثمان من الهجرة في اثني عشر ألف مقاتل،عشرة آلاف كانوا معه من المدينة ، وألفين من مكة ثم التقى الجيشان في مكان يقال له : حنين . وكان النصر في أول الأمر لهوازن لأنهم باغتوا المسلمين فتفرقوا . فدعاهم النبي صلى الله عليه وسلم . ثم اقتتل الفريقان قتالاً شديدا . وأخذ النبي صلى الله عليه وسلم حصيات ، فرمى بهن وجوه الكفار ثم قال : " انْهَزَموا ورب محمد "(١).

ثم أنزل الله سكينته على رسوله صلى الله عليه وسلم وعلى المؤمنين ، وأنزل الملائكة لتأييد المؤمنين ونصرهم وهزم الكافرين .

وفي هذا يقول الله عز وجل ﴿ لقد نصركم الله فى مواطن كثيرة ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئاً وضاقت عليكم الأرض بما رحبت ثم وليتم مدبرين ثم أنزل الله سكينته علىٰ رسوله وعلىٰ المؤمنين وأنزل جنوداً لم تروها

١ــ أخرجه مسلم ١٣٩٩/٣ من حديث طويل.

وعذب الذين كفروا وذلك جزاء الكفرين ﴾(١).

معاني المفردات

حنين : واد بين مكة والطائف وسميت به معركة حنين لأنها وقعت فيه(٢).

سكينته : أي ما يسكنهم ويطمئنهم من الخوف الذي أصابهم(٣).

جنودا : الملائكة(٤).

المعنى :

بين الله سبحانه وتعالى في هاتين الآيتين عظم منته على المؤمنين حينما كانوا مع النبي صلى الله عليه وسلم ، وأنه نصرهم في أماكن كثيرة. ومن ذلك يوم حنين حينما أعجب بعضهم بكثرتهم وأنهم اثنا عشر ألف مقاتل . وظنوا أنهم لن يغلبوا لكثرتهم فابتلاهم الله بالهزيمة في بادىء الأمر حتى إذا ضاقت عليهم الأرض مع سعتها ، وولوا هاربين - غير رسول الله صلى الله عليه وسلم ونفر معه - أنزل الله ما يسكن الناس ، ويطمئنهم ، ويثبتهم . وأنزل الله الملائكة تأييداً ، ونصرًا للمؤمين ، وتخويفا ، وهزيمة على الكافرين .

وهؤلاء الملائكة لم يرهم المسلمون قال تعالى ﴿وأنزل جنوداً لم تروها ﴾(٥) ولكن يراهم الكفار فيخافون وينهزمون .

وعذب الله الذين كفروا بالقتل ، والأسر ، والهزيمة ،

١- التوبة ٢٥-٢٦.
٢- انظر معجم البلدان ٣١٣/٢.
٣- انظر زاد المسير ٤١٦/٣ وفتح القدير ٣٤٨/٢.
٤- انظر تفسير البيضاوي ٤٠٠/١ والقاسمي ١٥٢/٨.
٥- التوبة ٢٦.

وسبي الأولاد ، والنساء، وأخذ الأموال . فما أشد هذا العذاب عليهم . وهذا هو جزاء الكافرين لمحاربتهم الله ورسوله والمؤمنين .

الفصل السادس : ابتلاء الله الناس بواسطة الملائكة

وفيه ثلاثة مباحث

المبحث الأول : ابتلاء الله قوم لوط بواسطة الملائكة .

المبحث الثاني : ابتلاء الله أهل بابل بواسطة الملائكة .

المبحث الثالث : ابتلاء الله بني إسرائيل بواسطة جبريل عليه السلام .

وهذا تفصيل الكلام عن هذه المباحث حسب ترتيبها :

المبحث الأول : ابتلاء الله قوم لوط بواسطة الملائكة .

لما نزلت الملائكة ضيوفا على لوط عليه السلام كانوا على صورة جميلة جدا ، ابتلاء من الله لقومه ، ليظهر ما عندهم من الشغف العظيم بارتكاب جريمتهم النكراء على أي ذكر حتى وإن كان ضيفا .

وقد ذكر الله ذلك في مواضع متعددة من كتابه الكريم. ومن ذلك :

١ـ قوله تعالى ﴿ ولما جاءت رسلنا لوطاً سيء بهم وضاق بهم ذرعًا وقال هٰذا يوم عصيب وجاءه قومه يهرعون إليه ومن قبل كانوا يعملون السيئات قال يٰقوم هٰؤلاء بناتى هن أطهر لكم فاتقوا الله ولا تخزون فى ضيفى أليس منكم رجل رشيد قالوا لقد علمت ما لنا فى بناتك من حق وإنك لتعلم ما نريد قال لو أن لى بكم قوة أو ءاوى إلىٰ ركن شديد ﴾(١).

٢ـ ويقول سبحانه ﴿ وجاء أهل المدينة يستبشرون قال إن هٰؤلاء ضيفى فلا تفضحون واتقوا الله ولا تخزون قالوا أو لم ننهك عن العٰلمين قال هٰؤلاء بناتى إن كنتم فٰعلين لعمرك إنهم لفى سكرتهم يعمهون ﴾(٢).

٣ـ ويقول سبحانه ﴿ ولقد رٰودوه عن ضيفه فطمسنا أعينهم فذوقوا عذابى ونذر ﴾(٣).

١ـ هود ٧٧ـ٨٠.
٢ـ الحجر ٦٧ـ٧٢.
٣ـ القمر ٣٧ وسبق بيان معاني مفردات هذه الآيات ص ٥٥ـ٥٩ و ١٢١ـ١٢٢ و ١٦٢ـ١٦٦.

المعنى :

بين الله سبحانه وتعالى في هذه الآيات كيف ابتلى قوم لوط بالملائكة . وذلك أن الملائكة نزلت على لوط عليه السلام على صور فتية مرد مما أغرى بهم القوم ، فحاولوا أن يصلوا إلى هؤلاء الضيوف ظنا منهم أنهم من بني آدم فدافعهم لوط عليه السلام وحثهم لما أباحه الله لهم من النساء ، ولكنهم استمروا في غيهم وطغيانهم . ولما اشتد على لوط الأمر بشّره ضيوفه بأنهم رسل من عند الله ولن يصل إليه ولا لضيفه أحد منهم بسوء .

المبحث الثاني : ابتلاء الله أهل بابل بواسطة الملائكة

قال تعالى ﴿ واتبعوا ما تتلوا الشيٰطين علىٰ ملك سليمٰن وما كفر سليمٰن ولٰكن الشيٰطين كفروا يعلمون الناس السحر وما أنزل على الملكين ببابل هٰروت ومٰروت وما يعلمان من أحد حتىٰ يقولا إنما نحن فتنة فلا تكفر فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه وما هم بضارين به من أحد إلا بإذن الله ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم ولقد علموا لمن اشترٰه ما له فى الأخرة من خلٰق ولبئس ما شروا به أنفسهم لو كانوا يعلمون ﴾(١).

معاني المفردات :

تتلوا : تقرأه من التلاوة ، وعدي بعلى لأنه يتضمن معنى تَكْذِب فهي تقرأه على الناس على وجه الكذب والفرية(٢) فتقول بأنه حَكَم الناس بالسحر . ويبين هذا ما جاء عن ابن عباس رضي الله عنهما حيث يقول " كان آصف كاتب سليمان وكان يَعْلَم الإسم الأعظم وكان يكتب كل شيء بأمر سليمان،ويدفنه تحت كرسيه.فلما مات سليمان أخرجته الشياطين فكتبوا من كل سطرين سحرًا وكفرًا وقالوا هذا الذي كان سليمان يعمل بها . قال: فأكفره جهال الناس وسبوه ووقف علماؤهم فلم يزل جهالهم يسبوه حتى أنزل الله على محمد ﴿واتبعوا ما تتلوا الشيٰطين على ملك سليمٰن وما كفر سليمٰن

١- البقرة ١٠٢.

٢- انظر تفسير ابن كثير ١٣٧/١. والفتوحات الإلهية ٨٥/١.

ولٰكن الشيْطين كفروا ﴾(١).

وما أنزل على الملكين : اختلف المفسرون في معناها على ثلاثة أقوال :

القول الأول : أن ما موصولة بمعنى الذي . والمعنى : إن الشياطين يعلمون الناس السحر ويعلمونهم ما أنزل على الملكين وهو ما يفرقون به بين المرء وزوجه ، وهو نوع من أنواع السحر .

وهذا قول الجمهور ورجحه الطبري(٢).

القول الثاني : أن ما نافية ، والواو للعطف على قوله ﴿ وما كفر سليمٰن ﴾.

وفي الكلام تقديم وتأخير والتقدير : وما كفر سليمان وما أنزل على الملكين ، ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر ببابل هارون وماروت . فهاروت وماروت بدل من الشياطين في قوله ﴿ ولٰكن الشيْطين كفروا ﴾.

رواه الطبري وابن أبي حاتم عن ابن عباس من طريق العوفي. وهو ضعيف.

ورواه الطبري عن الربيع بن أنس ، وابن أبي حاتم عن أبي العالية .

ورجحه القرطبي(٣).

١- البقرة ١٠٢. والأثر أخرجه النسائي في التفسير ١٧٩/١. والطبري ٤١٤/٢ ، تحقيق شاكر . وابن أبي حاتم ٢٩٧/١. وفيه المنهال ، قال الحافظ في التقريب ٥٤٧: صدوق ربما وهم. ورجح الشيخ أحمد شاكر أن حديثه حسن . وانظر تعليقه على المسند ١٦٥/٢. وحاشية الطبري ٢٨٧/١. والأثر موقوف على ابن عباس رضي الله عنه .

٢- انظر تفسير الطبري ٤٢٠/٢ـ٤٢٣، تحقيق شاكر . وابن كثير ١٣٨/١. والالوسي ٣٤٠/١.

٣- انظر تفسير الطبري ٤١٩/٢، تحقيق شاكر . وابن أبي حاتم ٣٠٢/١. والقرطبي ٥٠/٢ـ ٥١.

القول الثالث : أن ما موصولة ، والمعنى : والذي أنزل على الملِكين ـ بكسر اللام ـ والملِكان : مثنى ملِك .

واستدل من قال بهذا القول بقراءة ابن عباس ، وابن أبزى (١) ، والحسن البصري ﴿ الملِكين ﴾ بكسر اللام وهي قراءة شاذة.

ثم اختلفوا في المراد بالملكين على ثلاثة أقوال :

القول الأول : أنهما رجلان من أهل بابل . قاله الضحاك ، والحسن البصري.

القول الثاني : أنهما داود وسليمان عليهما السلام . قاله ابن أبزى .

القول الثالث : أنهما قبيلتان من الجن . قاله ابن حزم(٢).

الترجيح :

الذي يظهر لي أن القول الأول ـ الذي مضمونه أن ما موصولة ـ هو الراجح لدلالة ظاهر الآية عليه قال تعالى ﴿ وما يعلمان من أحد حتى يقولا إنما نحن فتنة فلا تكفر فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه ﴾(٣) ولا يعدل عن الظاهر إلا بدليل .

١ـ هو عبد الرحمن بن أبزى الخزاعي . صحابي صغير . روى عن عمر . واستعمله علي على خراسان . وردت الرواية عنه في حروف القرآن . وانظر غاية النهاية ٣٦١/١. والتقريب ٣٣٦.

٢ـ انظر الفصل في الملل والنحل ٣٣/٤. وتفسير القرطبي ٥٢/٢. وابن كثير ١٣٨/١.

٣ـ البقرة ١٠٢.

وأما قول أصحاب القول الثاني : إن هارون وماروت بدل من الشياطين . فيجاب عنه : بأنه يعارض ما تقرر في اللغة أن البدل يكون على حد المبدل منه .

وأما استدلال أصحاب القول الثالث بقراءة ﴿ملِكين﴾ بكسر اللام . فيجاب عنه : بأن ما جاء بعد ذلك في الآية يرده قال تعالى ﴿ وما يعلمان من أحد حتى يقولا إنما نحن فتنة فلا تكفر ﴾(١).

بإذن الله : أي أن الله خلى بينهم وبين ما يريدون(٢) وحصل ذلك بقضاء الله وقدره لا بمحبته ورضاه(٣).

خلاق : نصيب(٤).

شروا : باعوا(٥).

المعنى :

بين الله في هذه الآية كيف ابتلى أهل بابل ليظهر المؤمن من الكافر ، وذلك بإرسال الملكين هاروت وماروت ليعلمان الناس السحر .

فبدأ يعلمان الناس السحر وكيفيته.وقبل أن يعلما أحداً من الناس يحذرانه وينصحانه ويبينان له حقيقتهما فيقولان له : إنما نحن فتنة للناس فلا تكفر بالله تعالى ، فيتعلم الناس منهما نوعًا من أنواع السحر،وهو ما يفرقون به بين المرء وزوجه. فيتعلم

١ـ البقرة ١٠٢.

٢ـ انظر تفسير ابن كثير ١/١٤٤.

٣ـ وانظر الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ١١٥. وشفاء العليل ٢٨٢.

٤ـ انظر تفسير البغوي ١/١٠٢. وابن الجوزي ١/١٢٥.

٥ـ انظر تفسير القرطبي ٢/٥٦. والشوكاني ١/١٢١.

الناس ما يضرهم ولا ينفعهم. ولن يضروا به أحدا إلا بمشيئة الله سبحانه وتعالى .

وقد أنكر بعض العلماء(١) نزول السحر على هاروت وماروت ، وأنهما علماه الناس .

وإذا تأملنا قول هؤلاء نجد أنهم أنكروه لأمور ثلاثة ، أو لبعضها :

الأول : أن إنزال السحر لا يليق بالله تعالى لأنه يفضي إلى الكفر .

الثاني : أن الملائكة معصومون : فكيف يعلمون الناس علمًا يؤدي بهم إلى الكفر .

الثالث : مانسب لهاروت وماروت من قصة المرأة ، وأنهما شربا الخمر وقتلا الطفل وزنيا بها فمسخها الله كوكبا وخيرهما بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة. فاختارا عذاب الدنيا . وهذا مخالف لعصمة الملائكة .

ويجاب عن هذه الأدلة بما يأتي :

١ـ أما تنزيههم الله تعالى عن إنزال السحر .

فيجاب عن ذلك بأن الله يبتلي عباده بما شاء من الخير أو الشر .

قال تعالى ﴿ونبلوكم بالشر والخير فتنة وإلينا

١ـ منهم أبو مسلم الاصفهاني ، وابن حزم. وانظر الملل والنحل ٤/٣٢ـ٣٤. وتفسير الرازي ٣/٣١٧.

ترجعون ﴾(١).

والله سبحانه وتعالى ينزل ما يشاء من الفتن . لما رواه البخاري في صحيحه عن أم سلمة رضي الله عنها قالت : استيقظ النبي صلى الله عليه وسلم ذات ليلة فقال: "سبحان الله ماذا أُنْزِل الليلة من الفتن وماذا فتح من الخزائن ..."(٢).

وفي الصحيح أيضا عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " ما أنزل الله داء إلا أنزل له شفاء "(٣). وفي لفظ الموطأ " أنزل الدواء الذي أنزل الأدواء "(٤).

فالمرض أنزله الله فتنة للناس لينظر الصابر المحتسب من غيره ولكنه لا ينسب إلى الله تأدبًا معه سبحانه وتعالى وإلا فكل شيء بتقديره . قال تعالى عن إبراهيم ﴿ وإذا مرضت فهو يشفين ﴾(٥).

فالله سبحانه وتعالى أنزل السحر ابتلاء وامتحانًا لخلقه ، لينظر الذي يستمر على دينه ممن يرتد عنه ولهذا يحذر الملكان الناس قائلين لمن يعلمانه ﴿ إنما نحن فتنة فلا تكفر ﴾(٦).

٢ـ وأما تعليم الملائكة الناس السحر.

فيجاب عنه : بأن الملكين بتعليمهما الناس السحر متبعان في ذلك لأمر الله تعالى ، فلما كان ذلك كذلك صار

١ـ الأنبياء ٣٥.
٢ـ أخرجه البخاري في صحيحه ٣٧/١.
٣ـ انظر صحيح البخاري ١٢/٧.
٤ـ انظر الموطأ ٩٤٤/٢.
٥ـ الشعراء ٨٠.
٦ـ البقرة ١٠٢.

تعليمهما من طاعة الله .

ومن المعلوم أنه لا يجوز لأحد أن يسجد لغير الله . ولكن لما أمر الله الملائكة بالسجود لآدم صار ذلك عليهم واجبًا.

فهاروت وماروت قائمان بأمر الله تعالى داخلان في عموم قوله تعالى ﴿ لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون ﴾(١).

فالملكان مكلفان بهذا الأمر كما كلفت بعض الملائكة بتدبير مصالح العباد(٢).

٣ـ وأما مانسب إلى هاروت وماروت مع المرأة.

فيجاب عنه : بأنه لم يرد في ذلك حديث صحيح عن الصادق المصدوق الذي لا ينطق عن الهوى صلى الله عليه وسلم .

وما جاء في ذلك فإنما هي آثار عن الصحابة والتابعين ، ومرجعها إلى أهل الكتاب.

وأما حديث ابن عمر رضي الله عنهما أنه سمع نبي الله صلى الله عليه وسلم يقول : " إن آدم صلى الله عليه وسلم لما أهبطه الله تعالى إلى الأرض قالت الملائكة أي رب أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك . قال : إني أعلم ما لا تعلمون قالوا : ربنا نحن أطوع لك من بني آدم قال الله تعالى للملائكة : هلموا ملكين من الملائكة حتى يُهبط بهما إلى الأرض فننظر كيف يعملان قالوا : ربنا هاروت وماروت فأهبطا إلى الأرض ومثلت لهما الزهرة ـ امرأة من أحسن البشر ـ فجاءتهما فسألاها نفسها .

١ـ الأنبياء ٢٧.

٢ـ انظر هذين الجوابين في تفسير الطبري ٤٢١/٢ـ٤٢٧، تحقيق شاكر . والشفاء للقاضي عياض ٨٥٥/٢ـ٨٥٦. وأحكام القرآن لابن العربي ٢٨/١ـ٢٩. والالوسي ٣٤٠/١. وعالم السحر والشعوذة ٢٥٤ـ٢٥٦.

أخرجه الطبري عن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إن الملائكة قالت : يا رب كيف صبرك على بني آدم في الخطايا والذنوب ؟ قال: إني مبتليهم وعافيتكم. قالوا: لو كنا مكانهم ما عصيناك ! قال: فاختاروا ملكين منكم قال: فلم يألوا أن يختاروا فاختاروا هاروت وماروت "(١).

وهذا الحديث ضعيف لأنه من طريق الحسين(٢) عن فرج بن فضالة(٣).

٣ـ أن الحديث ضعفه عدد من الأئمة والعلماء.

فقد قال الإمام أحمد ، وأبو حاتم : هذا حديث منكر(٤).

وقال الحافظ ابن كثير في تفسيره " وهذا حديث غريب من هذا الوجه ".

وقال " فدار الحديث ورجع إلى نقل كعب الأحبار عن كتب بني إسرائيل "(٥).

وقال في البداية والنهاية " وفي صحته عندي نظر والأشبه أنه موقوف على عبد الله بن عمر ويكون مما تلقاه عن كعب الأحبار "(٦).

وضعفه الشيخ أحمد شاكر(٧) ، والألباني(٨).

١ـ أخرجه الطبري ٤٣٣/٢، تحقيق شاكر .
٢ـ هو الحسين بن داود المصيصي ـ سُنَيْد ـ ضُعِف ، توفى عام ٢٢٦. وانظر التقريب ٢٥٧.
٣ـ هو فرج بن فضالة التنوخي ضعيف توفى عام ١٧٧. وانظر التقريب ٤٤٤.
٤ـ انظر العلل لابي حاتم ٦٩/٢ـ٧٠. والسلسلة الضعيفة ٢٠٦/١.
٥ـ انظر تفسير ابن كثير ١٣٩/١.
٦ـ انظر البداية والنهاية ٤٣/١.
٧ـ انظر تحقيقه للمسند ٢٩/٩ـ٣٣، وقد أطال عليه ورد على الحافظ ابن حجر رحمه الله تصحيحه للحديث في القول المسدد ٦٣ـ٦٤.
٨ـ انظر سلسلة الاحاديث الضعيفة ٢٠٤/١ـ٢٠٧.

المبحث الثالث : ابتلاء الله بني إسرائيل بواسطة جبريل عليه السلام.

لما أغرق الله فرعون وجنده في البحر ، ونجّى موسى وقومه أمر الله موسى أن يتوجه إلى الطور لمناجاته وبقي بنو إسرائيل مع هارون عليه السلام . ثم جمعوا الحلي-الذي أخذوه من أهل مصر-وأحرقوه في النار. وكان السامري قد قبض قبضة من أثر جبريل عليه السلام فألقاها على الذهب فصار بقدرة الله عجلاً له صوت مثل صوت البقر(١).

وفي ذلك يقول الله تعالى ﴿ قال فما خطبك يٰسمرى قال بصرت بما لم يبصروا به فقبضت قبضة من أثر الرسول فنبذتها وكذٰلك سولت لى نفسى ﴾(٢).

معاني المفردات :

ما خطبك : ما شأنك وما أمرك(٣).

بصرت بما لم يبصروا به : رأيت ما لم يروا ، أو علمت ما لم يعلموا(٤). ولا مانع من الامرين ، فالسامري أبصر جبريل وعَلِم ما لأثره من خاصية.

وقرأ الجمهور ﴿ يَبْصُروا ﴾ بالياء يعني : بني إسرائيل حينما غاب عنهم موسى عليه السلام .

وقرأ حمزة والكسائي وخلف ﴿ تَبْصُروا ﴾ بالتاء على أنه خطاب لموسى وقومه(٥).

١- أو أنه صنعه على هيئة عجل ثم قذف عليه ما في يده فصار له خوار. وانظر تفسير القرطبي ٢٣٩/١١. والبداية والنهاية ٣٦٨/١.

٢- طه ٩٥-٩٦.

٣- انظر تفسير الطبري ٢٠٤/١٦. والخازن ٢٧٨/٤.

٤- انظر زاد المسير ٣١٨/٥. والشوكاني ٣٨٣/٣.

٥- انظر حجة القراءات ٤٦٢. والنشر ٣٢٢/٢.

الرسول : اختلف المفسرون فيه على قولين :

القول الأول : أنه جبريل عليه السلام . وذلك أن السامري قبض قبضة من أثره أو من أثر فرسه . أي : مكان مشيه على الأرض .

وهذا قول عامة المفسرين .

القول الثاني : أنه موسى عليه السلام .

قاله أبو مسلم الأصفهاني(١).

قال الرازي : وما ذكره أبو مسلم ليس فيه إلا مخالفة المفسرين ولكنه أقرب إلى التحقيق لوجوه :

الأول : أن جبريل عليه السلام ليس بمشهور باسم الرسول ، ولم يجر له فيما تقدم ذكر حتى تُجعل لام التعريف إشارة إليه ، فإطلاق لفظ الرسول لإرادة جبريل عليه السلام كأنه تكلف بعلم الغيب .

الثاني : أن القول الأول لابد فيه من الإضمار وهو : قبضة من أثر حافر فرس الرسول ، والإضمار خلاف الأصل .

الثالث : أن القول الأول لابد فيه من التعسف في بيان أن السامري كيف اختص من بين جميع الناس برؤية جبريل عليه السلام ومعرفته ، ثم كيف عرف أن لتراب حافر فرسه هذا الأثر .

١ـ هو محمد بن بحر أبو مسلم الاصفهاني . مفسر ، شاعر ، معتزلي له كتاب جامع التأويل في التفسير جمع سعيد الانصاري الهندي نصوصًا منه وردت في تفسير الرازي . توفى عام ٣٢٢. وانظر الاعلام ٥٠/٦. وانظر القولين في تفسير الرازي ١١٠/٢٢. والقاسمي ١٨٩/١١.

الرابع : أنه لو جاز اطلاع بعض الكفرة على تراب هذا شأنه لكان لقائل أن يقول : فلعل موسى عليه السلام اطلع على شيء آخر يشبه ذلك فلأجله أتى بالمعجزات(١).

الترجيح :

الذي يظهر لي أن قول المفسرين أظهر من قول أبي مسلم .

لأن السامري يخاطب موسى عليه السلام في هذا الكلام ولو أراده لقال: قبضت قبضة من أثرك فلما قال لموسى: قبضتُ قبضة من أثر الرسول دل على أن هذا الرسول غير موسى ، فيكون جبريل عليه السلام ، على ما قاله المفسرون .

وأما ما استدل به الرازي فمردود بما يأتي :

١ـ أن قوله إن جبريل عليه السلام ليس بمشهور باسم الرسول .

فيجاب عنه : بأن كلمة الرسول تطلق على كل من أرسل . والذي يحدد معناها في كل موضع سياق الآيات

فمثلا في قوله تعالى ﴿ إنه لقول رسول كريم ﴾(٢). المراد به جبريل عليه السلام .

وفي قوله تعالى ﴿ فعصىٰ فرعون الرسول ﴾(٣). المراد به موسى عليه السلام وسياق الآية التي بين أيدينا يدل على أن المراد به جبريل عليه السلام . وليس فيه تكلف وإنما التكلف بخلافه .

٢ـ وقوله : لابد فيه من إضمار

١ـ انظر تفسير الرازي ٢٢/١١١ بتصرف.
٢ـ التكوير ١٩.
٣ـ المزمل ١٦.

فيجاب عنه : بأن هذا ليس بلازم فإن الأثر محتمل أن يكون أثر جبريل عليه السلام حينما جاء ليهلك فرعون وقومه كما جاء ذلك عن ابن عباس رضي الله عنهما من أثر الفتون الطويل (١) ، ويؤيده ظاهر الآية . وهو الأولى فلا يكون فيه إضمار .

٣ـ وقوله بأنه لابد من التعسف في بيان أن السامري اختص برؤية جبريل .

فيجاب عنه : بأن هذا ليس بلازم أيضا إذ يحتمل أنه رآه وحده أو أنه رآه مع غيره وعَلِمَ هذه الخاصية لأثره التي جعلها الله ابتلاء وامتحانًا وعلى كلا الاحتمالين فليس فيه تكلف .

٤ـ وقوله : لو جاز اطلاع السامري على تراب هذا شأنه فقد يقول قائل : لعل موسى اطلع على شيء آخر يشبهه.

فيجاب عنه : بمثله فلو كان هذا شأن أثر موسى فقد يقول قائل بأن موسى يسحر الناس .

وأيضا هل هذا تعليل صحيح يجعلنا نصرف كلام الله سبحانه وتعالى عن ظاهره المتبادر إلى غيره ؟

إذا فعلينا أن نؤمن بأن هذا ابتلاء من الله سبحانه وتعالى لبني إسرائيل والله يبتلي عباده بما يشاء ، ولا يسأل عما يفعل .

١ـ أخرجه النسائي في التفسير ٢/٤١ـ٦٢. وأبو يعلى ٥/١٠ـ٢٩. والطبري ١٦/١٦٤ـ١٦٧. والطحاوي في مشكل الآثار ٦ـ٧ وقال الهيثمي في المجمع ٧/٩٥ـ٦٩ " رواه أبو يعلى ورجاله رجال الصحيح غير أصبغ بن زيد ، والقاسم بن أبي ليلى " . وذكره ابن كثير في تفسيره ٣/١٤٩ـ١٥٤، وقال وهو من كلام ابن عباس ، وليس فيه مرفوع إلا قليل منه.

نبذتها : ألقيتها(١).
سولت : زينت(٢).

المعنى :

أوضح الله سبحانه وتعالى في هذه الآية كيف ابتلى بني إسرائيل وفتنهم بجبريل عليه السلام ، وذلك أنه جعل لأثر مشيه على الأرض ميزة ليست لغيره والله على كل شيء قدير وإذا أراد شيئا قال له : كن فيكون .

فلما جمع بنو إسرائيل حليهم الذي حملوه من مصر وأشعلوا فيه النار ألقى السامري القبضة التي أخذها من أثر جبريل عليه السلام فصار بها ذلك الذهب عجلاً جسدا له خوار.

فافتتنت به بنو إسرائيل حينما قال لهم السامري : هذا إلهكم وإله موسى فاتخذوه إلهًا من دون الله عز وجل قال تعالى ﴿ إن الذين اتخذوا العجل سينالهم غضب من ربهم وذلة في الحيوٰة الدنيا وكذٰلك نجزى المفترين ﴾(٣).

وقال تعالى ﴿ قالوا لن نبرح عليه عٰكفين حتى يرجع إلينا موسىٰ ﴾(٤).

أي : لن نترك عبادة العجل حتى يرجع موسى فنسمع كلامه فيه(٥).

وكان هارون عليه السلام قد نهاهم عن عبادته ، وقال

١- انظر تفسير الطبري ٢٠٦/١٦. وابن الجوزي ٣٦٨/٥.
٢- انظر تفسير البغوي ٢٢٩/٣. والخازن ٢٧٩/٤.
٣- الأعراف ١٥٢.
٤- طه ٩١.
٥- انظر تفسير ابن كثير ١٦٤/٣.

لهم ﴿ يٰقوم إنما فتنتم به وإن ربكم الرحمٰن فاتبعونى وأطيعوا أمرى ﴾(١).

فعصوه وكادوا أن يقتلوه .

حدث كل هذا وموسى عليه السلام يناجي ربه تعالى فأخبره الله بما فعل السامري،فرجع موسى إلى قومه غضبان أسفا على ما صدر منهم وقال لهم على وجه الإنكار ﴿ يٰقوم ألم يعدكم ربكم وعداً حسناً أفطال عليكم العهد أم أردتم أن يحل عليكم غضب من ربكم فأخلفتم موعدى ﴾(٢).

ثم اتجه إلى أخيه هارون وأمسك برأسه وقال له ﴿ ما منعك إذ رأيتهم ضلوا ألا تتبعن أفعصيت أمرى ﴾(٣) فأجابه هارون قائلاً ﴿ يبنؤم لا تأخذ بلحيتى ولا برأسى إنى خشيت أن تقول فرقت بين بنى إسراءيل ولم ترقب قولى ﴾(٤) وقال له أيضا ﴿ إن القوم استضعفونى وكادوا يقتلوننى فلا تشمت بى الأعداء ولا تجعلنى مع القوم الظّٰلمين ﴾(٥).

ثم اتجه موسى إلى السامري وسأله عن عمله الذي عمله فأجابه بأنه رأى جبريل وعلم ما لأثره من التأثير فقبض قبضة من أثره فرماها على الحلي فصار عجلاً له خوار فدعاهم إلى عبادته فعبدوه .

فتوعده موسى عليه السلام قائلا له : اذهب فإن لك في

١– طه ٩٠.

٢– طه ٨٦.

٣– طه ٩٢–٩٣.

٤– طه ٩٤.

٥– الأعراف ١٥٠.

الفصل السابع : كتابة الملائكة لأعمال الإنسان

وفيه مبحثان

المبحث الأول : كتابة الملائكة لأعمال جميع الناس ٠

المبحث الثاني : الحكمة من كتابة الأعمال ٠

وهذا تفصيل الكلام على هذين المبحثين :

المبحث الأول : كتابة الملائكة لأعمال جميع الناس .

وكل الله بعض ملائكته بكتابة جميع ما يصدر من بني آدم من خير أو شر وقد بين الله ذلك في كتابه العزيز . فمن ذلك :

١ـ قوله تعالى ﴿ إنا نحن نحي الموتى ونكتب ما قدموا وءاثرهم وكل شيء أحصيناه في إمام مبين ﴾(١).

معاني المفردات :

ما قدموا : أي الأعمال التي عملوها في الدنيا من خير أو شر(٢).

آثارهم : كل ما خلفوه من بعدهم من السنن الحسنة والسيئة . ومن ذلك خطاهم إلى الطاعات وإلى المعاصي ، والعلم الذي يخلفونه من بعدهم فقد يكون خيرًا أو شرًا ، والصدقة الجارية إن كانت في خير فخير وإن كانت في شر فشر(٣).

فالآية عامة في كل عمل خلفوه وراءهم ولا دليل على التخصيص ، ومما يفيد العموم ما يأتي :

١ـ ما أخرجه مسلم أيضا عن النبي صلى الله عليه

١ـ يس : ١٢.
٢ـ انظر تفسير ابن كثير ٥٦٦/٣. والبيضاوي ٢٧٨/٢.
٣ـ انظر تفسير الطبري ١٥٤/٢٢ـ ١٥٥. والبغوي ٧/٤. وابن كثير ٥٦٦/٣ـ ٥٦٧.

وسلم أنه قال : " إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاثة : إلا من صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له "(١).

٢ـ ما أخرجه مسلم أيضا عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : " من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء. ومن سن في الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شيء "(٢).

إمام مبين : أي اللوح المحفوظ(٣).

٢ـ وقوله تعالى ﴿ هٰذا كتٰبنا ينطق عليكم بالحق إنا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون ﴾(٤).

نستنسخ : تكتب . والمراد أن الله وكل الملائكة بكتابة أعمالكم(٥).

٣ـ وقوله تعالى ﴿ إذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد ﴾(٦).

معاني المفردات :

يتلقى المتلقيان : الملكان يتلقيان عمله فيكتبانه(٧).

١ـ أخرجه مسلم ١٢٥٥/٣.
٢ـ أخرجه مسلم من حديث طويل ٧٠٥/٢.
٣ـ انظر روح المعاني ٢١٩/٢٢.
٤ـ الجاثية ٢٩.
٥ـ انظر تفسير ابن كثير ١٥٣/٤. والبيضاوي ٣٩٠/٢.
٦ـ ق ١٧ـ ١٨.
٧ـ انظر تفسير البغوي ٢٢٢/٤. والقرطبي ٩/١٧.

قعيد: قعود . أو يرصدانه ويلازمانه(١).
رقيب : يراقب عمله فيكتبه(٢).
عتيد : معد لذلك حيث لا يفوته شيء(٣).

المعنى :

يفهم من الآيات والأحاديث المتقدمة أن الله يأمر الملائكة بكتابة ما يصدر من الخلق من الأعمال الحسنة والسيئة ويكتبون آثارهم سواء كانت حسنة أو سيئة، وهذه الكتابة في صحف الأعمال .

ولما كانت بأمر الله سبحانه وتعالى نسبت إليه فالآمر هو الله والمأمور المباشر للكتابة هم الملائكة .

ومع هذه الكتابة التي تكبتها الملائكة فإن الله قد أحصى كل شيء صغيرًا أو كبيرًا في اللوح المحفوظ حينما خلق القلم . فقال له : اكتب . قال: رب وما أكتب ؟ قال: اكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة . فجرى القلم بما هو كائن إلى يوم القيامة.

وقد وكل الله بكل إنسان ملكين يكتبان عليه أقواله وأفعاله في كتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ثم تعرض عليه يوم القيامة قال تعالى ﴿ ووضع الكتٰب فترى المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون يٰويلتنا مال هٰذا الكتٰب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصٰها ووجدوا ما عملوا حاضرًا ولا

١- انظر تفسير الطبري ١٥٨/٢٦. والبغوي ٢٢٢/٤. والقرطبي ١٠/١٧-١١.
٢- انظر تفسير ابن كثير ٢٢٥/٤. والشوكاني ٧٥/٥.
٣- انظر تفسير ابن كثير ٢٢٥/٤. والبيضاوي ٤٢٢/٢.

يظلم ربك أحدًا ﴾(١).

فإن قيل : هل الملائكة تكتب جميع ما يعمل الإنسان أو أنهم لا يكتبون إلا ما عليه ثواب وعقاب فقط ؟

أقول : اختلف العلماء في ذلك على قولين :

القول الأول : أنهم يكتبون كل شيء يصدر من الإنسان سواء كان صغيرًا أو كبيرًا .

وهذا قول ابن عباس رضي الله عنهما في رواية عنه ، ومجاهد ، والحسن البصري ، وقتادة . واختاره شيخ الإسلام ابن تيمية والإمام ابن كثير(٢).

القول الثاني : أنهم يكتبون ما عليه ثواب وعقاب فقط .

وهو رواية عن ابن عباس وقال به عكرمة(٣).

والراجح هو القول الأول لعموم قوله تعالى ﴿ ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد ﴾(٤).

فإن قيل : هل خص الله في كتابه العزيز أعمال بعض الناس بالكتابة ؟

أقول : قد جاء في القرآن الكريم ذكر كتابة أعمال بعض الناس ، لمزيد من الاهتمام بتلك الاعمال التي عملوها ، علمًا بأنهم داخلون في الأدلة العامة السابقة .

وهؤلاء على النحو التالي :

١- الكهف ٤٩.

٢- انظر تفسير القرطبي ١١/١٧. ومجموع فتاوى ابن تيمية ٤٩/٧. وتفسير ابن كثير ٢٢٥/٤.

٣- انظر المصدر السابق.

٤- ق ١٨. وانظر مجموع فتاوى شيخ الإسلام ٤٩/٧. وتفسير ابن كثير ٢٢٥/٤.

ونجواهم بلى ورسلنا لديهم يكتبون ﴾(١).

٣ـ وقوله تعالى ﴿ وكل شيء فعلوه في الزبر وكل صغير وكبير مستطر ﴾(٢).

معاني المفردات :
الزبر : كتب الأعمال ، التي بأيدي الملائكة(٣).
مستطر : مسطر ومكتوب في اللوح المحفوظ(٤).

٤ـ وقوله تعالى ﴿ كلا بل تكذبون بالدين وإن عليكم لحفظين كرامًا كتبين يعلمون ما تفعلون ﴾(٥).

المعنى :
بين الله سبحانه وتعالى في هذه الآيات أن الملائكة الكرام الموكلون بكتابة أعمال الكفار يكتبون كل شيء من أعمالهم في صحف الأعمال سواء كان هذا العمل تكذيبا، أو استهزاء، أو ما يسره بعضهم لبعض ويتناجون به، أو أي عمل عملوه فإن الملائكة تكتبه وتحفظه في صحف الأعمال إلى يوم القيامة ليعاقبوا عليه بما يستحقون من العذاب الذي أعده الله لهم في نار جهنم .

ثالثا : اليهود

قال تعالى ﴿ لقد سمع الله قول الذين قالوا إن الله

١ـ الزخرف ٨٠.
٢ـ القمر ٥٢ـ٥٣.
٣ـ انظر تفسير ابن كثير ٢٦٩/٤. وروح المعاني ٩٥/٢٧.
٤ـ انظر تفسير البيضاوي ٤٥٠/٢. وصديق حسن خان ٢١٤/٩.
٥ـ الانفطار ٩ـ١٢.

نقير ونحن أغنياء سنكتب ما قالوا وقتلهم الأنبياء بغير حق ونقول ذوقوا عذاب الحريق ﴾(١).

المعنى :

يخوف الله سبحانه وتعالى في هذه الآية اليهود الذين قالوا: إن الله فقير ونحن أغنياء . وذلك لأن الله دعا إلى الصدقة ورغب فيها فقالت اليهود: لو كان الله غنيا ما استقرضنا. تعالى الله عن قولهم علوًا كبيرًا .

فيقول الله لهم ﴿ سَنَكْتُب ما قالوا وقتلَهم الأنبياء ﴾(٢) وهذه قراءة الجمهور أي : سنأمر الملائكة بكتابة هذا القول وكتابة قتلَهم الأنبياء .

ويؤيد هذا المعنى قراءة حمزة ﴿ سيُكْتَب ما قالوا وقتلُهم ﴾ مبنيا للمجهول(٣).

أي : ستكتب الملائكة ما قالوه في الله تعالى وما عاملوا به رسل الله عليهم السلام حيث قتلوهم بغير حق(٤) وسيحاسبون على ذلك يوم القيامة .

فإن قيل : ما الحكمة من كتابة أعمال اليهود الذين كانوا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم علمًا بأنهم لم يقتلوا أحداً من الأنبياء .

قيل له : لما كان هؤلاء اليهود راضين بفعل أسلافهم من قتل الأنبياء ، وكانوا على منهجهم من استحلال ذلك واستجازته أضاف الله فعل أولئك إلى هؤلاء الذين رضوا بذلك الطريق

١- آل عمران ١٨١.
٢- آل عمران ١٨١.
٣- انظر حجة القراءات ١٨٤-١٨٥. والمهذب ١/١٤٥.
٤- انظر تفسير القرطبي ٤/٢٩٤. والشوكاني ١/٤٠٦.

واستحسنوه لأنهم أهل ملة واحدة(١) ولذلك حاول اليهود قتل النبي صلى الله عليه وسلم مرارًا ، ولكن الله عصمه منهم .

رابعا : كفار قريش

قال تعالى ﴿ وجعلوا الملٰئكة الذين هم عبٰد الرحمٰن إنٰثا أشهدوا خلقهم ستكتب شهٰدتهم ويسٔلون ﴾(٢).

المعنى :

يخبر الله عز وجل عن كفار قريش الذين قالوا إن الملائكة بنات الله. سبحانه وتعالى عن ذلك فإنه لم يلد ولم يولد. والملائكة إنما هم عباد مكرمون وخلق من خلق الله عز وجل لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون .

وينكر الله عليهم هذا القول إنكارًا عظيما بصيغة الاستفهام الإنكاري فيقول : أشهد هؤلاء الكفار خلق الملائكة حتى يقولوا هذا القول. ثم أخبر أن شهادة هؤلاء الكفار وقولهم هذا القول الشنيع على الله وملائكته ستكتبه الملائكة، وسيسألون عنه يوم القيامة .

خامسا : العاص بن وائل السهمي(٣).

قال تعالى ﴿ أفرءيت الذى كفر بٔايٰتنا وقال لأوتين مالاً وولداً أطلع الغيب أم اتخذ عند الرحمٰن عهدا كلا سنكتب ما

١- انظر تفسير الطبري ٤٤٦/٧، تحقيق شاكر.

٢- الزخرف ١٩.

٣- هو العاص - أو العاصي - بن وائل بن هشام السهمي . أحد سادة قريش، أدرك الإسلام واستمر على الشرك. وكان من المستهزئين بالنبي صلى الله عليه وسلم . وهو أبو عمرو بن العاص فاتح مصر. توفي بالأبواء بين مكة والمدينة . وانظر جمهرة أنساب العرب ١٦٣و ١٦٥. والأعلام ٢٤٧/٣.

يقول ونمد له من العذاب مداً ونرثه ما يقول ويأتينا فرداً ﴾(١).

سبب النزول :

ثبت في الصحيحين عن خباب(٢) رضي الله عنه قال :

" كنت قينا بمكة فعملت للعاصي بن وائل السهمي سيفا فجئت أتقاضاه. فقال: لا أعطيك حتى تكفر بمحمد. قلت : لا أكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم حتى يميتك الله ثم يحييك. قال : إذا أماتني الله ثم بعثني ولي مال وولد. فأنزل الله ﴿ أفرءيت الذى كفر بأيتنا وقال لأوتين مالاً وولداً أطلع الغيب أم اتخذ عند الرحمٰن عهداً ﴾(٣).

معاني المفردات :

عهدا : موثقا(٤).

نمد له من العذاب : أي نزيده عذاباً فوق العذاب(٥).

نرثه ما يقول : أي يرث الله أمواله وأولاده بعد إهلاكه إياه. ويوم القيامة يحشر فردا بدون مال ولا ولد(٦).

المعنى :

يقول الله عز وجل أخبرني يا محمد عن شأن هذا الكافر الذي قال : لأعطين في الآخرة مالا وولدا. هل اطلع

١- مريم ٧٧-٨٠.
٢- هو أبو عبد الله خباب بن الارت بن جندلة التميمي . كان من السابقين إلى الإسلام . وشهد المشاهد كلها مع النبي صلى الله عليه وسلم . وتوفي بالكوفة عام ٣٧، وصلى عليه علي رضي الله عنهما. وانظر الطبقات الكبرى ٣/١٦٤-١٦٧. والسير ٢/٣٢٣-٣٢٥.
٣- مريم ٧٧-٧٨. والحديث أخرجه البخاري ٥/٢٣٧. ومسلم ٤/٢١٥٣.
٤- انظر صحيح البخاري ٥/٢٣٧. وتفسير ابن كثير ٣/١٣٦.
٥- انظر تفسير البغوي ٣/٢٠٨. والقرطبي ١١/١٤٨.
٦- انظر تفسير القرطبي ١١/١٤٨. والشوكاني ٣/٣٤٩.

الغيب وعلم أن هذا مقدر له ، أم أخذ عهدا من الله عز وجل بأن يعطيه المال والولد . لأن هذه جرأة شنيعة في حق الله عز وجل. فلذلك جيء بحرف الردع والزجر ﴿ كلا ﴾. ليرتدع وينزجر عن مثل هذا الكلام.

ثم أخبر تعالى أن الملائكة ستكتب جميع ما قاله ثم يوم القيامة يجدها ماثلة أمامه في كتابه . وسيزاد عليه العذاب زيادة عظيمة . وسيهلكه الله ويبقى ماله وأولاده ، أو أن ما تمناه في الآخرة من المال والولد سيؤخذ منه ويعطى غيره لأن كل كافر يرى يوم القيامة مقعده من الجنة ويقال له : هذا مكانك لو آمنت. وسيأتي يوم القيامة للحساب منفردا لا مال ولا أهل ولا ولد . وهذا تكذيب لدعواه المال والولد يوم القيامة .

سادسا : المنافقون

قال تعالى ﴿ ويقولون طاعة فإذا برزوا من عندك بيت طايفة منهم غير الذى تقول والله يكتب ما يبيتون فأعرض عنهم وتوكل على الله وكفىٰ بالله وكيلاً ﴾(١).

معاني المفردات :

طاعة : أي لك منا طاعة فيما تأمرنا وتنهانا عنه(٢).

برزوا من عندك : أي خرجوا وتواروا عنك(٣).

١- النساء ٨١.

٢- انظر تفسير الطبري ٥٦٢/٨ تحقيق شاكر. وأبي السعود ٢٠٧/١.

٣- انظر تفسير ابن كثير ٥٣٠/١. والبيضاوي ٢٢٧/١.

بيت : التبييت هو : الأمر يدبر ليلاً(١).

المعنى :

ذكر الله سبحانه وتعالى في هذه الآية حال المنافقين حينما يأمرهم النبي صلى الله عليه وسلم بأمر من الأمور أو ينهاهم عنه فيقولون أمرك مطاع لا نخالفه فإذا خرجوا من عنده صلى الله عليه وسلم وتواروا عنه بدلوا ما كانوا عاهدوه عليه من الطاعة والقبول لما يأمرهم به أو ينهاهم عنه كما قال تعالى ﴿ وإذا لقوا الذين ءامنوا قالوا ءامنا وإذا خلوا إلىٰ شيٰطينهم قالو إنا معكم إنما نحن مستهزءون ﴾(٢). فهددهم الله بقوله ﴿والله يكتب ما يبيتون ﴾(٣) أي يأمر الملائكة بكتابة ما يدبرونه ليلاً حتى يعرض عليهم يوم القيامة وتقوم عليهم الحجة وأما في هذه الحياة الدنيا فاتركهم لأن الله سيمهلهم قال تعالى ﴿الله يستهزىء بهم ويمدهم فى طغيٰنهم يعمهون﴾(٤) ثم يأخذهم أخذ عزيز مقتدر .

١ـ انظر تفسير الطبري ٥٦٢/٨، تحقيق شاكر . وصديق حسن خان ٣٢٨/٢.
٢ـ البقرة ١٤.
٣ـ النساء ٨١.
٤ـ البقرة ١٥.

المبحث الثاني : الحكمة من كتابة الأعمال .

مما لا جدال فيه أن الله عالم بكل شيء لأنه لا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء قال تعالى ﴿ إن الله لا يخفىٰ عليه شىء فى الأرض ولا فى السماء ﴾(١) فإذا قال قائل: ما الحكمة إذا من كتابة الملائكة للأعمال ؟

أجيب : بأن لكتابة الأعمال حكمًا عظيمة وهي :

١ـ أن يَعْلَم العبادُ أن عليهم رقباء يراقبونهم في جميع تقلباتهم ، ويسجلون عليهم كافة أفعالهم وأقوالهم . كما قال تعالى ﴿ ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد ﴾(٢). وقال ﴿إن رسلنا يكتبون ما تمكرون ﴾(٣). فإذا علم الإنسان بهذه الكتابة كف عن فعل المحرمات والمنكرات ، واستقام على طاعة الله عز وجل .

٢ـ أن هذا الكتاب يكون حجة لابن آدم يوم القيامة أو عليه فيحاسب على ما في كتابه إن خيرا فخير وإن شرا فشر قال تعالى ﴿ وكل إنسٰن ألزمنٰه طٰئره فى عنقه ونخرج له يوم القيٰمة كتٰبا يلقٰه منشورًا اقرأ كتٰبك كفىٰ بنفسك اليوم عليك حسيبًا ﴾(٤).

٣ـ أن هذا الكتاب يعرض يوم القيامة على رؤس الأشهاد . فمن أخذ كتابه بيمينه فإنه يفرح ويستبشر . قال تعالى ﴿ فأما من أوتى كتٰبه بيمينه فيقول هاؤم اقرءوا كتٰبيه إنى ظننت

١ـ آل عمران ٥.
٢ـ ق ١٨.
٣ـ يونس ٢١.
٤ـ الإسراء ١٣ـ ١٤.

أنى ملق حسابيه ﴾(١).

ومن أخذ كتابه بشماله فسوف يدعو بالويل والثبور .
قال تعالى ﴿ وأما من أوتى كتٰبه بشماله فيقول يٰليتنى لم أوت كتٰبيه ولم أدر ما حسابيه يٰليتها كانت القاضية ما أغنىٰ عنى ماليه هلك عنى سلطٰنيه ﴾(٢).

٤ـ أن المؤمن إذا مات وضع كتابه في عليين ، فيشهده المقربون من الملائكة فيثنون على أصحابها . ويعلو ذكرهم عند الله . قال تعالى ﴿ كلا إن كتٰب الأبرار لفى عليين وما أدرٰك ما عليون كتٰب مرقوم يشهده المقربون ﴾(٣).

وأما الكافر إذا مات فإن كتابه يوضع في سجين في أسفل سافلين ـ مكان ضيق جداـ فيزداد حسرة وهمًا قال تعالى ﴿ كلا إن كتٰب الفجار لفى سجين وما أدرٰك ما سجين كتٰب مرقوم ويل يومئذ للمكذبين ﴾(٤).

٥ـ عظم قدرة الله تعالى حيث أن الملائكة يكتبون جميع أعمال الناس، ولا يتركون صغيرة ولا كبيرة إلا كتبوها . فإذا كانت هذه صفة خلق من خلق الله فإن الخالق أولى بالكمال فلا يفوته شيء ولا يخفى عليه شيء من أعمال بني آدم صغيرها وكبيرها فسبحان من لا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء .

١ـ الحاقة ١٩ـ٢٠.
٢ـ الحاقة ٢٥ـ٢٩.
٣ـ المطففين ١٨ـ٢١.
٤ـ المطففين ٧ـ١٠. وانظر الإيمان بالملائكة عليهم السلام ١٥٤ـ١٥٧، بتصرف.

الفصل الثامن : قيام الملائكة ببعض مصالح الإنسان الدنيوية.

وفيه مبحثان :

المبحث الأول : حفظ الملائكة للإنسان .

المبحث الثاني : سوق الملائكة السحاب .

وهذا تفصيل الكلام عن هذين المبحثين :

المبحث الأول : حفظ الملائكة للإنسان

سخر الله بعض ملائكته لحفظ بدن الإنسان من أن يصيبه شيء إلا ما قدره الله عليه في اللوح المحفوظ وهذا الحفظ جاء في القرآن الكريم على نوعين .

النوع الأول : حفظ الملائكة لجميع الناس .

١ـ قال تعالى ﴿وهو القاهر فوق عباده ويرسل عليكم حفظة حتىٰ إذا جاءأحدكم الموت توفته رسلنا وهم لا يفرطون﴾(١).

٢ـ وقال تعالى ﴿ له معقبٰت من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله ﴾(٢).

معاني المفردات :

معقبات : ملائكة تتعاقب بالليل والنهار . وسميت معقبات لأنها تعود مرة بعد مرة(٣) ويؤيد هذا ما ثبت في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ويجتمعون في صلاة الفجر وصلاة العصر . ثم يعرج الذين باتوا فيكم فيسألهم ربهم وهو أعلم بهم كيف تركتم عبادي ؟ فيقولون: تركناهم وهم يصلون وأتيناهم وهم يصلون "(٤).

وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " تفضل صلاة الجميع على

١ـ الأنعام : ٦١.
٢ـ الرعد ١١.
٣ـ انظر تفسير القرطبي ٢٩١/٩و٢٩٣. وابن كثير ٥٠٤/٢.
٤ـ أخرجه البخاري ١٧٧/٨. ومسلم ٤٣٩/١.

صلاة الرجل وحده خمسا وعشرين درجة . قال: وتجتمع ملائكة الليل وملائكة النهار في صلاة الفجر" قال أبو هريرة اقرأوا إن شئتم ﴿ وقرءان الفجر إن قرءان الفجر كان مشهوداً ﴾(١).

وأما من فسر المعقبات بحرس السلاطين والملوك(٢). فهو مخالف لعموم الآية لأن الله يقول ﴿ سواء منكم من أسر القول ومن جهر به ومن هو متسخف بالليل وسارب بالنهار له معقبٰت ﴾(٣) وهذا شامل لجميع الناس الذين أسروا القول أو جهروا به أو استخفوا بالليل أو ظهروا بالنهار، وليس خاصًا بالملوك والسلاطين.

ثم إنه مخالف للحديث السابق الذي بين فيه النبي صلى الله عليه وسلم تعاقب الملائكة في بني آدم .

من أمر الله : اختلف المفسرون في معناه على أربعة أقوال :

القول الأول : يحفظونه بأمر الله ، أو عن أمر الله من كل ما يضره، فإذا جاء قدر الله تخلوا عنه .

رواه الطبري عن ابن عباس ، ومجاهد ، وسعيد بن جبير ، وإبراهيم النخعي(٤)، وقتادة(٥).

١ـ الإسراء، ٧٨. والحديث أخرجه البخاري ١٥٩/١، ومسلم ٤٥٠/١.
٢ـ انظر تفسير ابن كثير ٥٠٤/٢. وأبي السعود ٩/٥.
٣ـ الرعد ١٠ـ ١١.
٤ـ هو إبراهيم بن يزيد بن قيس الاسود النخعي أبو عمران الكوفي، الفقيه ، ثقة إلا أنه يرسل كثيرًا . من الخامسة . مات سنة ٩٦. أخرج له الجماعة. وانظر التقريب ٩٥.
٥ـ انظر تفسير الطبري ٣٧٥/١٦ـ ٣٧٦، تحقيق شاكر. وابن كثير ٥٠٥/٢.

القول الثاني : يحفظون أعماله الحسنة والسيئة .

رواه الطبري عن ابن جريج(١).

القول الثالث : يحفظونه من ملائكة العذاب .

القول الرابع : يحفظونه من الجن(٢).

الترجيح :

الصحيح من الأقوال القول الأول وهو الذي يؤيده ظاهر الآية .

والقول الثالث والرابع تخصيص من عموم القول الأول بلا مخصص فالملائكة تحفظ الإنسان بأمر الله من جميع ما يضره من الجن ، ومن الأمراض ، ومن الوحوش فإذا قدر الله عليه شيئا تخلوا عنه فأصابه ذلك المرض، أو العدو ، أو الموت ، أو غير ذلك .

وأما القول الثاني فإنه صرف لظاهر الآية بدون قرينة إذ قوله تعالى ﴿ يحفظونه ﴾ أي الإنسان ولو أراد الأعمال لذكرها كما ذكرها في قوله ﴿إن رسلنا يكتبون ما تمكرون﴾(٣).

٣ـ وقال تعالى ﴿ إن كل نفس لمّا عليها حافظ ﴾(٤).

معاني المفردات:

١ـ انظر تفسير الطبري ٣٧٨/١٦، تحقيق شاكر.

٢ـ ذكر هذين القرطبي ٢٩٢/٩ ولم يعزهما لاحد .

٣ـ يونس ٢١.

٤ـ الطارق ٤.

لما : قرأ ابن عامر، وعاصم ، وحمزة ، وأبو جعفر ﴿لمَّا﴾ بتشديد الميم ، وتكون بمعنى إلا ، وإنْ نافية بمعنى ما أي : ما كل نفس إلا عليها حافظ.

وقرأ الباقون ﴿ لمَا ﴾ بتخفيف الميم ، وعلى أن ﴿إنْ﴾ مخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشأن محذوف ، واللام هي الفارقة ، و ﴿ ما ﴾ زائدة إعرابا ولكنها مقوية للمعنى ومؤكدة له.

ومعنى هذه القراءة : إن كل نفس لعليها حافظ(١).

المعنى :

يبين الله سبحانه وتعالى في هذه الآيات أنه سخر الملائكة لحفظ الإنسان من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله فيحفظونه من الأمراض ، والأعداء ، والوحوش ، والهوام ، والشياطين ، وغير ذلك مما يتعرض له الإنسان في هذه الحياة .

فإذا قدر الله عليه شيئا من هذه الأشياء أو غيرها خلت الملائكة بينه وبين قدر الله عز وجل ، فيصيبه ما قدره الله عليه .

النوع الثاني : حفظ الملائكة للرسل عليهم الصلاة والسلام .

لما كان الرسل عليهم الصلاة والسلام هم الذين يبلغون شرائع الله عز وجل إلى عباد الله تكفل الله بحفظهم من جميع الأعداء ، حتى يؤدوا الرسالة على أتم وجه. وفي هذا

١- انظر حجة القراءات ٧٥٨. والمغني في توجيه القراءات العشر المتواترة ٣/٣٦٠.

يقول جل وعلا ﴿ علم الغيب فلا يظهر علىٰ غيبه أحداً إلا من ارتضىٰ من رسول فإنه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصداً ليعلم أن قد أبلغوا رسٰلٰت ربهم وأحاط بما لديهم وأحصىٰ كل شيء عدداً ﴾(١).

معاني المفردات :

الغيب : ما غاب عن الخلق(٢).

رصدا : حرسًا وحفظة من الملائكة(٣).

من رسول : اختلف المفسرون في المراد بالرسول هنا على أربعة أقوال :

القول الأول : أنهم الرسل والأنبياء الذين أُرسلوا إلى أممهم. والنبي مرسل إلى قومه أي : مبعوث إليهم .

رواه الطبري عن ابن زيد . وقال به البغوي، والقرطبي، والرازي، والخازن(٤).

القول الثاني : أنه عام للرسول الملكي والبشري .

قاله ابن كثير(٥).

القول الثالث : أنه جبريل عليه السلام .

ذكره القرطبي عن سعيد بن جبير ، واستبعده(٦).

١- الجن ٢٦-٢٨.

٢- انظر تفسير الطبري ١٢١/٢٩. والقرطبي ٢٧/١٩.

٣- انظر تفسير أبي حيان ٣٥٥/٨. والقاسمي ٣١٥/١٦.

٤- انظر تفسير الطبري ١٢٢/٢٩. والبغوي ٤٠٦/٤. والقرطبي ٢٨/١٩. والرازي ١٦٨/٣٠. والخازن ١٦٣/٧.

٥- انظر تفسير ابن كثير ٤٣٤/٤.

٦- انظر تفسير القرطبي ٢٨/١٩.

القول الرابع : أنه النبي صلى الله عليه وسلم .
رواه الطبري من طريق العوفي عن ابن عباس(١).

الترجيح :
الذي يظهر من سياق الآيات أن الراجح هو القول الأول وأن المراد به جميع الأنبياء الذين أرسلوا إلى قومهم لقوله تعالى بعدها ﴿فإنه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصداً﴾(٢).

وأما من قال : بأنه جبريل، فهو قول مردود ، لأن جبريل محفوظ من قبل الله وليس من قبل شيء آخر .

ومع هذا فإن جبريل عليه السلام يعلم بالوحي الذي يأتي عن طريقه ولكن ليس هذا هو المقصود في الآية .

المعنى :
بين الله سبحانه وتعالى في هذه الآيات أنه هو الذي يعلم الغيب ولا يعلمه أحد سواه إلا من رضيه من الأنبياء الذين أرسلهم إلى قومهم فإنه يظهر لهم بعض المغيبات ليكون ذلك آية تدل على صدق رسالاتهم ، كأن يخبرهم ببعض الأمور المستقبلية التي ستحدث أو ما سيحدث يوم القيامة للمؤمنين من النعيم المقيم، وما سيحدث للكفار من العذاب الأليم.

فإذا أراد سبحانه وتعالى أن يبلغ أحدا من أنبيائه بأمر من أمور الغيب فإنه يجعل ملائكة تحرس هذا النبي

١- انظر تفسير الطبري ١٢٢/٢٩.
٢- الجن ٢٧.

وتحفظه من أن يصل إليه شيطان من شياطين الإنس أو الجن فينقل الوحي الذي أُوحِى إليه .

والحكمة من حفظ الملائكة للرسل بينها الله بقوله ﴿ليعلم أن قد أبلغوا رسٰلٰت ربهم ﴾(١) أي : ليُظهر سبحانه وتعالى علمه لخلقه بأن الأنبياء قد بلغوا ما أرسلهم الله به ، فتقوم الحجة على الناس بهذا البلاغ(٢).

١ـ الجن ٢٨.
٢ـ انظر تفسير ابن كثير ٤/٤٣٤. وأبي السعود ٩/٤٨.

المبحث الثاني : سوق الملائكة السحاب .

إن من أكبر نعم الله على الإنسان أن يُنزل عليه المطر فيشرب منه ، ويُنبت له جميع الزروع ، فتحيى به الأرض بعد موتها ، ويسلكه ينابيع في الأرض ، فتجري الأنهار ، وتمتلي الآبار كما قال تعالى ﴿ والله الذى أرسل الريٰح فتثير سحابًا فسقنٰه إلىٰ بلد ميت فأحيينا به الأرض بعد موتها كذٰلك النشور﴾(١).

وقال تعالى ﴿ ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فسلكه ينٰبيع فى الأرض ثم يخرج به زرعًا مختلفا ألوٰنه ﴾(٢).

وقد وكل الله بالسحاب ملائكة تسوقه حيث أراد سبحانه وتعالى .

وفي هذا يقول جل وعلا ﴿ فالزٰجرٰت زجرًا ﴾(٣).

معاني المفردات :

الزاجرات : اختلف المفسرون في المراد بها على أربعة أقوال :

القول الأول : أنها الملائكة تزجر السحاب وتسوقه حيث أراد الله تبارك وتعالى.

أخرجه الحاكم عن ابن مسعود (٤) ، والطبري عن مجاهد ، والسدي. واختاره الطبري(٥) ، والشوكاني(٦).

١- فاطر ٩.
٢- الزمر ٢١.
٣- الصافات ٢.
٤- أخرجه الحاكم ٤٢٩/٢، وصححه ووافقه الذهبي.
٥- انظر تفسير الطبري ٢٣- ٣٣- ٣٤.
٦- انظر تفسير الشوكاني ٣٨٦/٤.

القول الثاني : أنها آيات القرآن التي زجر الله بها ما زجر عنه في القرآن.

أخرجه الطبري عن قتادة(١) ، وابن كثير عن الربيع بن أنس ، وزيد بن أسلم(٢).

القول الثالث : أنهم الذين يزجرون الخيل في الجهاد(٣).

القول الرابع : أنهم العلماء لأنهم يزجرون أهل المعاصي(٤).

الترجيح :

إذا تأملنا الأقوال السابقة وجدنا القول الأول هو الراجح لما يأتي:

١ـ أنه قول الصحابي عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

٢ـ أن السياق يدل عليه . قال الطبري رحمه الله "والذي هو أولى بتأويل الآية عندنا ما قال مجاهد ، ومن قال هم الملائكة ، لأن الله تعالى ذكره ابتدأ القسم بنوع من الملائكة ـ وهم الصافون بإجماع من أهل التأويل ـ فلأن يكون الذي بعده قسمًا بسائر أصنافهم أشبه "(٥).

المعنى:

١ـ انظر تفسير الطبري ٣٤/٢٣.
٢ـ انظر تفسير ابن كثير ٣/٤.
٣ـ انظر تفسير البيضاوي ٢٨٩/٢، ولم يعزه لأحد .
٤ـ ذكره الشوكاني في تفسيره بصيغة التمريض ٣٨٦/٤.
٥ـ انظر تفسير الطبري ٣٤/٢٣.

بين الله سبحانه وتعالى في هذه الآية أنه وكل بالسحاب ملائكة تزجره لتسوقه حيث أراد الله سبحانه وتعالى. وبين هذا ما ثبت عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : أقبلت يهود إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا : يا أبا القاسم أخبرنا عن الرعد ما هو؟ قال: "ملك من الملائكة موكل بالسحاب معه مخاريق(١) من نار يسوق بها السحاب حيث شاء الله فقالوا: فما هذا الصوت الذي نسمع ؟ قال : زجره(٢) بالسحاب إذا زجره حتى ينتهي إلى حيث أُمِر ، قالوا : صدقت فأخبرنا عما حرم إسرائيل على نفسه ؟ قال : اشتكى عرق النَّسَا(٣) فلم يجد شيئا يلائمه إلا لحوم الإبل وألبانها فلذلك حرمها ، قالوا : صدقت "(٤).

فدل هذا الحديث على أن هناك ملائكة تدبر السحاب حيث شاء الله سبحانه وتعالى.

وليس بين هذا الحديث وبين ما يقال : بأن الرعد اصطكاك أجرام السحاب بعضها مع بعض بسبب انضغاط الهواء تعارض .

١- المخاريق : جمع مخراق. وهو : آلة تزجر بها الملائكة السحاب. وانظر النهاية ٣٦/٢.

٢- "زجره بالسحاب" هذا لفظ الترمذي ولفظ أحمد " قال صوته".

٣- النسا : مقصور بوزن عصا. وهو : عرق يخرج من الورك فيستبطن الفخذين، ثم يمر بالعرقوب. وانظر لسان العرب ٣٢١/١٥.

٤- أخرجه أحمد ٢٧٤/١. والترمذي ٢٩٤/٥، وقال : حسن غريب واللفظ له والنسائي في الكبرى كما في تحفة الأشراف ٣٩٤/٤. والطبراني في الكبير ٤٥/١٢ـ٤٦. وقال الهيثمي في المجمع ٢٤٥/٨: " رواه أحمد والطبراني ورجالهما ثقات. وصحح إسناده الشيخ أحمد شاكر في تحقيقه للمسند ١٦١/٤. وصححه الشيخ الألباني في صحيح سنن الترمذي ٦٥/٣.

وجمع بينهما شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله بقوله "إن الرعد مصدر رعد يرعد رعدا . وكذلك الراعد يسمى رعدا كما يسمى العادل عدلاً . والحركة توجب الصوت والملائكة هي التي تحرك السحاب ، وتنقله من مكان إلى مكان . وكل حركة في العالم العلوي والسفلي فهي عن الملائكة . وصوت الإنسان هو عن اصطكاك أجرامه الذي هو شفتاه ، ولسانه ، وأسنانه ، ولهاته ، وحلقه. وهو مع ذلك يكون مسبحًا للرب . وآمرًا بمعروف وناهيًا عن منكر . فالرعد إذا صوتٌ يزجر السحاب.

وكذلك البرق قد قيل : لمعان الماء أو لمعان النار ، وكونه لمعان النار أو الماء لا ينافي أن يكون اللامع مخراقا بيد الملك . فإن النار التي تلمع بيد الملك ، كالمخراق مثل مزجي المطر ، والملك يزجي السحاب كما يزجي السائق للمطي "(١).

وقد أضاف الله سبحانه وتعالى سوق السحاب إلى نفسه في بعض الآيات قال تعالى ﴿ وهو الذى يرسل الريٰح بشرًا بين يدى رحمته حتىٰ إذا أقلت سحابًا ثقالاً سقنٰه لبلد ميت فأنزلنا به الماء ﴾(٢).

وقال تعالى ﴿والله الذى أرسل الريٰح فتثير سحابًا فسقنٰه إلىٰ بلد ميت فأحيينا به الأرض بعد موتها كذٰلك

١- انظر مجموع فتاوى ابن تيمية ٢٤/٢٦٣-٢٦٤.
٢- الأعراف ٥٧.

النشور﴾(١).

والجمع بين هاتين الآيتين وآية الباب أن يقال : لا تعارض بين هذه الآيات فالله هو المدبر الحقيقي للسحاب وذلك بأمره الملائكة أن تسوقه حيث أراد سبحانه وتعالى ، والملائكة هي التي تباشر سوق السحاب تنفيذاً لأمر الله عز وجل .

ورئيس هؤلاء ميكائيل عليه السلام . ويدل لذلك ما أخرجه أحمد والترمذي أن اليهود قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم " جبريل ذاك الذي ينزل بالحرب والقتال والعذاب عدونا ، لو قلت : ميكائيل الذي ينزل بالرحمة والنبات والقطر ... "(٢).

وأخرج أبو الشيخ عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه سأل جبريل " على أي شيء ميكائيل ؟ قال : على النبات والقطر"(٣).

١- فاطر ٩.
٢- أخرجه أحمد ٢٧٤/١ والترمذي ٢٩٤/٥ وهو حديث صحيح وانظر ص ٧٤.
٣- أخرجه أبو الشيخ ٧٠١/٢، وذكرله المحقق شواهد يصل بها إلى درجة الحسن.

الباب الثاني : علاقة الملائكة بالإنسان في الآخرة

وفيه أربعة فصول :

الفصل الأول : وفاة الملائكة للإنسان ، ونعيم القبر وعذابه .

الفصل الثاني : نفخ الملك في الصور .

الفصل الثالث : موقف الملائكة من الإنسان يوم القيامة.

الفصل الرابع : علاقة الملائكة بالإنسان في الجنة والنار .

وهذا تفصيل الكلام عن هذه الفصول حسب ترتيبها :

الفصل الأول : وفاة الملائكة للإنسان ، ونعيم القبر وعذابه

وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : الملائكة الموكلون بقبض روح الإنسان.

المبحث الثاني : وفاة الملائكة للمؤمنين ، وتنعيمهم لهم في القبور .

المبحث الثالث : وفاة الملائكة للكفار ، وتعذيبهم لهم في القبور .

المبحث الأول : الملائكة الموكلون بقبض روح الإنسان .

وكل الله سبحانه وتعالى بعض ملائكته لقبض أرواح بني آدم . وجاء ذلك في عدة مواضع من القرآن الكريم ومن ذلك :

١ـ قوله تعالى ﴿ حتىٰ إذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا وهم لا يفرطون ﴾(١).

٢ـ وقوله تعالى ﴿ ولو ترىٰ إذ يتوفى الذين كفروا الملٰئكة يضربون وجوههم وأدبٰرهم وذوقوا عذاب الحريق ﴾(٢).

٣ـ وقوله تعالى ﴿ قل يتوفٰكم ملك الموت الذى وكل بكم ثم إلىٰ ربكم ترجعون ﴾(٣).

المعنى :

من هذه الآيات يتضح لنا أن الله سبحانه وتعالى وكل ملائكة لقبض أرواح الخلق.

وذكر الله تعالى في الآيتين الأوليين جمعًا من الملائكة الذين يرسلهم لقبض روح الإنسان . وذكر في الآية الثالثة أنه ملك واحد فقط. وفي آية أخرى أسند الوفاة إلى نفسه . قال تعالى ﴿ الله يتوفى الأنفس حين موتها ﴾(٤).

والجمع بين الآيات أن يقال :

١ـ الأنعام ٦١.
٢ـ الأنفال ٥٠.
٣ـ السجدة ١١.
٤ـ الزمر ٤٢.

إن الله أضاف التوفي إلى نفسه سبحانه وتعالى لأنه هو الذي يأذن لملك الموت بقبض أرواح الناس قال تعالى ﴿ وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله كتبًا مؤجلًا ﴾(١). وأضاف التوفي لملك الموت لأنه هو الذي يباشر قبض الأرواح . وأضافه للملائكة لأن لملك الموت أعوانًا من الملائكة تحت رئاسته(٢).

فإن قيل : ما اسم ملك الموت؟

أقول بالبحث لم أجد له ـ في الكتاب ولا في السنة ـ غير اسم ملك الموت:

فمن الكتاب قوله تعالى ﴿ قل يتوفاكم ملك الموت الذى وكل بكم ﴾(٣).

ومن السنة ما ثبت في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " جاء ملك الموت إلى موسى عليه السلام. فقال له : أجب ربك . قال: فلطم موسى عليه السلام عين ملك الموت ، ففقأها. قال: فرجع الملك إلى الله تعالى . فقال: إنك أرسلتني إلى عبد لك لا يريد الموت، وقد فقأ عيني . قال: فرد الله إليه عينه. وقال: ارجع إلى عبدي فقل: الحياة تريد؟ فإن كنت تريد الحياة فضع يدك على متن ثور فما توارت يدك من شعرة، فإنك تعيش بها سنة . قال: ثم مه؟ قال: ثم تموت. قال: فالآن من قريب ، رب امتني من الأرض المقدسة رمية بحجر . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "والله لو أني عنده لأريتكم قبره إلى

١ـ آل عمران ١٤٥.

٢ـ انظر تفسير القرطبي ٦/٧. وشرح الطحاوية ٣٩٠ـ٣٩١. ودفع إيهام الاضطراب ٢٣٦.

٣ـ السجدة ١١.

جانب الطريق ، عند الكثيب(١) الأحمر"(٢).

وقال بعض العلماء : أن اسمه عزرائيل .

وممن ذكر هذا الاسم الإمام القرطبي ، وشيخ الإسلام ابن تيمية ، والشوكاني(٣) واستدل من قال بهذا القول بما رُوي عن وهب بن منبه(٤) وأشعث بن شعيب(٥) أنهما سمياه بعزرائيل.

وقال ابن كثير " وقد سمي في بعض الآثار بعزرائيل وهو المشهور قاله قتادة(٦)

وقال الشيخ الشنقيطي " وقد جاء في بعض الآثار أن اسمه عزرائيل "(٧).

الترجيح :

الأولى أن يُسمى ملك الموت وفقا لما جاء في الكتاب

١- هو الرمل المستطيل المحدودب . وانظر شرح النووي لمسلم ١٥/١٢٨.

٢- أخرجه البخاري ٤/١٣٠-١٣١. ومسلم ٤/١٨٤٢-١٨٤٣، موقوفا ومرفوعا.

٣- انظر تفسير القرطبي ١٤/٩٣. ومجموع فتاوى شيخ الإسلام ١٦/٣٤. وتفسير الشوكاني ٤/٢٥٠.

٤- هو وهب بن منبه بن كامل اليماني . روى عن أبي هريرة ، وابن عباس ، وابن عمر . وعنه ابناه عبد الله ، وعبد الرحمن . توفي سنة ١١٣ تقريبا. وانظر سير أعلام النبلاء ٤/٥٤٤-٥٥٧. والتهذيب ١١/١٦٦-١٦٨. والأثر رواه أبو الشيخ في العظمة ٣/٩٠٠، من طريق محمد بن إبراهيم بن العلاء ، وهو منكر الحديث . كما قال الحافظ في التقريب ٤٦٦.

٥- قال الغزالي في الإحياء ٤/٤٩٦. والسيوطي في الحبائك ٤٢ "أشعث بن أسلم" . وقال السيوطي في الدر (٦/٥٤٢) "أشعث بن شعيب" . ولم أجد له ترجمة فيما تيسر لي . والأثر أخرجه أبو الشيخ في العظمة ٣/٩٠٩، من طريق "حكام بن سلم الكناني" قال عنه الحافظ في التقريب ١٧٤ : "ثقة له غرائب" . وذكره السيوطي في الدر ٦/٥٤٢، وعزاه إلي ابن أبي الدنيا ، وأبي الشيخ.

٦- انظر تفسير ابن كثير ٣/٤٥٩.

٧- انظر أضواء البيان ٦/٥٠٤.

والسنة ، وليسعنا ما سماه به ربنا سبحانه وتعالى ، ونبينا محمد صلى الله عليه وسلم الذي كان يسمي جبريل ، وميكائيل ، وإسرافيل . عليهم السلام بأسمائهم.

ففي صحيح مسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا قام من الليل افتتح صلاته "اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل ، فاطر السموات والأرض ، عالم الغيب والشهادة ، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون . اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك ، إنك تهدي من تشاء إلى صراط مسقيم "(١).

١- انظر صحيح مسلم ٥٣٤/١.

المبحث الثاني : وفاة الملائكة للمؤمنين وتنعيمهم لهم في القبور.

إذا أراد الله سبحانه وتعالى قبض روح عبده المؤمن، وجاءت ساعة الاحتضار . فإن الملائكة تنزل عليه لتطمئنه مما أمامه من الأهوال ، وأن لا يحزن على ما ترك في الدنيا من الأولاد والأقارب والأموال . وكما تولته الملائكة في الدنيا بالنصرة والتأييد والحفظ ، فكذلك تتولاه في الآخرة في القبر ويوم يقوم الأشهاد.

وفي هذا يقول تبارك وتعالى ﴿ إن الذين قالو ربنا الله ثم استقموا تتنزل عليهم الملئكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التى كنتم توعدون نحن أولياؤكم فى الحيوة الدنيا وفى الأخرة ولكم فيها ما تشتهى أنفسكم ولكم فيها ما تدعون ﴾(١).

معاني المفردات :

استقاموا : اعتدلوا على طاعة الله قولا وعملاً واعتقاداً حتى الموت(٢).

تتنزل عليهم الملائكة : اختلف المفسرون في وقت هذا التنزل على ثلاثة أقوال:

القول الأول : أنه عند الموت ، وفي القبر ، وحين البعث .

١- فصلت ٣٠-٣١.

٢- وهذا المعنى شامل لما قيل في الآية . وانظر تفسير القرطبي ٣٥٨/١٥.

وهذا قول زيد بن أسلم(١) ، وابنه عبد الرحمن ، ووكيع(٢).

القول الثاني : أنه عند الموت .
رواه ابن جرير عن مجاهد ، والسدي(٣).

القول الثالث : أنه يوم القيامة حينما يخرجون من قبورهم .
رواه ابن جرير عن ابن عباس(٤).

الترجيح :
إذا تأملنا هذه المسألة وجدنا كل ما قيل فيها صحيحاً بيد أن في كل من القول الثاني ، والثالث تخصيصاً بدون مخصص . فيبقى القول الأول على عمومه وشاملاً للقولين الآخرين قال ابن كثير رحمه الله "وهذا القول - يعني القول الأول - يجمع الأقوال كلها ، وهو حسن جدا ، وهو الواقع"(٥).

١- هو زيد بن أسلم العدوي المدني . روى عن أبيه ، وأبي هريرة ، وعائشة، وجابر ، وغيرهم. وعنه ابنه عبد الرحمن ، ومالك ، وابن جريج ، وغيرهم. وكان ثقة عالما بالتفسير . توفي عام ١٣٦. وانظر تهذيب التهذيب ٣٩٥/٣-٣٩٧. وطبقات المفسرين ١٨٢/١-١٨٣.
٢- هو : وكيع بن الجراح بن مَلِيح الرؤاسي. أبو سفيان الكوفي. روى عن أبيه ، والأعمش ، والأوزاعي ، ومالك. وعنه أحمد ، وإسحاق ، وأبناء أبي شيبة، وغيرهم . توفي عام ١٩٦، أو ١٩٧. وانظر سير أعلام النبلاء ١٤٠/٩-١٦٨. وتهذيب التهذيب ١٢٣/١١-١٣١، وانظر تفسير القرطبي ٣٥٩/١٥. وابن كثير ١٠٠/٤.
٣- انظر تفسير الطبري ١١٦/٢٤.
٤- انظر تفسير الطبري ١١٦/٢٤.
٥- انظر تفسير ابن كثير ١٠٠/٤.

وقد ذكر الله في كتابه العزيز أن الملائكة تقبض أرواح المؤمنين وتنعمهم في قبورهم :

١ـ قال تعالى ﴿ يثبت الله الذين ءامنوا بالقول الثابت فى الحيوٰة الدنيا وفى الأخرة ﴾(١).

والتثبيت في الآخرة يدخل فيه التثبيت في القبر لما ثبت في الصحيحين عن البراء بن عازب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ﴿يثبت الله الذين ءامنوا بالقول الثابت ﴾ قال: نزلت في عذاب القبر فيقال له : من ربك ؟ فيقول : ربي الله ونبيي محمد صلى الله عليه وسلم فذلك قوله عز وجل ﴿ يثبت الله الذين ءامنوا بالقول الثابت فى الحيوٰة الدنيا وفى الأخرة ﴾(٢).

٢ـ وقال سبحانه وتعالى ﴿ الذين تتوفٰهم الملٰئكة طيبين يقولون سلٰم عليكم ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون ﴾(٣).

معاني المفردات :

تتوفاهم : اختلف القراء في قراءة ﴿ تتوفٰهم ﴾ .

فقرأ حمزة ، وخلف : ﴿ يتوفٰهم ﴾ بالتذكير .

وقرأ الباقون : ﴿ تتوفٰهم ﴾ بالتأنيث.

وجاز تذكير الفعل وتأنيثه لأن الفاعل مؤنث غير حقيقي(٤).

طيبين : طاهرين من الشرك والمعاصي(٥).

١ـ إبراهيم ٢٧.
٢ـ إبراهيم ٢٧. والحديث أخرجه البخاري ١٠١/٢. ومسلم ٢٢٠١/٤، واللفظ له.
٣ـ النحل ٣٢.
٤ـ انظر النشر ٣٠٣/٢. والبدور الزاهرة ١٧٦. والمهذب ٣٦٨/١.
٥ـ انظر تفسير الطبري ١٠١/١٤. وابن كثير ٥٦٩/٢.

منزلة من المقربين . وسموا بهذا الاسم : لأنه يؤخذ بهم ذات اليمين(١).

فسلام لك من أصحاب اليمين : اختلف المفسرون في معنى الآية على أربعة أقوال:

القول الأول : أي مسلم لك أنك من أصحاب اليمين ، وألغيت "إن" وبقي معناها كما تقول : أنت مصدّق مسافر عن قليل ، إذا كان قد قال : إني مسافر عن قليل ، أو هو كالدعاء له كقولك : سقيا لك من الرجال .

وهذا قول الفراء. واختيار البخاري في صحيحه ، والطبري(٢).

القول الثاني : إن الملائكة تبشره ، حيث إنها تسلم عليه وتقول : أنت إلى سلامة . فيكون مثل قوله تعالى ﴿ إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التى كنتم توعدون ﴾(٣).

قاله قتادة ، وعكرمة ، وابن زيد ، واستحسنه ابن كثير(٤).

القول الثالث : سلامة لك يا محمد منهم ، فلا تهتم لهم، فإنهم سلموا من عذاب الله ، أو أنك ترى فيهم ما تحب من السلامة(٥).

١- وانظر تفسير ابن كثير ٢٨٣/٤و ٢٨٩. والشوكاني ١٤٨/٥، حيث ذكرا أقوالا كثيرة في علة هذه التسمية.

٢- انظر معاني القرآن ١٣١/٣. وفتح الباري ٦٢٥/٨. وتفسير الطبري ٢١٣/٢٧.

٣- فصلت ٣٠.

٤- انظر تفسير الطبري ٢١٣/٢٧. وابن كثير ٣٠٢/٤.

٥- انظر تفسير البغوي ٢٩١/٤. والقرطبي ٢٣٣/١٧.

القول الرابع : سلام لك يا صاحب اليمين من إخوانك أصحاب اليمين(١).

والذي يظهر لي أن هذه الأقوال محتملة للآية ولم أجد ما يرجح بعضها على بعض.

٤ـ قال تعالى ﴿ كلا إن كتٰب الأبرار لفى عليين وما أدرٰلك ما عليون كتٰب مرقوم يشهده المقربون ﴾(٢).

عليين : مأخوذ من العلو . وهو الجنة ، أو فوق السماء السابعة عند سدرة المنتهى(٣).

وفي حديث البراء بن عازب يقول الله عز وجل "اكتبوا كتاب عبدي في عليين "(٤).

المعنى :

ذكر الله في الآيات السابقة قبض الملائكة لأرواح المؤمنين ، وما يلاقونه من النعيم العظيم في قبورهم .

وقد تكفل النبي صلى الله عليه وسلم ببيان ذلك في حديث البراء بن عازب رضي الله عنه حيث قال : خرجنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في جنازة رجل من الأنصار ، فانتهينا إلى القبر ، ولما يلحد . فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وجلسنا حوله وكأن على رؤسنا الطير ، وفي يده عود ينكت في الأرض ، فرفع رأسه فقال: " استعيذوا بالله من

١ـ انظر فتح البيان ٢٨١/٩. وروح المعاني ١٦٠/٢٧.
٢ـ المطففين ١٨ـ٢١.
٣ـ انظر كتاب الروح ١٤٥. وتفسير ابن كثير ٤٨٧/٤.
٤ـ سيأتي بتمامه في الشرح.

عذاب القبر " مرتين أو ثلاثا . ثم قال : " إن العبد المؤمن إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة نزل إليه ملائكة من السماء بيض الوجوه كأن وجوههم الشمس ، معهم كفن من أكفان الجنة ، وحنوط من حنوط الجنة. حتى يجلسوا منه مد البصر. ثم يجيء ملك الموت عليه السلام حتى يجلس عند رأسه فيقول: أيتها النفس الطيبة اخرجي إلى مغفرة من الله ورضوان . قال: فتخرج تسيل كما تسيل القطرة من في السقاء ، فيأخذها فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين حتى يأخذوها فيجعلوها في ذلك الكفن ، وفي ذلك الحنوط. ويخرج منها كأطيب نفحة مسك وجدت على وجه الأرض . قال: فيصعدون بها ، فلا يمرون - يعني بها - على ملاء من الملائكة إلا قالوا : ما هذا الروح الطيب ؟ فيقولون: فلان بن فلان . بأحسن أسمائه التي كانوا يسمونه بها في الدنيا . حتى ينتهوا إلى السماء الدنيا . فيستفتحون له فيُفتح لهم . فيشيعه من كل سماء مقربوها إلى السماء التي تليها. حتى ينتهى به إلى السماء السابعة . فيقول الله عز وجل : اكتبوا كتاب عبدي في عليين، وأعيدوه إلى الأرض . فإني منها خلقتهم وفيها أعيدهم ، ومنها أخرجهم تارة أخرى . قال : فتعاد روحه في جسده . فيأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له : من ربك ؟ فيقول : ربي الله . فيقولان له : ما دينك ؟ فيقول : ديني الإسلام . فيقولان له : ما هذا الرجل الذي بعث فيكم ؟ فيقول: هو رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقولان له : وما علمك فيقول : قرأت كتاب الله فآمنت به ، وصدقت . فينادي مناد من السماء أن صدق عبدي . فأفرشوه من الجنة ، وألبسوه من الجنة، وافتحوا له بابا إلى الجنة . قال: فيأتيه من روحها وطيبها ويفسح له في قبره مد بصره . قال: ويأتيه رجل حسن الوجه حسن الثياب طيّب الرائحة فيقول: أبشر بالذي يسرك

هذا يومك الذي كنت توعد فيقول له : من أنت فوجهك الوجه يجيء بالخير . فيقول : أنا عملك الصالح . فيقول : رب أقم الساعة حتى أرجع إلى أهلي ومالي .... " الحديث(١).

وفي الصحيحين عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " إن العبد إذا وضع في قبره ، وتولى عنه أصحابه . وإنه ليسمع قرع نعالهم أتاه ملكان فيقعدانه فيقولان : ما كنت تقول في هذا الرجل ـ لمحمد صلى الله عليه وسلم ـ فأما المؤمن فيقول : أشهد أنه عبد الله ورسوله . فيقال له : انظر إلى مقعدك من النار قد أبدلك الله به مقعداً من الجنة فيراهما جميعًا ... "(٢).

فدلت هذه الآيات والحديثان على أن الملائكة إذا جاءت لنزع روح المؤمن فإنها تسلم عليه وتبشره بالجنة التي كان يوعد . ثم تقبض روحه بكل رفق وسهولة، ثم تصعد بها إلى السماء . وتسألهم الملائكة التي بين السماء والأرض عن اسم

١ـ أخرجه أحمد ٢٨٧/٤ـ٢٨٨، واللفظ له . وأبو داود ١١٤/٥ـ١١٥. وابن أبي شيبة ٣٨٠/٣ـ٣٨٢. وعبد الله بن أحمد في السنة ٦٠٣/٢ـ٦٠٤. وابن منده في الإيمان ٩٤٢/٣ـ٩٤٤، وقال : " هذا إسناد متصل مشهور رواه جماعة عن البراء" . وعبد الرزاق في مصنفه ٥٨٠/٣ـ٥٨٢. والآجري ٣٦٨ـ٣٧٠. والحاكم ٣٧/١ـ٤٠. وذكر له عدة طرق ، وصححه. وصححه ابن القيم في تهذيب السنن ١٣٩/٧ـ١٤١. وقال في كتاب الروح ٦٨ " هذا حديث ثابت مشهور مستفيض صححه جماعة من الحفاظ . ولا نعلم أحدا من أئمة الدين طعن فيه . بل رووه في كتبهم ، وتلقوه بالقبول ، وجعلوه أصلا من أصول الدين في عذاب القبر ونعيمه ..." ثم رد على من ضعفه . وذكره الهيثمي في المجمع ٥٢/٣ـ٥٣. وقال : "رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح" . وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود ٩٠٢/٣.

٢ـ أخرجه البخاري ١٠٢/٢. واللفظ له ومسلم ٢٢٠٠/٤ـ٢٢٠١. وعند الترمذي ٣٧٤/٢. وابن أبي عاصم ٤١٦/٢. أتاه ملكان أسودان أزرقان يقال لأحدهما منكر والآخر نكير ... " وساق الحديث وحسنه الألباني في السنة لابن أبي عاصم ٤١٧/٢.

صاحب هذه الروح فيسمونه بأحسن أسمائه في الدنيا . وتفتح لها ملائكة كل سماء أبوابها . ويشيعها من كل ملائكة سماء مقربوها ، حتى السماء السابعة . فيأمر اللهالملائكة أن تكتب كتاب هذا العبد الصالح في عليين . فيكتبوه كما أمرهم الله . ثم يعيدوا روحه إلى جسده في القبر بأمر الله تعالى . ثم يأتيه منكر ونكير ويسألاه عن ربه ودينه ونبيه ، ثم يرياه مقعده من النار لو كان كافرا. ثم يرياه مقعده من الجنة ، ويفرشا له من الجنة ، ويلبساه من الجنة، ويفتحا له بابًا إلى الجنة . ويبقى في هذه اللذة العظيمة إلى قيام الساعة .

المبحث الثالث : وفاة الملائكة للكفار ، وتعذيبهم لهم في القبور .

من يمعن النظر في القرآن الكريم يجد الكثير من الآيات القرآنية التي بينت كيفية توفي الملائكة للكفار وتعذيبهم لهم في قبورهم . ومن ذلك :

١- قوله تعالى ﴿ إن الذين توفّٰهم الملٰئكة ظالمى أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين فى الأرض قالوا ألم تكن أرض الله وٰسعة فتهاجروا فيها فأولٰئك مأوٰهم جهنم وساءت مصيرًا ﴾(١).

سبب نزول الآية :

أخرج البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : " أن ناسًا من المسلمين كانوا مع المشركين يكثرون سواد المشركين على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يأتي السهم يُرمى به فيصيب أحدهم فيقتله ، أو يُضرب فيقتل فأنزل الله ﴿ إن الذين توفّٰهم الملٰئكة ظالمى أنفسهم ... ﴾ الآية(٢).

معاني المفردات :

ظالمي أنفسهم : أي ظلموها بترك الهجرة مع قدرتهم عليها ، واختيارهم مجاورة الكفار(٣).

أما لو كانوا لا يستطيعون الهجرة لسبب من الأسباب فإن الله قد عذرهم بالآية التي بعدها وهي قوله تعالى ﴿ إلا المستضعفين من الرجال والنساء والولدٰن لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلًا ﴾(٤) أي لا يقدرون على التخلص من الكفار ، ولو قدروا ما عرفوا الطريق(٥). وقد أخرج البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال" : كانت أمي ممن عذر

١- النساء ٩٧.
٢- النساء ٩٧. وانظر صحيح البخاري ١٨٣/٥.
٣- انظر تفسير ابن عطية ٢٣٦/٤. وروح المعاني ١٢٥/٥.
٤- النساء ٩٨.
٥- انظر تفسير ابن كثير ٥٤٣/٢.

الله"(١).

فيم كنتم : في أي شيء كنتم من دينكم . أكنتم من المؤمنين أم من الكافرين(٢).

٢- وقوله تعالى ﴿ ولو ترىٰ إذ الظٰلمون فى غمرٰت الموت والملٰئكة باسطوا أيديهم أخرجوا أنفسكم اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون على الله غير الحق وكنتم عن ءايٰته تستكبرون ﴾(٣).

معاني المفردات :

غمرات الموت : شدائده وسكراته . مأخوذة من الشيء يغمر الأشياء إذا غطاها ثم وضع للشدائد والمكاره(٤).

أخرجوا أنفسكم : خلصوها من العذاب ، أو أخرجوها من الجسد كرها ، حيث يقول ملك الموت " اخرجي أيتها النفس الخبيثة "(٥).

اليوم تجزون عذاب الهون : أي وقت الإماتة ، وما بعده تجزون العذاب المتضمن للإهانة(٦).

٣- وقوله تعالى ﴿ فمن أظلم ممن افترىٰ على الله كذبًا أو كذب بـٔايٰته أولٰئك ينالهم نصيبهم من الكتٰب حتىٰ إذا جاءتهم رسلنا يتوفونهم قالوا أين ما كنتم تدعون من دون الله قالوا ضلوا عنا وشهدوا علىٰ أنفسهم أنهم كانوا كٰفرين ﴾(٧).

١- انظر صحيح البخاري ١٨٣/٥.
٢- انظر تفسير الطبري ١٠٠/٩، تحقيق شاكر . والشوكاني ٥٠٤/١.
٣- الأنعام ٩٣.
٤- انظر تفسير البغوي ١١٦/٢. والشوكاني ١٤٠/٢.
٥- انظر تفسير القرطبي ٤٢/٧. وفتح البيان ٢٠٢/٣، وسيأتي نص الحديث في شرح الآيات .
٦- انظر تفسير البيضاوي ٣١٢/١. وأبي السعود ١٦٣/٣.
٧- الأعراف ٣٧.

معاني المفردات :

ينالهم نصيبهم من الكتاب : أي يصيبهم حظهم الذي كتبه الله لهم في الحياة الدنيا من العمل ، والرزق، والعمر ، والمرض ، وغيرها(١). أما عذاب يوم القيامة فقد ذكره الله في الآيات التي بعدها حيث يقول تعالى ﴿ قال ادخلوا فى أمم قد خلت من قبلكم من الجن والإنس فى النار ﴾(٢).

٤ـ وقوله تعالى ﴿ إن الذين كذبوا بئايٰتنا واستكبروا عنها لا تفتح لهم أبوٰب السماء ولا يدخلون الجنة حتىٰ يلج الجمل فى سم الخياط وكذٰلك نجزى المجرمين ﴾(٣).

معاني المفردات :

لا تفتح لهم أبواب السماء : اختلف المفسرون في الشيء الذي لا تفتح له أبواب السماء على ثلاثة أقوال :

القول الأول : لا تفتح لأعمالهم ولا لأرواحهم .

رواه الطبري وابن كثير عن ابن جريج . ورجحه الطبري(٤).

القول الثاني : لا تفتح لأرواحهم فقط.

أخرجه الطبري عن ابن عباس ، والسدي(٥).

واستدل من قال بهذا القول بحديث البراء وفيه " حتى ينتهى بها ـ أي بروح الكافر ـ إلى السماء الدنيا فيستفتح فلا يفتح له . ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿ لا تفتح لهم أبوٰب السماء ولا يدخلون الجنة حتىٰ يلج الجمل فى سم الخياط ﴾(٦) ... " الحديث(٧).

١ـ انظر تفسير الطبري ٤٠٨/١٢ـ٤١١ تحقيق شاكر . وابن كثير ٢١٣/٢. وهذا يشمل أقوال المفسرين في الآية.

٢ـ الأعراف ٣٨.

٣ـ الأعراف ٤٠.

٤ـ انظر تفسير الطبري ٤٢١/١٢ـ٤٢٣. وابن كثير ٢١٥/٢.

٥ـ نفس المصدر السابق

٦ـ الأعراف ٤٠.

٧ـ وسيأتي بتمامه في الشرح.

القول الثالث : لا تفتح لأعمالهم ودعائهم . لأن أعمالهم خبيثة ، والله لا يرفع إليه إلا العمل الصالح قال تعالى ﴿ إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصلح يرفعه ﴾(١).

وهذا القول رواه الطبري عن ابن عباس ، ومجاهد ، وإبراهيم النخعي ، وسعيد بن جبير(٢).

والذي يظهر لي أن القول الأول هو الراجح لأنه جمع بين القولين الاخيرين بدليليهما .

سم الخياط : خرق الابرة(٣) فكما يعلم الناس استحالة دخول الجمل في خرق الإبرة ، فكذلك يستحيل أن تفتح أبواب السماء لاعمال الكفار وأرواحهم ، وكذلك دخولهم الجنة .

٥- وقوله تعالى ﴿ ولو ترى إذ يتوفى الذين كفروا الملئكة يضربون وجوههم وأدبرهم وذوقوا عذاب الحريق ﴾(٤).

قال ابن كثير : وهذا السياق وإن كان سببه وقعة بدر ولكنه عام في حق كل كافر ، ولهذا لم يخصصه تعالى بأهل بدر "(٥).

٦- وقوله تعالى ﴿ ومن أهل المدينة مردوا على النفاق لا تعلمهم نحن نعلمهم سنعذبهم مرتين ثم يردون إلى عذاب عظيم ﴾(٦).

معاني المفردات :

١- فاطر ١٠.
٢- انظر تفسير الطبري ٤٢١/١٢- ٤٢٣ تحقيق شاكر.
٣- انظر تفسير ابن كثير ٢١٥/٢. والقاسمي ٨١/٧.
٤- الانفال ٥٠.
٥- انظر تفسير ابن كثير ٣٢٠/٢.
٦- التوبة ١٠١.

مردوا على النفاق : أقاموا على النفاق ، ودربوا عليه ، ولم يتوبوا منه كما تاب غيرهم(١).

سنعذبهم مرتين : أما العذاب الاول فإنه ما وقع عليهم في الدنيا من الفضيحة ، والجوع ، والمرض ، حتى الأموال والاولاد فإنها صارت مصائب وعذابًا عليهم قال تعالى ﴿ ولا تعجبك أموٰلهم وأولٰدهم إنما يريد الله أن يعذبهم بها فى الدنيا وتزهق أنفسهم وهم كٰفرون ﴾(٢).

وأما العذاب الثاني فهو عذاب القبر . ثم يردون إلى العذاب العظيم الذي هو عذاب النار(٣).

٧- وقوله تعالى ﴿ يثبت الله الذين ءامنوا بالقول الثابت فى الحيوٰة الدنيا وفى الاخرة ويضل الله الظٰلمين ويفعل الله ما يشاء ﴾(٤).

ومن إضلال الله للكافرين في الآخرة : إضلالهم عن الجواب في القبر والدليل على ذلك حديث البراء بن عازب رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " يقال للكافر من ربك ؟ فيقول: لا أدري ، فهو تلك الساعة أصم أعمى أبكم فيضرب بمرزبة ، لو ضرب بها جبل صار ترابا فيسمعها كل شيء إلا الثقلين. قال : وسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ ﴿ يثبت الله الذين ءامنوا بالقول الثابت فى الحيوٰة الدنيا وفى الاخرة ويضل الله الظٰلمين ﴾(٥).

ويؤيد هذا الحديث حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه لما ذكر النبي صلى الله عليه وسلم نعيم القبر وعذابه قال: قال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما منا أحد يقوم على رأسه ملك في يده مطراق إلا ذهل عند ذلك . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿ يثبت الله الذين

١- انظر تفسير الطبري ٤٤٠/١٤ تحقيق شاكر. والقرطبي ٢٤٠/٨-٢٤١.
٢- التوبة ٨٥.
٣- انظر تفسير الخازن ٢٤١/٣. وابن كثير ٣٨٦/٢.
٤- إبراهيم ٢٧.
٥- أخرجه الطبراني في الصغير ١٧٨/١ مختصرا. وسيأتي في الشرح مطولا.

ءامنوا بالقول الثابت فى الحيوٰة الدنيا وفى الأخرة ويضل الله الظٰلمين ﴾(١).

٨ـ وقوله تعالى ﴿ الذين تتوفٰهم الملٰئكة ظالمى أنفسهم فألقوا السلم ما كنا نعمل من سوء بلىٰ إن الله عليم بما كنتم تعملون ﴾(٢).

السلم : أي الاستسلام والانقياد لله تعالى . وذلك أنهم إذا عاينوا الموت أعلنوا إسلامهم ، أو أنهم يستسلمون للملائكة لتقبض أرواحهم(٣).

٩ـ وقوله تعالى ﴿ حتىٰ إذا جاء أحدهم الموت قال رب ارجعون لعلى أعمل صٰلحًا فيما تركت كلا إنها كلمة هو قائلها ومن ورائهم برزخ إلىٰ يوم يبعثون ﴾(٤).

ورائهم برزخ : أي أمامهم القبور وسميت برزخا لأنها حاجز بين الدنيا والآخرة،أو بينهم وبين الرجعة(٥).

١٠ـ وقوله تعالى ﴿ وقالوا أءذا ضللنا فى الأرض أءنا لفى خلق جديد بل هم بلقاء ربهم كٰفرون قل يتوفٰكم ملك الموت الذى وكل بكم ثم إلىٰ ربكم ترجعون ﴾(٦).

١١ـ وقوله تعالى ﴿ وحاق بئال فرعون سوء العذاب النار يعرضون عليها غدوًا وعشيًا ويوم تقوم الساعة أدخلوا ءال فرعون أشد العذاب ﴾(٧).

١ـ أخرجه أحمد ٣/٣ـ٤، وليس فيه " ويضل الله الظٰلمين " . وابن أبي عاصم في السنة ٤١٧/٢ـ٤١٨، واللفظ له . والطبري ٥٩٢/١٦، تحقيق شاكر . وذكره الهيثمي في المجمع ٥٠/٣ـ٥١، وقال : "رواه أحمد والبزار وزاد ﴿ فى الحيوٰة الدنيا وفى الأخرة ويضل الله الظٰلمين ويفعل الله ما يشاء ﴾. وصحح إسناده السيوطي في الدر ٣٠/٥. وأحمد شاكر في حاشية الطبري ٥٩٢/١٦. وصححه الالباني في حاشية السنة لابن أبي عاصم ٤١٨/٢.
٢ـ النحل ٢٨.
٣ـ انظر تفسير القرطبي ٩٩/١٠. والشوكاني ١٥٩/٣.
٤ـ المؤمنون ٩٩ـ١٠٠.
٥ـ انظر تفسير ابن كثير ٢٥٧/٣. والبيضاوي ١١٢/٢.
٦ـ السجدة ١٠ـ١١.
٧ـ غافر ٤٥-٤٦.

معاني المفردات :

حاق : نزل(١).

سوء العذاب : أشد العذاب .

والعذاب الذي عذبوا به ويعذبون به ثلاثة أنواع :

النوع الأول : الغرق . قال تعالى ﴿ وإذ فرقنا بكم البحر فأنجيٰكم وأغرقنا ءال فرعون وأنتم تنظرون ﴾(٢).

النوع الثاني : عذاب القبر. قال تعالى ﴿ النار يعرضون عليها غدوًّا وعشيًّا ﴾. قال ابن كثير " وهذه الآية أصل كبير في استدلال أهل السنة على عذاب البرزخ في القبور "(٣).

واستدل البخاري بهذه الآية على تبويبه " باب ما جاء في عذاب القبر "(٤).

النوع الثالث : عذاب يوم القيامة . قال تعالى ﴿ ويوم تقوم الساعة أدخلوا ءال فرعون أشد العذاب ﴾(٥).

١٢ـ وقوله تعالى ﴿ فكيف إذا توفتهم الملٰئكة يضربون وجوههم وأدبٰرهم ﴾(٦).

١٣ـ وقوله تعالى ﴿ فلولا إذا بلغت الحلقوم ﴾(٧) إلى أن قال

١ـ انظر تفسير البغوي ٩٩/٤. والقرطبي ٣١٨/١٥.
٢ـ البقرة ٥٠.
٣ـ انظر تفسير ابن كثير ٨٢/٤.
٤ـ انظر صحيح البخاري ١٠١/٢.
٥ـ غافر ٤٦. وانظر تفسير ابن كثير ٨٢/٤. وأضواء البيان ٩٠/٧.
٦ـ محمد ٢٧.
٧ـ الواقعة ٨٣.

﴿وأما إن كان من المكذبين الضالين فنزل من حميم وتصلية جحيم ﴾(١).

حميم : الماء الذي وصل إلى غاية الحرارة(٢).

١٤ـ وقوله تعالى عن قوم نوح ﴿ مما خطيئتهم أغرقوا فأدخلوا نارًا فلم يجدوا لهم من دون الله أنصارا ﴾(٣).

أغرقوا فأدخلوا نارًا : جاءت الفاء التي تدل على الترتيب والتعقيب لتدل على إن هذه النار في القبور(٤).

١٥ـ وقوله تعالى ﴿ كلا إذا بلغت التراقي وقيل من راق وظن أنه الفراق والتفت الساق بالساق إلىٰ ربك يومئذ المساق ﴾(٥).

معاني المفردات :

بلغت التراقي : وصلت الروح إلى العظام التي بين ثغرة النحر والعاتق.

وهذا كناية عن الإشراف على الموت(٦).

من راق : اختلف المفسرون في معناه على قولين :

القول الأول : من يرقى بروحه ويصعد بها إلى السماء من الملائكة . أخرجه الطبري عن ابن عباس ، وأبي الجوزاء(٧). والبغوي عن سليمان

١ـ الواقعة ٩٢ـ٩٤.
٢ـ انظر تفسير الشوكاني ١٦٢/٥. وفتح البيان ٢٨١/٩.
٣ـ نوح ٢٥.
٤ـ وانظر تفسير القرطبي ٣٦١/١٨. وروح المعاني ٧٩/٢٩.
٥ـ القيامة ٢٦ـ٣٠.
٦ـ انظر تفسير القرطبي ١١١/١٩. وعمدة الحفاظ ٧٤. وبصائر ذوي التمييز ٩٦/٣.
٧ـ هو أوس بن عبد الله الرَّبَعي، بفتح الموحدة . أبو الجوزاء ، بصري ، يرسل كثيرا. ثقة . توفي عام ١٨٣. وانظر التقريب ١١٦. وانظر تفسير الطبري ١٩٥/٢٩.

التيمي(١)، ومقاتل بن سليمان(٢).

القول الثاني: من يرقيه ويداويه مما نزل به.

رواه الطبري عن عكرمة ، وأبي قلابة(٣)، والضحاك ، وقتادة ، وابن زيد(٤).

الترجيح :

الذي يظهر لي أن كلا من القولين محتمل للآية ولا تعارض بينهما . فإذا نظرنا إلى ما قبل الآية فإنه يقوي القول الأول ، وذلك أن الروح إذا بلغت التراقي ما بقي إلا أن تقبضها الملائكة وتصعد بها إلى السماء. وإذا نظرنا إلى ما بعدها وجدناه يقوي القول الثاني . وذلك أن من عنده يقولون : هل من يرقاه ويداويه . وهو موقن أنه مفارق الدنيا ، ثم يموت.

فإن قيل: من القائل في قوله تعالى ﴿وقيل من راق﴾(٥) على القول الأول .

أقول : اختلف أصحاب القول الأول في القائل على قولين :

القول الأول : أن القائل هو ملك الموت يقول لملائكة العذاب : من يصعد بروح هذا الكافر(٦).

١- هو سليمان بن بلال التيمي مولاهم أبو محمد وأبو أيوب المدني . ثقة من الثامنة . توفي عام ١٧٧. وانظر التقريب ٢٥٠.

٢- هو مقاتل بن سليمان البلخي المفسر أبو الحسن . له كتاب : تفسير الخمس مائة آية ، وكتاب : التفسير الكبير ، وكتاب القراءات ، وغيرها. توفي عام ١٥٠. وانظر ميزان الاعتدال ١٧٣/٤-١٧٥. وطبقات الداودي ٣٣٠/٢-٣٣١. وانظر تفسير البغوي ٤٢٤/٤.

٣- هو عبد الله بن زيد بن عمرو- أو عامر - الجَرمي ، أبو قلابة البصري . ثقة فاضل . كثير الإرسال . مات بالشام هاربًا من القضاء عام ١٠٤، وقيل بعدها. وانظر التقريب ٣٠٤.

٤- انظر تفسير الطبري ١٩٤/٢٩-١٩٥.

٥- القيامة ٢٧.

٦- انظر تفسير القرطبي ١١٢/١٩.

القول الثاني : أن القائل هم ملائكة الرحمة ، وملائكة العذاب كل واحد يقول للآخر : ارق بها .

وقد اعترض على هذا بأن ملائكة الرحمة وملائكة العذاب لا تختصم إلا فيمن تُرِدِّدَ فيه بين الإسلام والكفر .. ومن ذلك ما ثبت في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "إن رجلا قتل تسعة وتسعين نفسا فجعل يسأل : هل له من توبة ؟ فأتى راهبا فسأله فقال: ليست لك توبة : فقتل الراهب . ثم جعل يسأل . ثم خرج من قرية إلى قرية فيها قوم صالحون . فلما كان في بعض الطريق أدركه الموت فنأى بصدره ثم مات فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب ، فكان إلى القرية الصالحة أقرب منها بشبر فجُعل من أهلها "(١).

أما في هذه الآيات فليس فيه تردد إذ قال تعالى ﴿ فلا صدق ولا صلىٰ ولكن كذب وتولىٰ ثم ذهب إلىٰ أهله يتمطىٰ ﴾(٢).

وظن أنه الفراق : أي أيقن أنه مفارق الدنيا حين عاين الملائكة(٣).

التفت الساق بالساق : اختلف المفسرون في معناها على أربعة أقوال :

القول الأول : التفت عليه شدة الدنيا وشدة الآخرة .

وهذا قول الجمهور ، ورجحه الطبري(٤) قال ابن زيد : لما التفت الآخرة بالدنيا كان المساق إلى الله(٥).

القول الثاني : أنهما ساقا الميت التفت أحدهما إلى الأخرى .

١- أخرجه البخاري ١٤٩/٤. ومسلم ٢١١٩/٤.
٢- القيامة ٣١-٣٣. وانظر تفسير الشنقيطي ٦٤٢/٨.
٣- انظر تفسير البغوي ٤٢٤/٤. والقرطبي ١١٢/١٩.
٤- انظر تفسير الطبري ١٩٥/٢٩-١٩٧. والبغوي ٤٢٤/٤-٤٢٥. والخازن ١٨٧/٧.
٥- انظر تفسير الطبري ١٩٧/٢٩.

أخرجه الطبري عن الشعبي ، وأبي مالك(١) ، والحسن ، وقتادة.

القول الثالث : أنهما ساقا الميت إذا يبسا ولم يحملاه .

أخرجه الطبري عن أبي مالك ، والسدي .

القول الرابع : أنهما ساقا الميت إذا لفتا بالكفن .

أخرجه الطبري عن الحسن(٢).

الترجيح :

إذا تأملنا حال الكافر أثناء الموت نجد أن شدة الدنيا والآخرة قد التفتا عليه . وهذا حال كل كافر سواء مات بالغرق، أو الحرق ، أو الهدم. وسواء كان سليم الساقين أو مبتورهما . فكل كافر عند الموت تلتف عليه شدة الدنيا والآخرة. ثم يساق إلى الله عز وجل . وذلك بإخراج الملائكة لروحه.

أما الأقوال الثلاثة الأخيرة فإنها متأتية لعموم الكفار . وليس لكل فرد منهم . فالذي يموت بالغرق ، ولا يعثر على جثته ، أو يموت بالحرق وتلتهمه النار، أو يموت بالهدم وتتمزق جثته فهؤلاء وأشكالهم لا تلتف ساق أحدهم بالأخرى ، ولم ييبسا ، ولم يُلفا بالكفن .

فيبقى القول الأول شامل لجميع الكفار على أي صفة ماتوا ، حتى ولو بترت سوق بعضهم أثناء الحياة فإنهم داخلون في قوله تعالى بعدها ﴿ فلا صدق ولا صلىٰ ولكن كذب وتولىٰ ثم ذهب إلىٰ أهله يتمطىٰ ﴾(٣).

١- هو غزوان أبو مالك الغفاري. صاحب التفسير . وكان قليل الحديث . روى عن عمار بن ياسر ، وابن عباس ، وعنه السدي ، وحصين بن عبد الرحمن. وانظر تاريخ البخاري ١٠٨/١/٤. والجرح والتعديل ٥٥/٧. والطبقات الكبرى ٢٩٥/٦.

٢- انظر هذه الأقوال في تفسير الطبري ١٩٧/٢٩-١٩٨. والقرطبي ١١٢/١٩-١١٣.

٣- القيامة ٣١-٣٣.

١٦- وقوله تعالى ﴿ والنّزعت غرقاً والنّشطت نشطا ﴾(١).

معاني المفردات :

النازعات : اختلف المفسرون في المراد بالنازعات ، وماذا تنزع على خمسة أقوال.

القول الأول : أنها الملائكة تنزع أرواح الكفار .

وهذا قول الجمهور واختاره ابن كثير ، والشنقيطي(٢).

القول الثاني : أنه الموت ينزع النفوس .

رواه الطبري عن مجاهد .

القول الثالث : أنها النجوم تنزع من أفق إلى أفق .

رواه الطبري عن الحسن ، وقتادة.

القول الرابع : أنها النفوس حين تُنْزَع .

رواه الطبري عن السدي.

القول الخامس : أنها القسي(٣) تنزع بالسهم(٤). وقيل غير ذلك(٥).

الترجيح :

إذا تأملنا هذه الأقوال نجد أن القول الأول أحسنها ، وهو

١- النازعات ١-٢.
٢- انظر تفسير الطبري ٢٧/٣٠. وابن كثير ٤٦٧/٤. وأضواء البيان ٢٢/٩-٢٣.
٣- القسي هي الأقواس ، ومفردها قوس. وانظر الصحاح ٩٦٧/٣.
٤- انظر هذه الأقوال في تفسير الطبري ٢٧/٣٠-٢٨. وابن كثير ٤٦٧/٤.
٥- وانظر تفسير القرطبي ١٩٠/١٩-١٩١. والشنقيطي ٢٢/٩.

سجين : مبالغة من السجن كما يقال : سكّير من السكر وفسّيق من الفسق، وهو المكان الضيق جدا . وقال جمهور المفسرين : إنه في الارض السابعة (١) ويؤيد هذا حديث البراء بن عازب في رواية الإمام أحمد حينما تُرَد روح الكافر يقول الله عز وجل: " اكتبوا كتابه في سجين في الارض السفلى " وفي رواية الطبري " اكتبوا كتابه في أسفل الارض في سجين في الارض السفلى "(٢).

المعنى :

في هذه الآيات بيان وتوضيح لحال الكفار ومن كان على شاكلتهم من حين نزول الملائكة لقبض أرواحهم وإلى أن تقوم الساعة .

وبين هذا حديث البراء بن عازب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " ... وإن العبد الكافر إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة نزل إليه من السماء ملائكة سود الوجوه معهم المسوح (٣)، فيجلسون منه مد البصر. ثم يجيء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه . فيقول : أيتها النفس الخبيثة أخرجي إلى سخط من الله وغضب قال: فتُفرق في جسده فينتزعها كما ينتزع السفود(٤) من الصوف المبلول ، فيأخذها فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين حتى يجعلوها في تلك المسوح . ويخرج منها كأنتن ريح جيفة وجدت على وجه الارض . فيصعدون بها فلا يمرون بها على ملأ من

١- انظر تفسير الطبري ٩٤/٣٠-٩٦. والروح ١٤٧-١٤٨.

٢- انظر مسند أحمد ٢٨٨/٤. وتفسير الطبري ٩٦/٣٠. وسيأتي بتمامه في الشرح. وأما ما قيل بأن سجين تحت صخرة سوداء تحت الارض السابعة، أو أنه تحت خد الشيطان ، أو أنه في جب في جهنم ، أو أنه بئر برهوت في حضرموت . فلا دليل على هذه الاقوال . وانظر تفسير القرطبي ٢٥٧/١٩-٢٥٨. وأهوال القبور ١١٥-١١٦.

٣- المسوح : جمع الكثرة . وجمع القلة: أمساح ، ومفردها مسح. وهو الكساء من الصوف. وانظر لسان العرب ٥٩٦/٢.

٤- السفود : الحديدة ذات شعب مُعَقّفة يشوى بها اللحم . وانظر تاج العروس ٣٨٠/٢.

الملائكة إلا قالوا : ما هذا الروح الخبيث . فيقولون : فلان بن فلان بأقبح أسمائه التي كان يسمى بها في الدنيا حتى ينتهى به إلى السماء الدنيا . فيستفتح له فلا يفتح له ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿ لا تفتح لهم أبوٰب السماء ولا يدخلون الجنة حتىٰ يلج الجمل فى سم الخياط ﴾(١) فيقول الله عز وجل : اكتبوا كتابه في سجين في الارض السفلى فتطرح روحه طرحا . ثم قرأ ﴿ ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوى به الريح فى مكان سحيق ﴾(٢) فتعاد روحه في جسده . ويأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له : من ربك ؟ فيقول : هاه هاه لا أدري فيقولان له : ما دينك؟ فيقول: هاه هاه لا أدري فيقولان له : ما هذا الرجل الذي بعث فيكم ؟ فيقول: هاه هاه لا أدري . فينادي مناد من السماء أن كذب ، فأفرشوا له من النار ، وافتحوا له بابا إلى النار . فيأتيه من حرها وسمومها . ويضيق عليه قبره حتى تختلف فيه أضلاعه . ويأتيه رجل قبيح الوجه ، قبيح الثياب ، منتن الريح. فيقول : أبشر بالذي يسوءك هذا يومك الذي كنت توعد فيقول: من أنت فوجهك الوجه يجيء بالشر ؟ فيقول: أنا عملك الخبيث فيقول: رب لا تقم الساعة "(٣).

وفي حديث أبي سعيد الخدري المتقدم(٤) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عن فتنة الكافر في قبره " ... وأما الكافر ، أو المنافق فيقال له: ما تقول في هذا الرجل ؟ فيقول: لا أدري سمعت الناس يقولون قولا ! فيقول : لا دريت "ولا تدريت"(٥) ولا اهتديت. ثم يفتح له باب إلى الجنة. فيقال له

١- الأعراف ٤٠.
٢- الحج ٣١.
٣- هذا بعض حديث البراء ، وقد سبق تخريجه وتصحيحه في المبحث الذي قبل هذا ص٢٨٠.
٤- تقدم تخريجه ص٢٨٠ ، عند تفسير قوله تعالى ﴿ يثبت الله الذين ءامنوا بالقول الثابت ....﴾ إبراهيم ٢٧.
٥- قال الشيخ الألباني في حاشية السنة لابن أبي عاصم ٤١٧/٢ كذا الأصل ، وفي المسند "ولا تليت" ولعله الصواب . وانظر مسند الإمام أحمد ٣/٣ـ٤.

: هذا منزلك لو آمنت بربك ، فأما إذ كفرت بربك فإن الله قد أبدلك به هذا ، ثم يفتح له باب إلى النار . ثم يقمعه ذلك الملك قمعة بالمطراق ، فيسمعها خلق الله كلهم إلا الثقلين . قال بعض أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما منا أحد يقوم على رأسه ملك في يده مطراق إلا ذهل عند ذلك. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿ يثبت الله الذين ءامنوا بالقول الثابت فى الحيوٰة الدنيا وفى الاخرة ويضل الله الظٰلمين ﴾(١).

وفي صحيح البخاري عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه حدثهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " أن العبد إذا وضع في قبره وتولى عنه أصحابه وإنه ليسمع قرع نعالهم ، أتاه ملكان فيقعدانه فيقولان : ما كنت تقول في هذا الرجل – لمحمد صلى الله عليه وسلم ثم ذكر حال المؤمن ثم قال : – وأما المنافق والكافر فيقال له : ما كنت تقول في هذا الرجل فيقول: لا أدري كنت أقول ما يقوله الناس فيقال له : لا دريت ولا تليت . ويضرب بمطارق من حديد ضربة فيصيح صيحة يسمعها من يليه غير الثقلين "(٢).

وبمجموع الآيات والاحاديث المتقدمة يتبين لنا أن الملائكة تنزل على الكافر عند موته على صورة سوداء مخيفة . ثم يأتي ملك الموت لينتزع روحه بكل شدة وقسوة وإهانة قائلا : أيتها الروح الخبيثة اخرجي إلى سخط الله وغضبه ثم ينزعها من جسمه كما تُنْزَع الحديدة ذات الشعب من الصوف المبلول. ثم تأخذها منه الملائكة وتضعها في كساء من صوف ويخرج من روحه رائحة كريهة كأنتن ريح جيفة عرفت على وجه الارض . ثم يصعدون بها إلى السماء. وكلما مروا على ملا من الملائكة سألوهم عن صاحب هذه الروح الخبيثة ، فيسمونه بأقبح أسمائه في الدنيا. فإذا وصلوا بها إلى السماء يستفتحون له فلا يفتح له احتقارا له وإهانة. فيأمر الله الملائكة فتكتب كتابه في الأرض السابعة. ثم تطرح روحه طرحا إلى الارض ، وتعاد في جسده .

١– إبراهيم ٢٧

٢– أخرجه البخاري ١٠٢/٢.

ويأتيه منكر ونكير على صور موحشة معهم مطارق من حديد ويسألانه عن ربه ، ودينه ، ونبيه ، وكل ذلك يقول: هاه هاه لا أدري فتقول الملائكة له - على وجه الإهانة والإذلال - لا دريت ، ولا تليت ، ولا اهتديت فيضربونه بمطرقة من حديد . فيصيح صيحة يسمعها كل شيء إلا الجن والإنس. ولو سمعوها لصعقوا من شدتها . ثم تفتح الملائكة له بابا إلى الجنة وتقول : هذا مكانك لو آمنت وأما وقد كفرت فإن مكانك هو النار. فتفتح له بابا إلى النار ، وتفرش له فراشا من النار ، فيأتيه من حرها وسمومها ما لا يعلمه إلا الله عز وجل . وتُضيق عليه قبره حتى تختلف أضلاعه.ويستمر في هذا العذاب الأليم إلى يوم القيامة . نسأل الله العافية من حالهم . ونسأله أن يثبتنا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة . وأن يجيرنا من عذاب القبر وعذاب النار إنه سميع مجيب(١).

١- وانظر ما يواجهه الكفار عند الموت وفي القبر في كتاب : الاستعداد للموت وسؤال القبر ٣١-٣٢. والإيمان بالملائكة لأحمد عز الدين ٢م-٦٣.

الفصل الثاني : نفخ الملك في الصور

وفيه أربعة مباحث :

المبحث الأول : الملك الموكل بالنفخ في الصور

المبحث الثاني : معنى الصور

المبحث الثالث : نفخ إسرافيل في الصور النفخة الأولى

المبحث الرابع: نفخ إسرافيل في الصور النفخة الثانية

وإليك هذه المباحث بالتفصيل :

المبحث الأول : الملك الموكل بالنفخ في الصور.

وكل الله سبحانه وتعالى إسرافيل عليه السلام بالنفخ في الصور .

قال القرطبي : " قال علماؤنا : والأمم مجمعون على أن الذي ينفخ في الصور إسرافيل عليه السلام "(١).

وقال الحافظ ابن حجر : " اشتهر أن صاحب الصور إسرافيل عليه السلام ونقل فيه الحليمي(٢) الإجماع "(٣).

وقال ابن القيم : " وإسرافيل : صاحب الصور الذي إذا نفخ فيه أحيت نفخته بإذن الله الأموات وأخرجتهم من قبورهم "(٤).

فإن قيل ما تقول في الأحاديث التي دلت على أن النافخ غير إسرافيل ومن ذلك:

١ـ ما أخرجه ابن ماجة عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إن صاحبي الصور بأيديهما ـ أو في أيديهما ـ قرنان يُلاحظان النظر متى يؤمران "(٥).

١ـ انظر التذكرة في أحوال الموتى والآخرة ٣٢٤/١.

٢ـ هو الحسين بن الحسن بن محمد بن حليم ، أبو عبد الله المعروف بالحليمي ، نسبة إلى جده . شيخ الشافعية بما وراء النهر . له كتاب المنهاج في شعب الإيمان . مات سنة ثلاث ، أو ست وأربع مئة . وانظر كتاب الأنساب ١٩٨/٤. وطبقات الشافعية للسبكي ٣٣٣/٤ـ٣٤٣. وطبقات الشافعية للحسيني ١٢٠ـ١٢١، مع حاشيته ١٢٠.

٣ـ انظر فتح الباري ٣٧٨/١١.

٤ـ انظر زاد المعاد ٤٣/١.

٥ـ أخرجه ابن ماجة ١٤٢٨/٢.

قال البوصيري : هذا إسناد ضعيف لضعف حجاج بن أرطاة ، وعطية العوفي(١).

٢ـ ما أخرجه الإمام أحمد عن أبي مرية عن النبي صلى الله عليه وسلم ، أو عن عبد الله بن عمرو عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " النافخان في السماء الثانية رأس أحدهما بالمشرق ورجلاه بالمغرب ، أو قال رأس أحدهما بالمغرب ورجلاه بالمشرق . ينتظران متى يؤمران ينفخان في الصور فينفخان "(٢).

قال الهيثمي : " رواه أحمد على الشك فإن كان عن أبي مرية فهو مرسل ورجاله ثقات وإن كان عن عبد الله بن عمرو فهو متصل مسند ورجاله ثقات(٣).

٣ـ حديث أبي سعيد الخدري أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " ما من صباح إلا وملكان يناديان : سبحان الملك القدوس . وملكان يناديان اللهم اعط منفقًا خلفًا ، وأعط ممسكا تلفًا . وملكان موكلان بالصور ينتظران متى يؤمران فينفخان ... " الحديث .

أخرجه البزار(٤) وفي سنده خارجة بن مصعب الخرساني(٥).

١ـ انظر مصباح الزجاجة ٢٥٣/٤. وقال الألباني في ضعيف ابن ماجة ٣٤٩ "منكر والمحفوظ بلفظ " صاحب القرن ". وانظر سلسلة الأحاديث الصحيحة ٦٧/٣.

٢ـ أخرجه أحمد ١٩٢/٢.

٣ـ انظر مجمع الزوائد ٣٣٣/١٠. وضعف الشيخ أحمد شاكر سنده في تخريجه للمسند ٥٧/١١ للشك بين إساله ووصله.

٤ـ انظر كشف الأستار ١٥٣/٤.

٥ـ قال الهيثمي في المجمع ٣٣٤/١٠ "ضعيف جدا" . وقال الحافظ في التقريب ١٨٦ "متروك وكان يدلس عن الكذابين ويقال : إن ابن معين=

٤ـ حديث عائشة قالت : يا كعب أخبرني عن إسرافيل. فقال كعب: عندكم العلم. قالت : أجل فأخبرني . قال: له أربعة أجنحة جناحان في الهواء ، وجناح قد تسربل به ، وجناح على كاهله . والقلم على أذنه ، فإذا نزل الوحي كتب القلم ثم درست الملائكة . وملك الصور جاث على إحدى ركبتيه ، وقد نصب الأخرى . فالتقم الصور محني الظهر. وقد أُمر إذا رأى إسرافيل قد ضم جناحه أن ينفخ في الصور . فقالت عائشة : هكذا سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ".

أخرجه أبو الشيخ في العظمة ، والطبراني في الأوسط، وأبو نعيم في الحلية. كلهم من طريق علي بن زيد بن جدعان وهو ضعيف(١).

فيجاب عن هذه الأحاديث بأنه مع ضعف أسانيدها(٢) فإن في متونها تعارض .

ففي بعضها أنهما ملكان ، والصور في أيديهما . وفي بعضها أنه ملك واحد ممسكا بالصور ينظر إلى إسرافيل .

والذي ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "كيف أنعم وقد التقم صاحب القرن القرن وأصغى سمعه وحنى جبهته ينتظر متى يؤمر بالنفخ " قالوا : يا رسول الله : كيف

=كذبه " وذكر أقوال الأئمة فيه في التهذيب ٧٦/٣ـ٧٨، ولم يوثقه أحد منهم.

١ـ انظر العظمة ٦٩٥/٢ـ٦٩٦. والحلية ٤٧/٦ـ٤٨. وعزاه الحافظ في الفتح ٣٦٩/١١ إلى الطبراني في الأوسط وقال : ورجاله ثقات إلا علي بن زيد بن جدعان ففيه ضعف وقال في التقريب ٤٠١ "ضعيف" .

٢ـ كما سبق بيانه عند ذكر كل حديث منها

نقول ؟ قال : " قولوا : حسبنا الله ونعم الوكيل "(١).

وقال صلى الله عليه وسلم : " ما طرف(٢) صاحب الصور مذ وكل به مستعد ينظر نحو العرش مخافة أن يؤمر قبل أن يرتد إليه طرفه، كأن عينيه كوكبان دريان "(٣).

فدل هذان الحديثان على أن صاحب الصور ملك واحد. وسبق نقل الإجماع على أنه إسرافيل عليه السلام .

١- أخرجه أحمد ٧/٣. والترمذي ٦٢٠/٤، وحسنه . وابن أبي داود في البعث ٣٦. والطبراني في الصغير . وانظر الروض الداني ٥٠/١. والحاكم ٥٥٩/٤، من طريقين . وأبو الشيخ في العظمة ٨٥٢/٣ـ ٨٥٣. والبيهقي في الشعب ١٩٥/٢. وأبو نعيم في الحلية ١٠٥/٥. والخطيب في التاريخ ٣٦٣/٣. والبغوي في شرح السنة ١٠٣/١٥. وصححه المحقق وكذلك الالباني في صحيح سنن الترمذي ٢٩٢/٢.

٢- ما طرف : أي ما أطبق أحد جفنيه على الآخر ، أو ما حرك جفنيه . وانظر لسان العرب ٢١٣/٩.

٣- أخرجه أبو الشيخ في العظمة ٨٤٣/٣ـ ٨٤٤. والحاكم ٥٥٨/٤ـ ٥٥٩، وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه وتعقبه الذهبي بأنه على شرط مسلم. والخطيب في التاريخ ١٥٣/٥. والذهبي في العلو انظر مختصره ٩٣. وحسن الحافظ إسناد الحاكم في الفتح ٣٦٨/١١. ووافق الالباني الحاكم على قوله وخطأ الذهبي في تعقبه الحاكم . وانظر السلسلة الصحيحة ٦٥/٣.

المبحث الثاني : معنى الصور

اختلف المفسرون في معنى الصور المذكور في القرآن على قولين :

القول الأول : أن الصور قرن كالبوق ينفخ فيه .

وهذا قول الجمهور(١) ، واستدلوا على ذلك بما يأتي:

١ـ حديث عبد الله بن عمرو بن العاص قال: جاء أعرابي إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: ما الصور ؟ قال: " الصور قرن ينفخ فيه "(٢).

٢ـ قول مجاهد " الصور كهيئة البوق "(٣).

القول الثاني : أن الصور جمع صورة تُنفخ فيها روحها فتحيا ، بمنزلة قولهم : سُوَرُ المدينة واحدتها سُوْرَة . وكذلك كل ما علا وارتفع كقول النابغة(٤) :

ألم تر أن الله أعطاك سورة ... ترى كل ملك دونها يتذبذب (٥)

وهذا القول ذكره أبو عبيدة والبخاري(٦).

واستدل من قال بهذا القول بقراءة الحسن البصري

١ـ انظر التذكرة ٢٢٣/١ـ٢٢٤ـ٢٢٧. ولسان العرب ٤٧٥/٤ـ٤٧٦. وفتح الباري ٣٦٧/١١ـ٣٦٨.

٢ـ أخرجه أحمد ١٦٢/٢. وأبو داود ١٠٧/٥. والترمذي ٣٧٣/٥، وحسنه . والدارمي ٣٢٥/٢. والحاكم ٥٦٠/٤، وصححه ووافقه الذهبي . وصحح أحمد شاكر إسناده في تحقيقه للمسند ٩/١٠. وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود ٨٩٨/٣. ومثله الحديث السابق : " كيف أنعم وقد التقم صاحب القرن القرن ... ".

٣ـ أخرجه البخاري في صحيحه تعليقا. وانظر فتح الباري ٣٦٧/١١.

٤ـ هو زياد بن معاوية بن ضباب الذبياني يكنى أبا أمامة. أحد شعراء الجاهلية ، وأحد فحولهم . توفي في زمن النبي صلى الله عليه وسلم قبل البعثة . وانظر طبقات فحول الشعراء ٥١/١. والمؤتلف والمختلف ١٩١. وخزانة الأدب ١٣٥/٢ـ١٣٨.

٥ـ انظر مجاز القرآن ١٩٦/١. والطبري ١٠٤/١، تحقيق شاكر.

٦ـ انظر مجاز القرآن ١٩٦/١ـ١٩٧. وفتح الباري ٢٨٧/٨.

يوم ينفخ في الصُّوَر ومفردها صورة(١).

والصحيح القول الأول لوجوه منها :

١ـ أنه موافق لتفسير النبي صلى الله عليه وسلم حينما سئل عن الصور فقال: "قرن ينفخ فيه "(٢). والقول الثاني مخالف لهذا التفسير .

٢ـ أن صورة تجمع على صُوَر، ولا تجمع على صُوْر. قال تعالى ﴿ وصوركم فأحسن صُوَرَكم ﴾(٣) ولم يقرأ أحد من القراء فأحسن صُوْرَكم .

٣ـ أن قراءة الحسن البصري قراءة شاذة لم يقرأ بها أحد من القراء العشرة ومن أسباب شذوذها عدم موافقتها لغة العرب . كما هو ظاهر من الوجه الثاني.

٤ـ أن الله سبحانه وتعالى يقول ﴿ثم نفخ فيه أخرىٰ﴾(٤). ولو كان صورة لقال : ثم نفخ فيها(٥).

١ـ انظر تفسير القرطبي ٢٠/٧ـ٢١. وهذه قراءة شاذة.
٢ـ سبق تخريجه ص٣٠٤.
٣ـ غافر ٦٤.
٤ـ الزمر ٦٨.
٥ـ وانظر هذه الردود وغيرها في تفسير الطبري ٤٦٢/١١ـ٤٦٣، تحقيق شاكر. ولسان العرب ٤٧٥/٤ـ٤٧٦. وتفسير القرطبي ٢٠/٧ـ٢١. والتذكرة ٢٢٣/١ـ٢٢٧. وفتح الباري ٣٦٧/٨ـ٣٦٨. و٢٨٨/١١ـ٢٨٩. واليوم الآخر ـ القيامة الكبرى ـ ٣٣ـ٣٤.

المبحث الثالث : نفخ إسرافيل في الصور

النفخة الأولى .

إذا أراد الله عز وجل إنهاء الحياة الدنيا أمر إسرافيل بالنفخ في الصور النفخة الأولى ليهلك جميع الخلق إلا من شاء الله .

وقد ذكر الله سبحانه وتعالى هذه النفخة وما يترتب عليها من فزع الناس وصعقهم في آيات كثيرة من كتابه الكريم ومن ذلك :

١ـ قوله تعالى ﴿ وله الملك يوم ينفخ فى الصور عٰلم الغيب والشهٰدة وهو الحكيم الخبير ﴾(١).

يوم ينفخ في الصور : اختلف المفسرون في المراد بالنفخة هنا على قولين:

القول الأول : أنها النفخة الأولى .

رواه الطبري عن ابن عباس(٢).

القول الثاني : أنها النفخة الثانية .

قاله الألوسي والسيوطي(٣).

والذي يظهر لي أنها عامة للنفختين جميعًا نفخة الصعق ونفخة القيام. فإذا نُفخ في الصور فلا ملك لأحد غير الله تعالى وأما ما رواه الطبري عن ابن عباس فإنه من طريق عطية

١ـ الأنعام ٧٣.

٢ـ انظر تفسير الطبري ٤٦٤/١١، تحقيق شاكر.

٣ـ انظر تفسير الجلالين ١١٢. وتفسير الالوسي ١٩٣/٧.

العوفي . وهو ضعيف(١).

فإن قيل لماذا خص الله الملك إليه في ذلك اليوم مع أن الملك ثابت له في جميع الأوقات .

أجيب على هذا : بأن في هذه الخصوصية مزيد من إظهار ملكه تبارك وتعالى ففي ذلك اليوم يزول ملك ملوك الدنيا ، ويصبح الكل فقيرا لا يملك شيئا . وصدق الله حيث يقول: ﴿ الملك يومئذ الحق للرحمٰن وكان يومًا على الكٰفرين عسيرًا ﴾(٢).

٢ـ وقوله تعالى ﴿ ويوم ينفخ فى الصور ففزع من فى السمٰوٰت ومن فى الأرض إلا من شاء الله وكل أتوه دٰخرين ﴾(٣).

٣ـ وقوله تعالى ﴿ ونفخ فى الصور فصعق من فى السمٰوٰت ومن فى الأرض إلا من شاء الله ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون ﴾(٤).

اختلف العلماء في عدد نفخات إسرافيل في الصور على ثلاثة أقوال :

القول الأول : أنهما نفختان . نفخة الإماتة ، ونفخة البعث .

وممن قال بهذا القول القرطبي ، والحافظ ابن حجر(٥)

١ـ سبق بيان ضعفه ص ١١٢.

٢ـ الفرقان ٢٦. وانظر تفسير البغوي ١٠٧/٢. والخازن ١٤٧/٢. وأبي السعود ١٥١/٣.

٣ـ النمل ٨٧.

٤ـ الزمر ٦٨ وقدمت هذه الآية على غيرها لمناسبتها لما قبلها.

٥ـ انظر التذكرة ٢٢٦. وفتح الباري ٣٦٩/١١ـ٣٧٠.

واحتجوا بالكتاب والسنة :

فمن الكتاب : الآيتان السابقتان .

ومن السنة ما ثبت في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " ما بين النفختين أربعون قالوا : يا أبا هريرة أربعون يوما ؟ قال: أبيت(١). قالوا : أربعون شهرًا ؟ قال: أبيت. قالوا: أربعون سنة ؟ قال: أبيت(٢).

وفي صحيح مسلم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " ... ثم ينفخ في الصور فلا يسمعه أحد إلا أصغى ليتا(٣) ورفع ليتا . قال: وأول من يسمعه رجل يلوط(٤) حوض إبله . قال: فيصعق ويصعق الناس ثم يرسل الله ـ أو قال ينزل الله ـ مطرا كأنه الطل أو الظل(٥) ـ نعمان الشاك ـ فتنبت منه أجساد الناس ثم ينفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون "(٦).

القول الثاني : أنها ثلاث نفخات نفخة الفزع ونفخة الصعق ونفخة البعث .

وممن قال بهذا القول شيخ الإسلام ابن تيمية ، والإمام

١ـ أبيت : بالرفع أي : أبيت أن أقول في الخبر ما لم أسمعه. وانظر النهاية في غريب الحديث ٢٠/١.

٢ـ أخرجه البخاري ٣٤/٦. ومسلم ٢٢٧٠/٤ـ٢٢٧١. وأخرجه ابن أبي داود في البعث ٤٣ـ٤٤. وابن منده في الإيمان ٧٧٣/٣، من حديث طويل وفيه "بين النفختين أربعون عاما " وقال د. علي بن ناصر الفقيهي في الحاشية: "إسناده حسن".

٣ـ أصغى ليتا : أي أمال صفحة عنقه.

٤ـ ويلوط: أي يطين ، ويصلح حوض إبله، وانظر شرح النووي على مسلم ٧٦/١٨.

٥ـ قال النووي في شرح مسلم ٧٧/١٨ " قال العلماء : الأصح الطل بالمهملة.

٦ـ أخرجه مسلم ٢٢٥٨/٤، ٢٢٥٩ مطولا.

ابن كثير والسفاريني(١).

واحتجوا بالكتاب والسنة :

فمن الكتاب : الآيتان السابقتان، وفيها نفخة الفزع والصعق والقيام

ومن السنة ما جاء في حديث الصور الطويل وفيه "ينفخ إسرافيل في الصور ثلاث نفخات : نفخة الفزع ، ونفخة الصعق ، ونفخة القيام لرب العالمين "(٢).

القول الثالث: أنها أربع نفخات

الأولى : نفخة إماتة ، يموت بها من بقي حيًا .

الثانية : نفخة إحياء ، يقوم بها الأموات ، وينشرون من القبور ويجمعون للحساب.

الثالثة : نفخة فزع وصعق ، يفيقون منها كالمغشي عليه. لا يموت منها أحد.

الرابعة : نفخة إفاقة من ذلك الغشي .

ذكر هذا القول ابن حجر وعزاه إلى ابن حزم ولم يذكر دليلاً على ذلك(٣).

١- انظر مجموع فتاوى ابن تيمية ٤/٢٦٠-٢٦١. والنهاية ١٤١. ولوامع الأنوار ٢/١٦١-١٦٤.

٢- الحديث أخرجه بطوله الطبري في تفسيره ٢/٣٣٠-٣٣١و ٢٤/٣٠و ٣٠/١٨٦-١٨٨. والطبراني في المطولات ٢٦٦-٢٧٧. وأبو الشيخ في العظمة ٣/٨٢٢-٨٣٧. والبيهقي في البعث والنشور ٣٣٦-٣٤٤. وذكره ابن كثير في النهاية ١٣٦-١٤١، وقال : "وإسماعيل بن رافع ليس في الوضاعين وكأنه جمع هذا الحديث من طرق وأماكن متعددة " وقال الحافظ ابن حجر في الفتح ١١/٣٦٨ "ومداره على إسماعيل بن رافع ، واضطرب في سنده مع ضعفه ، فرواه عن محمد بن كعب القرظي تارة بلا واسطة ، وتارة بواسطة رجل مبهم . ومحمد عن أبي هريرة تارة بلا وساطة ، وتارة بواسطة رجل من الانصار مبهم أيضا ". وضعفه أحمد شاكر لضعف إسماعيل بن رافع ، ومن جهة الرجل المبهم من الأنصار ، ولنكارة سياقه. وانظر حاشية الطبري ٤/٣٦٨. وضعفه الالباني بإسماعيل بن رافع والرجل المبهم. وانظر حاشية الطحاوية ٢٣٢.

٣- انظر فتح الباري ٦/٤٤٦.

الترجيح :

الذي يظهر لي أن القول الأول هو الراجح لأن الآيات والأحاديث الواردة لم تأت إلا بذكر نفختين فقط . وهما نفخة الصعق ، ونفخة البعث .

وأما استدلال أصحاب القول الثاني بآية النمل ، وفيها ذكر الفزع مع آية الزمر وفيها الصعق ، والبعث فصارت النفخات ثلاث .

فيجاب عن ذلك بأن الفزع والصعق وجدا بعد النفخة الأولي فإذا سمع الناس ذلك الصوت فُزِعُوا فزعًا شديدا ، ثم يصعقون. ويبين هذا حديث مسلم ـ المتقدم ـ وفيه " ثم ينفخ في الصور فلا يسمعه أحد إلا أصغى ليتًا ورفع ليتًا . قال: وأول من يسمعه رجل يلوط حوض إبله . قال: فيصعق ويصعق الناس "(١) فذكر النبي صلى الله عليه وسلم أن الناس إذا سمعوا النفخ يصغي كل واحد جهة عنقه ويرفع الأخرى من شدة صوت النفخة ، وهذا هو الفزع الذي يصيبهم . ثم يصعقون .

قال القرطبي : ونظير ذلك : الصيحة الشديدة التي يصيحها الرجل بصبي ، فيفزع منه فيموت(٢) وقال أيضا : ونفخة الفزع هي نفخة الصعق ، لأن الامرين لازمان لها ، أي فزعوا فزعًا ماتوا منه(٣).

وأما استدلالهم بالحديث فإنه ضعيف(٤) لا يحتج به مع معارضته للأحاديث الصحيحة المتقدمة .

١ـ أخرجه مسلم ٤/٢٢٥٨ـ٢٢٥٩، مطولا.

٢ـ انظر التذكرة ٢٣٣.

٣ـ انظر التذكرة ٢٣٦.

٤ـ سبق بيان ضعفه عند تخريجه ص٣٠٩.

وأما القول الثالث فقد قال الحافظ ابن حجر بعد ذكره إياه " وهذا الذي ذكره من كون الثنتين أربعا ليس بواضح . بل هما نفختان فقط ، ووقع التغاير في كل واحد منهما باعتبار من يستمعها ، فالأولى يموت بها كل من كان حيا ويُغْشَى على من لم يمت ممن استثنى الله ، والثانية يعيش بها من مات ويفيق بها من غُشِيَ عليه والله أعلم "(١).

إلا من شاء الله : اختلف المفسرون في المستثنى على أحد عشر قولا وإليك هذه الأقوال باختصار :

القول الأول : التوقف فيهم

قال به قتادة ، والفخر الرازي ، والقاسمي .

القول الثاني : أنهم الشهداء .

قال به سعيد بن جبير ، والحليمي .

القول الثالث : أنهم الموتى .

قال به ابن الزين القرطبي(٢).

القول الرابع : أنهم الأنبياء .

قال به البيهقي .

القول الخامس : أنهم جبريل ، وميكائيل ، وملك

١- انظر فتح الباري ٤٤٦/٦.

٢- هو أحمد بن عمر الأنصاري الأندلسي القرطبي ، أبو العباس يعرف بابن الزين سمع من ابن الدباغ ، وابن قيرة. وعنه القرطبي صاحب التفسير . له كتاب المفهم شرح صحيح مسلم توفي عام ٦٥٦. وانظر الديباج المذهب ٦٨-٧٠. وشجرة النور ١٩٤.

الموت .

ذكره الحافظ ابن حجر في فتح الباري.

القول السادس : أنهم جبريل ، وإسرافيل ، وملك الموت .

قال به السدي ، والكلبي ، ومقاتل .

القول السابع : أنهم جبريل ، وميكائيل ، وإسرافيل ، وملك الموت ، وحملة العرش .

قال به زيد بن أسلم(١).

القول الثامن : أنهم جميع الملائكة .

قال به ابن حزم .

القول التاسع : الولدان والحور العين الذين في الجنة .

قال به الضحاك بن مزاحم .

القول العاشر : أنهم خزنة الجنة وما فيها من الولدان والحور ، وخزنة النار وما فيها من الحيات والعقارب .

قال به الضحاك بن مزاحم أيضا .

القول الحادي عشر : أنه موسى عليه السلام قال به

١- وهذه الاقوال - الخامس والسادس والسابع - مأخوذه من حديث الصور الطويل وسبق بيان ضعفه ص٣٠٩.

جابر بن عبد الله رضي الله عنه (١).

والذي يظهر لي أن القول الأول أولى الأقوال . لأنه لم يأت دليل صحيح صريح يؤيد قولاً غيره من الأقوال المتقدمة ، ثم إن بعض هذه الأقوال غير داخل في لفظ ﴿ السموٰت والأرض ﴾ كخزنة الجنة والنار ومن فيهما .

وبعض هذه الأقوال غير داخل في لفظ ﴿ فزع وصعق ﴾ لأن هذا لا يكون إلا للأحياء(٢). كما قال النبي صلى الله عليه وسلم : " وأول من يسمعه رجل يلوط حوض إبله فيصعق ويصعق الناس "(٣).

فالأولى أن نكل العلم إلى عالمه سبحانه وتعالى . فنؤمن بأن الله قد استثنى بعض خلقه الذين في السماوات والأرض من الفزع والصعق والله أعلم بمراده بهم.

٤- ومن الآيات الدالة على نفخة الصعق قوله تعالى ﴿ما ينظرون إلا صيحة وٰحدة تأخذهم وهم يخصمون فلا يستطيعون توصية ولا إلىٰ أهلهم يرجعون ﴾(٤).

يخصمون : يختصمون ويتشاجرون على عادتهم(٥).

١- انظر هذه الأقوال في تفسير الطبري ٢٤/٢٩-٣١. والبغوي ٣/٤٣١-٤٣٢. والجامع لشعب الإيمان ٢/١٩٥-١٩٩. والتذكرة ٢٠٦-٢١٠. وتفسير القرطبي ١٥/٢٧٩-٢٨١. وتفسير الرازي ٢٤/٢٢٠. وفتح الباري ١١/٣٧٠-٣٧١. ومحاسن التأويل ١٤/٢٦٨.

٢- انظر الجامع لشعب الإيمان ٢/١٩٨. والتذكرة ٢٠٩-٢١٠.

٣- أخرجه مسلم ٤/٢٢٥٨، من حديث طويل.

٤- يس ٤٩-٥٠.

٥- انظر تفسير القرطبي ١٥/٣٨. وابن كثير ٣/٥٧٥.

٥ـ وقوله تعالى ﴿ وما ينظر هؤلاء إلا صيحة وحدة ما لها من فواق ﴾(١).

فواق : أي رجوع ، مأخوذ من فواق الناقة وهو : رجوع اللبن في ضرعها بعد حلبها(٢).

٦ـ وقوله تعالى ﴿ يوم ترجف الراجفة ﴾(٣).

الراجفة : قال ابن عباس : هي النفخة الأولى(٤).
وقال مجاهد : الزلزلة(٥).
وليس بين القولين تعارض فإن هذه الزلزلة تقع بسبب النفخة(٦).

المعنى :
إذا تمت أشراط الساعة الصغرى والكبرى فأول ما يفجأ الناس من يوم القيامة نفخ إسرافيل النفخة الأولى في الصور . فإذا سمعه الناس فزعوا فزعًا شديدا يموتون بسببه .

وإذا تأملنا الآيات التي ذكرت هذه النفخة نجد أن عمومها تهديد للكفار لأنهم هم الذين تقوم عليهم الساعة لقول النبي صلى الله عليه وسلم في حديث عبد الله بن عمرو بعد

١ـ ص ١٥.
٢ـ انظر تفسير القرطبي ١٥/١٥٦. ولسان العرب ـ ١٠/٣١٧.
٣ـ النازعات ٦.
٤ـ أخرجه البخاري معلقا ٧/١٩٣.
٥ـ انظر تفسير الطبري ٣٠/٣٢.
٦ـ انظر تفسير البغوي ٤/٤٤٢.

أن ذكر الدجال وعيسى عليه السلام قال: " ثم يمكث الناس سبع سنين ليس بين اثنين عداوة . ثم يرسل الله ريحًا باردة من قبل الشام . فلا يبقى على وجه الأرض أحد في قلبه مثقال ذرة من خير أو إيمان إلا قبضته . حتى لو أن أحدكم دخل في كبد جبل لدخلته عليه حتى تقبضه " قال: سمعتها من رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال: " فيبقى شرار الناس في خفة الطير وأحلام السباع ، لا يعرفون معروفا ولا ينكرون منكرًا . فيتمثل لهم الشيطان. فيقول : ألا تستجيبون ؟ فيقولون : فما تأمرنا ؟ فيأمرهم بعبادة الأوثان وهم في ذلك دار رزقهم ، حسن عيشهم ثم يُنفخ في الصور . فلا يسمعه أحد إلا أصغى ليتا ورفع ليتا . قال: وأول من يسمعه رجل يلوط حوض إبله . قال: فيصعق ويصعق الناس ... "(١).

وهذه النفخة تقع على الناس بغتة ، وهم منشغلون في دنياهم ويتخاصمون عليها قال تعالى ﴿ ما ينظرون إلا صيحة وٰحدة تأخذهم وهم يخصمون ﴾(٢).

وفي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها فإذا طلعت فرآها الناس آمنوا أجمعون فذلك حين لا ينفع نفسًا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرًا. ولتقومن الساعة وقد نشر الرجلان "ثوبيهما"(٣) بينهما فلا يتبايعانه ولا يطويانه، ولتقومن الساعة وقد انصرف الرجل بلبن لقحته فلا يطعمه ، ولتقومن الساعة وهو يليط حوضه فلا يسقى فيه، ولتقومن

١- أخرجه مسلم ٢٢٥٨/٤-٢٢٥٩، من حديث طويل.
٢- يس ٤٩.
٣- هكذا في نسخة صحيح البخاري وفي نسخة فتح الباري ٣٥٢/١١ ثوبهما ولعله الصواب لموافقته السياق.

الساعة وقد رفع أكلته إلى فيه فلا يطعمها »(١).

١ــ أخرجه البخاري ١٩١/٧، ومسلم ٢٢٧٠/٤، مختصرا.

المبحث الرابع : نفخ إسرافيل في الصور

النفخة الثانية .

بعد نفخة إسرافيل النفخة الأولى يموت جميع الناس ويمكثون أربعين سنة على هذه الحالة .

فإذا أراد الله أن يعيد جميع الناس للحياة مرة ثانية للجزاء والحساب فإنه ينزل عليهم ماء أبيضا ثقيلاً . فتنبت به أجسامهم . ثم يأمر إسرافيل أن ينفخ في الصور مرة ثانية ليقوم الناس لرب العالمين .

وقد ذكر الله هذه النفخة ونتائجها في آيات متعددة من كتابه العزيز فمن ذلك:

١ـ قوله تعالى ﴿ وله الملك يوم ينفخ فى الصور عٰلم الغيب والشهٰدة وهو الحكيم الخبير ﴾(١).

٢ـ وقوله تعالى ﴿ وتركنا بعضهم يومئذ يموج فى بعض ونفخ فى الصور فجمعنٰهم جمعًا ﴾(٢).

معاني المفردات :

يومئذ : يوم يُدَكُّ السد ويساوى في الأرض(٣) فالذين يموجون هم جميع الناس بعضهم مع بعض .

أو يوم أن بنى ذو القرنين السد(٤) ، فالذين يموجون هم يأجوج ومأجوج .

وسياق الآيات يدل على الأول لأن الله تعالى قال قبلها

١ـ الأنعام ٧٣ . وسبق بيانها في المبحث السابق وأنها عامة للنفختين.

٢ـ الكهف ٩٩.

٣ـ انظر تفسير ابن كثير ١٠٦/٣. والجلالين ٢٥٢.

٤ـ انظر تفسير الشوكاني ٣١٥/٣.

﴿ فإذا جاء وعد ربى جعله دكاء ﴾(١) وقال بعدها ﴿ ونفخ فى الصور فجمعنٰهم جمعًا ﴾(٢).
يموج : يضطرب ويختلط(٣).

٣ـ وقوله تعالى ﴿ يوم ينفخ فى الصور ونحشر المجرمين يومئذ زرقا ﴾(٤).

معاني المفردات
ينفخ : قرأ أبو عمرو ﴿ يَنفُخ ﴾ بفتح النون الأولى وضم الفاء ، على إنه فعل مضارع مبنى للمعلوم مسند إلى الله تعالى . ويؤيد هذه القراءة قوله تعالى قبلها ﴿ كذٰلك نقص عليك أنباء ما قد سبق وقد ءاتيٰنك من لدنا ذكرًا ﴾(٥).
وقرأ الباقون ﴿ يُنفَخ ﴾ بضم الياء وفتح الفاء ، على أنه فعل مضارع مبنى للمجهول ، ونائب فاعله الجار والمجرور ﴿ فى الصور ﴾ لقوله تعالى ﴿ ونفخ فى الصور ﴾(٦).
ولا خلاف في معنى القراءتين : فإن الله يأمر إسرافيل أن ينفخ في الصور(٧).

زرقا : أي زرق العيون من شدة العطش . ومن قال : بأن معناه عميا فلا مانع أنهم مع زرق عيونهم لا يبصرون أو أن ليوم القيامة حالات فمن شدة العطش تزرق عيونهم ، ثم

١ـ الكهف ٩٨.
٢ـ الكهف ٩٩.
٣ـ انظر تفسير البغوي ١٨٤/٣. والقرطبي ٦٥/١١،
٤ـ طه ١٠٢.
٥ـ طه ٩٩.
٦ـ الكهف ٩٩.
٧ـ انظر حجة القراءات ٤٦٣. والمغني في توجيه القراءات ٣٢/٣.

يعمون(١).

٤ـ وقوله تعالى ﴿ فإذا نفخ فى الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون ﴾(٢).

معاني المفردات :

نفخ في الصور : اختلف المفسرون في المراد بالنفخة في الآية على قولين :

القول الأول : أنها النفخة الثانية .

رواه الطبري عن ابن مسعود رضي الله عنه(٣).

ويؤيده سياق الآيات ، وذلك أن الله تعالى ذكر قبلها الموت والبرزخ المستمر إلى البعث ﴿ حتىٰ إذا جاء أحدهم الموت قال رب ارجعون لعلى أعمل صٰلحًا فيما تركت كلا إنها كلمة هو قائلها ومن ورائهم برزخ إلىٰ يوم يبعثون ﴾(٤).

وقال بعدها ﴿فمن ثقلت موٰزينه فأولٰئك هم المفلحون﴾(٥).

فالنفخ المذكور في الآية للبعث .

القول الثاني : أنها النفخة الاولي .

رواه الطبري عن ابن عباس ، والسدي(٦).

واحتجوا لذلك بأن الناس إذا بعثوا بعد النفخة الثانية

١ـ انظر تفسير الطبري ٢١٠/١٦. ومعاني القرآن للزجاج ٣٧٦/٣. وتفسير القرطبي ٢٤٤/١١.

٢ـ المؤمنون ١٠١.

٣ـ انظر تفسير الطبري ٥٤/١٨.

٤ـ المؤمنون ٩٩ـ١٠٠.

٥ـ المؤمنون ١٠٢.

٦ـ انظر تفسير الطبري ٥٤/١٨.

يسأل بعضهم بعضًا قال تعالى ﴿ وأقبل بعضهم علىٰ بعض يتساءلون ﴾(١).

أما هذه الآية فلا تساؤل فيها .

والذي يظهر لي بأن القول الأول هو الصحيح لدلالة سياق الآيات عليه . والمعنى إن الناس إذا قاموا من قبورهم بعد النفخة الثانية فإن الأنساب لا قيمة لها. وكل واحد من الكفار يبحث عن نجاة نفسه . قال تعالى ﴿ يود المجرم لو يفتدى من عذاب يومئذ ببنيه وصٰحبته وأخيه وفصيلته التى تؤيه ومن فى الأرض جميعًا ثم ينجيه ﴾(٢).

وأما الآية التي استدل بها أصحاب القول الثاني .

فيجاب عنها : بأن هذا التساؤل يقع بين المؤمنين في الجنة(٣) قال تعالى ﴿ فى جنٰت يتساءلون عن المجرمين ﴾(٤). والآية المماثلة لها في حق الكفار إنما يكون ذلك بعد سوقهم إلى النار قال تعالى قبلها ﴿ فاهدوهم إلىٰ صرٰط الجحيم ﴾(٥).

٥ـ وقوله تعالى ﴿ ونفخ فى الصور فإذا هم من الأجداث إلىٰ ربهم ينسلون قالوا يٰويلنا من بعثنا من مرقدنا هٰذا ما وعد الرحمٰن وصدق المرسلون إن كانت إلا صيحة وٰحدة فإذا هم جميع لدينا محضرون ﴾(٦).

١ـ الصافات ٢٧. وهي في حق الكفار. ومثلها الآية ٢٥ من سورة الطور وهي في حق المؤمنين .

٢ـ المعارج ١١ـ١٤.

٣ـ انظر تفسير القرطبي ١٥١/١٢.

٤ـ المدثر ٤٠ـ٤١.

٥ـ الصافات ٢٣.

٦ـ يس ٥١ـ٥٣.

٩ـ وقوله تعالى ﴿ واستمع يوم يناد المناد من مكان قريب يوم يسمعون الصيحة بالحق ذٰلك يوم الخروج ﴾(١).

يوم يناد المناد من مكان قريب : اختلف المفسرون في معنى هذه الآية على قولين :

القول الأول : إن إسرافيل ينفخ في الصور من مكان قريب بحيث يسمعه جميع الناس على السواء .

وهذا ظاهر كلام الطبري(٢) وبه قال الشيخ السعدي(٣)

وعلى هذا القول يكون قوله تعالى ﴿ يوم يسمعون الصيحة بالحق ﴾(٤) بدل من قوله ﴿يوم يناد المناد ﴾(٥) فالنداء هو نفخ إسرافيل في الصور النفخة الثانية(٦).

القول الثاني : أن إسرافيل أو جبريل ينادي من صخرة بيت المقدس أيتها العظام البالية والأوصال المتقطعة إن الله يأمركن أن تجتمعن لفصل القضاء.

رواه الطبري عن كعب الأحبار . وروي نحوه عن قتادة، وبريدة(٧).

وذكره البغوي عن مقاتل(٨).

١ـ ق الـ٤٢.

٢ـ انظر تفسير الطبري ١٨٣/٢٦. وذلك أنه ساق ما بعد هذا القول بصيغة التمريض .

٣ـ انظر تفسيره ٢٠/٨.

٤ـ ق ٤٢.

٥ـ ق ٤١.

٦ـ انظر تفسير البيضاوي ٤٢٥/٢. والشوكاني ٨١/٥.

٧ـ هو بريدة بن الحصيب بن عبد الله الأسلمي أبو عبد الله . أسلم قبل بدر. واستعمله الرسول صلى الله عليه وسلم على صدقات قومه . توفي بالبصرة عام ٦٣. وانظر تهذيب التهذيب ٤٣٢/١ـ ٤٣٣.

٨ـ انظر تفسير الطبري ١٨٣/٢٦. والبغوي ٢٢٧/٤ـ ٢٢٨.

والذي يظهر لي أن القول الأول هو الراجح لما يأتي:

١ـ أن ما أخرجه الطبري عن كعب ، وقتادة ، فإنه من طريق سعيد بن بشير(١) وهو ضعيف.

وما أخرجه عن بريدة ، فإنه من طريق رجل مبهم(٢).

٢ـ إن أصحاب القول الثاني يقولون : إن الملك يقول: " إن الله يأمركن أن تجتمعن " وهذا يخالف ما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : " ثم يرسل الله ـ أو قال : ينزل الله ـ مطرًا كأنه الطل أو الظل ـ نعمان الشاك ـ فتنبت منه أجساد الناس ثم ينفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون "(٣).

فدل هذا الحديث على أن أجساد الناس تنبت بسبب هذا المطر الذي نزل على الناس في قبورهم فينبتون من عجْب(٤) الذنب الذي لم يبقى فيهم غيره. لقول النبي صلى الله عليه وسلم " كل ابن آدم يأكله التراب إلا عجْب الذنب منه خلق ومنه يركب يوم القيامة "(٥).

١ـ هو سعيد بن بشير الازدي . روى عن قتادة ، والزهري. وعنه وكيع، وابن عيينة ، والوليد بن مسلم . وهو ضعيف الحديث،قال الساجي حدث عن قتادة بمناكير . وقال ابن حبان: يروي عن قتادة ما لا يتابع عليه.توفي عام ١٦٩ تقريبا. وانظر التهذيب ٨/٤ـ١٠. والتقريب ٢٣٤. وعند الطبري اسمه سعيد بن بشر والظاهر لي أنه تصحيف لاني لم أجد أحدا بهذا الاسم . ثم إن هذا الرجل روى عن قتادة وعنه الوليد بن مسلم وهذا هو سند الطبري.

٢ـ حيث قال : ... حدثنا الوليد بن مسلم حدثني بعض أصحابنا عن الاغر عن مسلم بن حيان عن ابن بريدة عن بريدة.

٣ـ أخرجه مسلم ٢٢٥٨/٤ـ٢٢٥٩، مطولا .

٤ـ العجْب : بالسكون العظم الذي في أسفل الصلب . وانظر النهاية لابن الاثير ١٨٤/٤.

٥ـ أخرجه البخاري ٧٩/٦. ومسلم ٢٢٧١/٤ سوى الأنبياء فإن الله حرم لحومهم على الارض وكذلك بعض الصالحين.

ثم ينفخ إسرافيل في الصور فيقومون لله رب العالمين .

١٠ـ وقوله تعالى ﴿ فتول عنهم يوم يدع الداع إلى شيء نكر ﴾(١).

الداع : هو الله سبحانه وتعالى كما قال جل شأنه ﴿يوم يدعوكم فتستجيبون بحمده وتظنون إن لبثتم إلا قليلاً﴾(٢).

أو أنه إسرافيل إذا نفخ في الصور قال تعالى ﴿ يوم ينفخ فى الصور ونحشر المجرمين يومئذ زرقاً ﴾(٣) إلى أن قال جل شأنه ﴿ يومئذ يتبعون الداعى لا عوج له وخشعت الأصوات للرحمٰن فلا تسمع إلا همسًا ﴾(٤).

ولا تعارض بين المعنيين فإن الله يأمر إسرافيل أن ينفخ في الصور ليقوم الناس من قبورهم . وهذا هو دعاؤه إياهم .

١١ـ وقوله تعالى ﴿فإذا نفخ فى الصور نفخة وٰحدة﴾(٥).

١٢ـ وقوله تعالى ﴿ فإذا نقر فى الناقور فذٰلك يومئذ يوم عسير على الكٰفرين غير يسير ﴾(٦).

نقر في الناقور : نفخ في الصور(٧) وهل هي النفخة

١ـ القمر ٦.
٢ـ الإسراء ٥٢.
٣ـ طه ١٠٢.
٤ـ طه ١٠٨.
٥ـ الحاقة ١٣.
٦ـ المدثر ٨ـ١٠.
٧ـ انظر تفسير الطبري ٢٩/١٥٠ـ١٥١. والبيضاوي ٢/٥٤٢.

الثانية أو الأولى قولان محتملان للمفسرين إلا أن الأول أولى لأنه يوم القيامة هو اليوم العسير جدا على الكافرين وهذا اختيار البغوي وأبي السعود(١) ويبينه قوله تعالى ﴿ على الكفرين غير يسير ﴾(٢) فهذا تأكيد يمنع أن يكون عسيرًا عليهم من وجه دون وجه ويشعر بيسره على المؤمنين(٣) وهذا إنما يكون يوم القيامة.

١٣ـ وقوله تعالى ﴿ إن يوم الفصل كان ميقتًا يوم ينفخ فى الصور فتأتون أفوٰجًا ﴾(٤).

١٤ـ وقوله تعالى ﴿يوم ترجف الراجفة تتبعها الرادفة﴾(٥).

الرادفة : هي النفخة الثانية(٦).

١٥ـ وقوله تعالى ﴿ فإنما هى زجرة وٰحدة فإذا هم بالساهرة ﴾(٧).

زجرة واحدة : الصيحة والمراد بها النفخة الثانية(٨).

الساهرة : وجه الأرض وظهرها . أي بعد ما كانوا في باطنها صاروا على ظهرها والعرب تسمي الفلاة ووجه الأرض

١ـ انظر تفسير البغوي ٤١٤/٤. وأبي السعود ٥٦/٩.
٢ـ المدثر ١٠.
٣ـ انظر تفسير القاسمي ٣٣٤/١٦.
٤ـ النبأ ١٧ـ ١٨.
٥ـ النازعات ٦ـ ٧.
٦ـ أخرجه البخاري ١٩٣/٧ عن ابن عباس تعليقا .
٧ـ النازعات ١٣/ ١٤.
٨ـ انظر تفسير الشوكاني ٣٧٠/٥.

ساهرة . ومنه قول أمية بن أبي الصلت(١) :

وفيها لحم ساهرةٍ وبحر وما فاهوا به لهم مقيم (٢)

وسميت بهذا الاسم لأن فيها نوم الحيوان وسهرهم(٣).

المعنى :

إذا أراد الله سبحانه وتعالى محاسبة الخلق يوم القيامة ومجازاتهم بأعمالهم التي عملوها في الدنيا ينزل مطرًا أبيضا مثل الطل فتنبت منه أجساد الناس وبعد اكتمال خلقهم في القبور يأمر الله إسرافيل أن ينفخ في الصور النفخة الثانية ، فيقوم الناس من شدتها لله رب العالمين ، خاشعة أبصارهم، ذاهلة عقولهم . فالكفار يدعون بالويل والثبور قائلين ﴿ يٰويلنا من بعثنا من مرقدنا ﴾(٤) فيجيبهم المؤمنون أو الملائكة ﴿ هٰذا ما وعد الرحمٰن وصدق المرسلون ﴾(٥).

ولعظم هذه النفخة سماها الله بعدة أسماء تحذيرًا للناس من ذلك اليوم فسماها صيحة ، وزجرة ، ونداء المنادي ،

١- هو أمية بن أبي الصلت عبد الله بن أبي ربيعة الثقفي . شاعر جاهلي من أهل الطائف ، وهو أشعرهم . ويذكر في شعره خلق السموات والأرض والملائكة وكاد أن يسلم . وانظر طبقات فحول الشعراء ٢٥٩/١و ٢٦٢. وتهذيب تاريخ ابن عساكر ١١٨/٣-١٣١.

٢- هكذا البيت في مجاز القرآن٢٨٥/٢. والطبري ٣٦/٣٠ والقرطبي ١٩٩/١٩. وعند الفراء ٢٣٢/٣ "ففيها" بدل "وفيها" ومعنى البيت: إن في الجنة لحم صيد ولحم بحر. وكل ما يطلب أهلها يجدوه حاضرًا . وانظر حاشية تفسير الطبري ٣٦/٣٠.

٣- انظر تفسير الطبري ٣٥/٣٠-٣٧. والقرطبي ١٩٨/١٩-١٩٩. وابن كثير ٤٦٨/٤. وأما ما قيل أنها أرض الشام ، أو أنها أرض بيت المقدس ، أو أنها جانب بيت المقدس ، أو أنها جهنم فقد تعقب ابن كثير ٤٦٨/٤ هذه الاقوال بقوله " وهذه أقوال كلها غريبة والصحيح أنها الارض ووجهها الاعلى ".

٤- يس ٥٢.

٥- يس ٥٢.

ودعوة الداع ، ونقر في الناقور ، والرادفة.

فإذا قام الناس في هذا الذهول العظيم مجيبين دعوة الحق يأتي دور الملائكة فتطمئن المؤمنين من هذا الفزع وتهين الكافرين وتحتقرهم .

الفصل الثالث : موقف الملائكة من الإنسان يوم القيامة
وفيه ستة مباحث :

المبحث الأول : تلقي الملائكة المؤمنين إذا خرجوا من قبورهم ·

المبحث الثاني : تلقي الملائكة الكفار إذا خرجوا من قبورهم ·

المبحث الثالث : شهادة الملائكة للمؤمنين ، وشهادتهم على الكافرين ·

المبحث الرابع : شفاعة الملائكة للمؤمنين ·

المبحث الخامس : سوق الملائكة المؤمنين إلى الجنة ·

المبحث السادس : سوق الملائكة الكفار إلى النار ·

وهذا تفصيل الكلام عن هذه المباحث :

المبحث الأول : تلقي الملائكة للمؤمنين إذا خرجوا من قبورهم

بعد نفخ إسرافيل في الصور النفخة الثانية يقوم الناس من قبورهم خائفين فزعين فتتلقى الملائكة المؤمنين لتطمئنهم وتؤنس وحشتهم .

وفي هذا يقول الله تعالى ﴿ لا يحزنهم الفزع الأكبر وتتلقّهم الملٰئكة هٰذا يومكم الذى كنتم توعدون ﴾(١).

الفزع الأكبر : اختلف المفسرون في المراد به على أربعة أقوال :

القول الأول : أنه بعد النفخة الثانية ، إذا قام الناس من قبورهم .

رواه الطبري بسند ضعيف عن ابن عباس ، ورجحه . لأن من أمن من ذلك الفزع فهو مما بعده أحرى أن يأمن منه . ومن أفزعه ذلك فغير مأمون عليه الفزع مما بعده.(٢).

ويؤيده قوله تعالى ﴿ من جاء بالحسنة فله خير منها وهم من فزع يومئذ ءامنون ﴾(٣).

أي أنهم آمنون في ذلك اليوم من أي فزع .

القول الثاني : أنه النار إذا أُطبقت على أهلها .

قاله سعيد بن جبير ، وابن جريج .

القول الثالث : أنه حين يؤمر بالعبد إلى النار.

١ـ الأنبياء ١٠٣.

٢ـ انظر تفسير الطبري ١٧/٩٨ـ٩٩.

٣ـ النمل ٨٩.

قاله الحسن البصري .

القول الرابع : أنه الموت .
قاله عطاء(١).

والذي يظهر لي أن القول الأول هو الراجح لدلالة سياق الآيات عليه قال تعالى قبلها ﴿ إن الذين سبقت لهم منا الحسنىٰ أولئِكَ عنها مبعدون ﴾(٢).
وقال بعدها ﴿يوم نطوى السماء كطى السجل للكتب﴾(٣).
ولأن الناس إذا خرجوا من قبورهم خرجوا خائفين مذعورين ، فمن رحمة الله بالمؤمنين أن يجعل الملائكة تتلقاهم لتزف لهم البشرى بالأمن والطمأنينة من أهوال يوم القيامة .
تتلقاهم الملائكة : أي تستقبلهم الملائكة إذا خرجوا من قبورهم قائلة لهم هذا يومكم الذي كنتم توعدون(٤).

المعنى :
إذا نفخ إسرافيل في الصور النفخة الثانية خرج الناس من قبورهم خاشعة أبصارهم ، عارية أجسامهم ، حافية أقدامهم، واجفة قلوبهم ، مسرعين إلى الداع. فتتلقى الملائكة المؤمنين لتطمئنهم مما أمامهم من الأهوال العظام كما قال تعالي عن الملائكة إذا نزلوا لقبض روح المؤمن ﴿ نحن أولياؤكم فى

١- انظر هذه الاقوال في تفسير الطبري ٩٨/١٧-٩٩. وابن كثير ٢٠٠/٣.
٢- الأنبياء ١٠١.
٣- الأنبياء ١٠٤.
٤- انظر تفسير ابن كثير ٢٠٠/٣. وروح المعاني ٩٨/١٧-٩٩.

الحيوٰة الدنيا وفى الأخرة ﴾(١) فتسوقهم الملائكة إلى الموقف معززين مكرمين مطمئنين . قال تعالى ﴿ وجاءت كل نفس معها سآئق وشهيد ﴾(٢).

١- فصلت ٣١.
٢- ق ٢١.

المبحث الثاني : تلقي الملائكة للكفار إذا خرجوا من قبورهم

يخرج الكفار من قبورهم يوم القيامة مضطربين خائفين يقولون ﴿ يٰويلنا من بعثنا من مرقدنا ﴾(١). ويقولون ﴿يٰويلنا هٰذا يوم الدين ﴾(٢). فيالها من حسرة وندامة على ما فرطوا في جنب الله . وقد أخبر الله سبحانه وتعالى أنهم إذا قالوا هذا القول فإنهم يجابون عنه .

١ـ بقوله تعالى ﴿ هٰذا ما وعد الرحمٰن وصدق المرسلون ﴾(٣).

٢ـ وقوله تعالى ﴿ هٰذا يوم الفصل الذى كنتم به تكذبون ﴾(٤).

وقد اختلف المفسرون في الذي يجيبهم بهذا الجواب على ثلاثة أقوال :

القول الأول : أنهم الملائكة .

قاله الفراء ، والبيهقي(٥).

القول الثاني : أنهم المؤمنون .

قاله مجاهد ، وقتادة .

القول الثالث : أنهم الكفار .

قاله ابن زيد(٦).

١ـ يس ٥٢.
٢ـ الصافات ٢٠.
٣ـ يس ٥٢.
٤ـ الصافات ٢١.
٥ـ انظر معاني القرآن ٣٨٠/٢. والجامع لشعب الإيمان ٢٠٩/٢.
٦ـ انظر هذين القولين في تفسير الطبري ١٦/٢٣ـ ١٧.

والذي يظهر لي أن كلاً من القول الأول والثاني محتمل إلا أن القول الأول أولى، لأن الناس إذا خرجوا من قبورهم يخرجون فزعين خائفين كل إنسان قد أهمته نفسه فتطمئن الملائكة المؤمنين وتذل الكافرين وتهينهم .

أو أنه من الملائكة والمؤمنين(١). وأما الكفار فإنما يدعون بالحسرة والثبور قائلين يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا . يا ويلنا هذا يوم الدين .

المعنى :

في هاتين الآيتين بيان لحال الكفار حينما يخرجون من قبورهم فزعين خائفين يدعون بالويل والثبور ، فتجيبهم الملائكة على الفور على وجه الإهانة والتبكيت هذا اليوم هو الذي توعدكم الرحمن به وكانت الرسل تتوعدكم به أيضا. وقد صدقوا فيما كانوا يدعونكم إليه . وهذا هو يوم الدين الذي يفصل الله فيه بين الخلائق وكنتم تكذبون به في الدنيا وتنكرونه.

ثم تسوقهم الملائكة إلى عرصات القيامة بشدة وعنف قال تعالى ﴿ وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد ﴾(٢).

ثم تستقبلهم ملائكة أخر بالنار يجرونها ليقربوها إلى الموقف قال تعالى ﴿ وجايء يومئذ بجهنم ﴾(٣) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها "(٤).

فما أشد هذا العذاب على الكفار ، وهو يرون جهنم

١- انظر تفسير القرطبي ٧٢/١٥و٧٢/٢. وابن كثير ٧٥/٣و ٥/٤. وأبي السعود ١٧٢/٧و ١٨٧.

٢- ق ٢١.

٣- الفجر ٢٣.

٤- أخرجه مسلم في صحيحه ٢١٨٤/٤.

قريبة منهم بهذه الضخامة العظيمة ، يجرها أربعة آلاف وتسع
مئة مليون ملك .

المبحث الثالث : شهادة الملائكة للمؤمنين ، وشهادتهم على الكافرين .

إذا وقف الناس في عرصات القيامة بين يدي الله عز وجل لفصل القضاء يطلب سبحانه وتعالى من الملائكة أن تشهد للمؤمنين بأعمالهم الصالحة ، وتشهد على الكفار بأعمالهم السيئة .

وأكثر الآيات في هذا المقام جاءت عامة بدون تخصيص للمؤمنين أو الكافرين ومن ذلك :

١ـ قوله تبارك وتعالى ﴿ وجاىء بالنبيّن والشهداء وقضى بينهم بالحق وهم لا يظلمون ﴾(١).

الشهداء : اختلف المفسرون في المراد بهم في الآية على أربعة أقوال

القول الأول : أنهم الملائكة .

ذكره البغوي عن عطاء ، والقرطبي عن ابن زيد ، وقال به ابن كثير(٢).

ويؤيد هذا المعنى قوله تعالى ﴿ وجاءت كل نفس معها سايق وشهيد ﴾(٣).

القول الثاني : أنهم أمة النبي صلى الله عليه وسلم .

قاله الطبري(٤).

واستدل بقوله تعالى ﴿ وكذلك جعلنكم أمة وسطاً

١ـ الزمر ٦٩.

٢ـ انظر تفسير البغوي ٨٨/٤. والقرطبي ٢٨٣/١٥. وابن كثير ٦٥/٤.

٣ـ ق ٢١.

٤ـ انظر تفسير الطبري ٣٣/٢٤.

لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً ﴾(١).

القول الثالث : أنها الجوارح .
ذكره ابن الجوزي عن ابن زيد(٢).

القول الرابع : أنهم الشهداء الذين قتلوا في سبيل الله .
رواه الطبري عن السدي واستبعده(٣).

الترجيح :
الذي يظهر لي أن ﴿ الشهداء ﴾ لفظ عام يشمل كل من تُطلب منه الشهادة يوم القيامة ، سواء كان هؤلاء أو غيرهم مثل النبي صلى الله عليه وسلم وغيره من جميع الأمم(٤) قال تعالى ﴿ فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هٰؤلاء شهيداً ﴾(٥).
وأما من استبعد قول من قال : أنهم الشهداء فلأنه يؤتى بهم لأنهم شهداء قتلوا في سبيل الله ، لا أنه يؤتى بهم للشهادة . لأن كل مقتول يأتي يوم القيامة شاهدا على قاتله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " يجيء المقتول متعلقاً بالقاتل يقول : يا رب سل هذا فيم قتلني ؟ "(٦).
وسواء كان هذا المقتول قتل في سبيل الله أو قتل

١ـ البقرة ١٤٣.
٢ـ انظر زاد الميسر ١٩٨/٧.
٣ـ انظر تفسير الطبري ٣٣/٢٤.
٤ـ انظر روح المعاني ٣١/٢٤. ومحاسن التأويل ٦١٩/١٤.
٥ـ النساء ٤١.
٦ـ أخرجه أحمد ٣٢٢/١. والترمذي ٢٤٠/٥. والنسائي ٨٤/٧ـ ٨٥. وصححه الشيخ أحمد شاكر في تحقيقه للمسند ٢٨٩/٣. والالباني في صحيح سنن الترمذي ٤٠/٣.

ظلما .

٢ـ وقوله سبحانه وتعالى ﴿ إنا لننصر رسلنا والذين ءامنوا فى الحيوٰة الدنيا ويوم يقوم الأشهٰد ﴾(١).

الأشهاد : جمع شهيد : من الملائكة ، والأنبياء ، والمؤمنين ، والجوارح، وغير ذلك . فكل من طلبت منه الشهادة فإنه يأتي شاهدا يوم القيامة(٢).

٣ـ وقوله تعالى ﴿وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد﴾(٣).

سائق : ملك من الملائكة يسوقها للحساب .
شهيد : قيل فيه نحو ما قيل في " الشهداء " و " الأشهاد".
والأولى أنه : ملك من الملائكة يشهد على الإنسان بكل ما عمل من خير أو شر ، لأن الله ذكر أن هذا الشاهد يأتي معها . كما أن السائق يأتي معها يسوقها(٤). ولقوله تعالى بعدها ﴿ ألقيا فى جهنم كل كفار عنيد ﴾(٥).

٤ـ وقوله تعالى ﴿ وشاهد ومشهود ﴾(٦).
اختلف المفسرون في الشاهد والمشهود على نحو

١ـ غافر ٥١.
٢ـ انظر تفسير القرطبي ١٥/٣٢٢ـ ٣٢٣. وفتح البيان ٨/٢٩٢ـ ٢٩٣.
٣ـ ق ٢١.
٤ـ انظر تفسير الطبري ٢٦/١٦١ـ ١٦٢. وابن كثير ٤/٢٢٦.
٥ـ ق ٢٤.
٦ـ البروج ٣.

عشرين قولا(١)، في كل واحد منها تخصيص بدون مخصص . فالأولى أنها عامة وأن الله أقسم بكل شاهد وبكل مشهود(٢). ومن ذلك : الملائكة يشهدون يوم القيامة على الناس بما عملوا من خير أو شر(٣).

وأما ما أخرجه الترمذي عن أبي هريرة إذ قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " اليوم الموعود يوم القيامة واليوم المشهود يوم عرفة والشاهد يوم الجمعة ... " فإنه ضعيف(٤) فيبقى لفظ الآية على عمومه.

المعنى :

في هذه الآيات بيان لشهادة الملائكة على الناس يوم القيامة بما قدموا من الأعمال الحسنة والسيئة فيشهدون للأنبياء بالبلاغ ويشهدون لجميع المؤمنين بالأعمال الصالحة التي عملوها .

ويشهدون على الكفار بأعمالهم السيئة ليحاسبوا عليها، ويأخذوا جزاءهم الذي يستحقونه. ويبين هذا ما أخرجه مسلم في صحيحه عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كنا عند

١- انظر تفسير الطبري ١٢٨/٣٠-١٣١. والبغوي ٤٦٦/٤-٤٦٧. والقرطبي ٢٨٣/١٩-٢٨٦.

٢- انظر تفسير الطبري ١٣١/٣٠. والقاسمي ١١٠/١٧.

٣- انظر تفسير القرطبي ٢٨٥/١٩. والألوسي ٨٦/٣٠.

٤- أخرجه الترمذي ٤٣٦/٥، وقال "هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث موسى بن عبيدة ، وموسى بن عبيدة يُضَعَّف في الحديث ضعفه يحيى بن سعيد وغيره " . وقال الحافظ في التقريب ٥٥٢ "ضعيف" . وأخرجه الطبري ١٢٩/٣٠ من هذا الطريق . وأخرجه أيضا ١٢٩/٣٠ والطبراني في الكبير ٢٩٨/٣. كلاهما من طريق محمد بن إسماعيل بن عياش قال حدثني أبي . وقال الهيثمي في المجمع ١٣٨/٧ محمد بن إسماعيل بن عياش ضعيف وقال الحافظ في الفتح ٤٦٨ "عابوا عليه أنه حدث عن أبيه بغير سماع.

رسول الله صلى الله عليه وسلم فضحك. فقال " هل تدرون مم أضحك؟ " قال قلنا : الله ورسوله أعلم . قال: " من مخاطبة العبد ربه. يقول : يا رب ألم تجرني من الظلم ؟ قال : يقول: بلى قال: فيقول : فإني لا أجيز على نفسي إلا شاهدا مني. قال: فيقول : كفى بنفسك اليوم عليك شهيدا وبالكرام الكاتبين شهودا . قال فيختم على فيه . فيقال لأركانه: انطقي . قال: فتنطق بأعماله قال: ثم يخلى بينه وبين الكلام قال: فيقول : بعدا لكن وسحقا فعنكن كنت أناضل "(١).

فالملائكة تشهد على الناس بجميع أعمالهم إن خيرًا فخير وإن شرًا فشر . فالمؤمن يرضى بشهادتهم لانهم شهدوا له بما عمل . وأما الكافر فإنه لا يرضى بشادتهم عَلّه يخلص من تبعة أعماله . ولكن الله على كل شيء قدير إذ يخرس لسانه وتتكلم جوارحه بكل ما عمل . فما أعظم قدرة الله تعالى وصدق الله إذ يقول ﴿إنما أمره إذا أراد شيئًا أن يقول له كن فيكون ﴾(٢).

فإن قيل : هل خص الله تعالى بعض الناس بشهادة الملائكة عليه يوم القيامة؟

فالجواب : نعم قد خص الله سبحانه وتعالى الكفار بأن الملائكة تشهد على أعمالهم يوم القيامة وقد ذكر الله ذلك في كتابه العزيز ومن ذلك:

١ـ قوله تعالى ﴿ ومن أظلم ممن افترىٰ على الله كذبًا أولٰئك يعرضون على ربهم ويقول الأشهٰد هٰؤلاء الذين كذبوا

١ـ أخرجه مسلم ٤/٢٢٨٠ـ٢٢٨١.
٢ـ يس ٨٢.

على ربهم ألا لعنة الله على الظّلمين ﴾(١).

٢ـ وقوله تعالى ﴿ ويوم يحشرهم وما يعبدون من دون الله فيقول ءأنتم أضللتم عبادى هٰؤلاء أم هم ضلوا السبيل قالوا سبحٰنك ما كان ينبغى لنا أن نتخذ من دونك من أولياء ولكن متعتهم وءاباءهم حتىٰ نسوا الذكر وكانوا قومًا بورًا فقد كذبوكم بما تقولون فما تستطيعون صرفًا ولا نصرًا ومن يظلم منكم نذقه عذابًا كبيرًا ﴾(٢).

وما يعبدون : كل من عبد من دون الله وهو غير راضي بالعبادة كعيسى وعزير والملائكة(٣).

بورا: من البوار وهو الهلاك(٤).

٣ـ وقوله تعالى ﴿ ويوم يحشرهم جميعًا ثم يقول للملٰئكة أهٰؤلاء إياكم كانوا يعبدون قالوا سبحٰنك أنت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن أكثرهم بهم مؤمنون ﴾(٥).

المعنى :

دلت هذه الآيات على أن الملائكة يشهدون على الكفار بأعمالهم التي عملوها في الدنيا .

فيشهدون عليهم أنهم كاذبون فيما افتروه على ذات الله تعالى كقول اليهود عزير ابن الله ، وقول النصارى المسيح ابن الله ، وقول بعض مشركي العرب الملائكة بنات الله .

١ـ هود ١٨.
٢ـ الفرقان ١٧ـ١٩.
٣ـ انظر تفسير ابن كثير ٣/٣١٣.
٤ـ انظر تفسير القرطبي ١٣/١١.
٥ـ سبأ ٤٠ـ٤١.

أو فيما افتروه في شرع الله كتحريم ما أحل الله ، أو تحليل ما حرم الله .

قال تعالى ﴿ ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هٰذا حلٰل وهٰذا حرام لتفتروا على الله الكذب إن الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون ﴾(١).

ويشهدون عليهم أنهم قد نُعموا وأُترفوا في الحياة الدنيا وطال عليهم الأمل حتى نسوا ذكر الله وعبادته سبحانه وتعالى .

ويشهدون عليهم أنهم يعبدون الجن وعلى رأسهم إبليس وذريته . قال تعالى ﴿ أفتتخذونه وذريته أولياء من دونى وهم لكم عدو بئس للظٰلمين بدلاً ﴾(٢).

فيصرفون لهم شيئا من أنواع العبادة كالدعاء ، أو الذبح ، أو الاستغاثة.

قال تعالى ﴿ وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقاً ﴾(٣).

أي: خوفا .

فالملائكة تشهد بهذه الشهادات العظيمة التي رأتها في الدنيا لتقوم بما طلب الله منها ، ولتبرىء نفسها من رضاها بعبادة المشركين لها.

١- النحل ١١٦.
٢- الكهف ٥٠.
٣- الجن ٦.

المبحث الرابع : شفاعة الملائكة للمؤمنين .

يأذن الله سبحانه وتعالى يوم القيامة للشفعاء بالشفاعة لمن شاء من عباده. قال تعالى ﴿ من ذا الذى يشفع عنده إلا بإذنه ﴾(١). وقال سبحانه ﴿ يومئذ لا تنفع الشفعة إلا من أذن له الرحمٰن ورضى له قولاً ﴾(٢).

ومن هؤلاء الشفعاء الملائكة فإنهم يشفعون للمؤمنين وقد ذكر الله ذلك في كتابه ومن ذلك :

١ـ قوله تعالى ﴿ يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يشفعون إلا لمن ارتضىٰ وهم من خشيته مشفقون ﴾(٣).

مشفقون : خائفون(٤).

٢ـ وقوله تعالى ﴿ وكم من ملك فى السمٰوٰت لا تغنى شفٰعتهم شيئاً إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضىٰ ﴾(٥).

المعنى :

في هاتين الآيتين دليل على شفاعة الملائكة للمؤمنين يوم القيامة . فتشفع لأهل الجنة أن يرفع الله درجاتهم .

وتشفع للعصاة أن يخرجوا من النار ويدخلوا الجنة . ويوضح هذا قول الرسول صلى الله عليه وسلم في حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه " ... فيقول الله عز وجل : شفعت الملائكة وشفع النبيون وشفع المؤمنون ولم يبق إلا أرحم الراحمين فيقبض قبضة من النار فيخرج منها قومًا لم

١ـ البقرة ٢٥٥.
٢ـ طه ١٠٩.
٣ـ الأنبياء ٢٨.
٤ـ انظر تفسير غريب القرآن ٢٨٥. والمفردات ٣٦٤.
٥ـ النجم ٢٦.

يعملوا خيرًا قط ...»(١).

١ـ أخرجه مسلم ١/١٦٧ـ١٧١، من حديث الشفاعة الطويل.

المبحث الخامس : سوق الملائكة المؤمنين إلى الجنة

إذا قضى الله سبحانه وتعالى بين الخلائق يوم القيامة. فإن الملائكة تسوق المؤمنين إلى الجنة . وقد ذكر الله ذلك في كتابه العزيز . ومن ذلك :

١ـ قوله تبارك وتعالى ﴿ يوم نحشر المتقين إلى الرحمٰن وفداً ﴾(١).

وفدا : كحشر الوفود إلى الملوك ، أو ركباناً(٢) ولا مانع من اجتماع الأمرين .

٢ـ وقوله تعالى ﴿ وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمرًا ﴾(٣).

زمرًا : جماعات(٤).

المعنى :

يأمر الله تعالى الملائكة ـ بعد انتهاء الفصل بين الخلائق ـ أن تسوق المؤمنين معززين مكرمين إلى الجنة فهم يفدون على الجنة كما تفد الوفود على الملوك في الدنيا في عزة وكرامة وتسوقهم جماعات جماعات على حسب مراتبهم وعلو طبقاتهم : الأنبياء مع الأنبياء ، والصديقون مع أشكالهم. والشهداء مع أضرابهم ، والعلماء مع أقرانهم ، وكل صنف مع صنف وكل زمرة يناسب بعضها بعضا(٥).

١ـ مريم ٨٥.
٢ـ انظر تفسير الطبري ١٣٦/١٦ـ ١٣٧. والقرطبي ١٥١/١١. والبيضاوي ٤٠/٢.
٣ـ الزمر ٧٣.
٤ـ انظر تفسير ابن كثير ٦٦/٤.
٥ـ انظر تفسير ابن كثير ٦٦/٤.

المبحث السادس : سوق الملائكة الكفار إلى النار .

في آيات كثيرة من القرآن يذكر الله سبحانه وتعالى سوق الملائكة الكفار سوقا عنيفا مهينا إلى نار جهنم . ومن ذلك :

١ـ قوله تعالى ﴿ قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون إلىٰ جهنم وبئس المهاد ﴾(١).

٢ـ وقوله تعالى ﴿ونسوق المجرمين إلىٰ جهنم وردا﴾(٢)

وردا : عطاشا(٣).

٣ـ وقوله تعالى ﴿ الذين يحشرون علىٰ وجوههم إلىٰ جهنم أولئك شر مكانا وأضل سبيلا ﴾(٤).

٤ـ وقوله تعالى ﴿ احشروا الذين ظلموا وأزوٰجهم وما كانوا يعبدون من دون الله فاهدوهم إلىٰ صرٰط الجحيم وقفوهم إنهم مسئولون ما لكم لا تناصرون بل هم اليوم مستسلمون ﴾(٥).

أزواجهم : أمثالهم ، وأشباههم ، ونظائرهم . وهو مثل قوله تعالى ﴿ وكنتم أزوٰجا ثلٰثة ﴾(٦)، وقوله ﴿ وإذا النفوس زوجت ﴾(٧).

١ـ آل عمران ١٢.
٢ـ مريم ٨٦.
٣ـ انظر تفسير الطبري ١٢٧/١٦ـ ١٢٨. وابن كثير ١٣٩/٣.
٤ـ الفرقان ٣٤.
٥ـ الصافات ٢٢ـ ٢٦.
٦ـ الواقعة ٧.
٧ـ التكوير ٧. وانظر تفسير الطبري ٤٦/٣٠ـ ٤٧. والقاسمي ١٠١/١٤.

. وأما ما روي عن ابن عباس أنه قال : أزواجهم نساءهم فقال قال ابن كثير : "هذا غريب والمعروف عنه الأول كما رواه مجاهد ، وسعيد بن جبير عنه"(١).

وما كانوا يعبدون من دون الله : كل من عبد من دون الله فإنه يحشر مع عابديه يوم القيامة . إلا من لم يرضى بالعبادة من المكلفين. فإنه غير داخل في هذا الوعيد لأنهم حشروا ليلقوا في جهنم . والله يقول ﴿ إن الذين سبقت لهم منا الحسنىٰ أولٰئك عنها مبعدون ﴾(٢).

اهدوهم : إما بمعنى : دلوهم أو بمعنى : سوقوهم لقوله ﴿ احشروا ﴾ ولا مانع من الأمرين جميعًا فإن الملائكة تدل الكفار وترشدهم إلى طريق جهنم ، ثم تسوقهم إليه(٣).

وقفوهم : احبسوهم(٤).

٥ـ وقوله تعالى ﴿وسيق الذين كفروا إلىٰ جهنم زمرًا﴾(٥).

٦ـ وقوله تعالى ﴿ ويوم تقوم الساعة أدخلوا ءال فرعون أشد العذاب ﴾(٦).

١ـ انظر تفسير ابن كثير ٤/٥.
٢ـ الأنبياء ١٠١.
٣ـ انظر تفسير القرطبي ١٥/٧٣.
٤ـ انظر تفسير البغوي ٤/٢٥. والخازن ٦/٢٠.
٥ـ الزمر ٧١.
٦ـ غافر ٤٦.

أدخلوا : قرأ ابن كثير ، وأبو عمرو ، وابن عامر ، وشعبة ﴿ ادْخُلوا ﴾ بهمزة وصل ، وضم الخاء . وإذا ابتدوا ضموا الهمزة على أنه فعل أمر من " دخل " الثلاثي ، والمعنى : ادْخُلوا يا آل فرعون أشد العذاب . وحجتهم في ذلك قوله تعالى ﴿ ادْخُلوا أبوٰب جهنم ﴾(١). وقوله تعالى ﴿ ادْخُلوا فى أمم قد خلت من قبلكم من الجن والإنس فى النار ﴾(٢).

وقرأ الباقون : ﴿ أدْخِلوا ﴾ بهمزة قطع مفتوحة في الحالين ، وكسر الخاء على أنه فعل أمر من " أدخل " الرباعي . والتقدير : أَدْخِلوا أيها الملائكة آل فرعون أشد العذاب . وحجتهم في ذلك أن الكلام أتى عقيب الفعل الواقع من الملائكة وهو قوله ﴿ النار يعرضون عليها ﴾ فجعل الإدخال واقعًا منهم ليأتلف الكلام على طريق واحد(٣).

٧ـ وقوله تعالى ﴿ ويوم يحشر أعداء الله إلى النار فهم يوزعون ﴾(٤).

يوزعون : مأخوذ من وزعته عن كذا إذا كففته عنه والمعنى : إن الملائكة تكف وتحبس أولهم على آخرهم حتى يجتمعوا ثم يلقوا جميعًا في جهنم(٥).

٨ـ وقوله تعالى ﴿ ألقيا فى جهنم كل كفار عنيد مناع للخير معتد مريب الذى جعل مع الله إلٰهًا ءاخر فألقياه فى العذاب الشديد ﴾(٦).

١ـ غافر ٧٦.
٢ـ الأعراف ٣٨.
٣ـ انظر حجة القراءات ٦٣٣ـ٦٣٤. والمغني في توجيه القراءات ٢١٤/٣.
٤ـ فصلت ١٩.
٥ـ انظر المفردات ٥٢٢ـ٥٢٣. والقرطبي ٣٥٠/١٥. وأبي السعود ٩/٨.
٦ـ ق ٢٤ـ٢٦.

القيا : هذا أمر من الله تعالى إلى الملكين بطرح الكافر في النار، وهما إما السائق والشهيد ، أو ملكان من خزنة جهنم (١). وسياق الآيات يدل على الأول قال تعالى قبلها ﴿وجآت كل نفس معها سابق وشهيد ﴾(٢).

٩ـ وقوله تعالى ﴿ يعرف المجرمون بسيمٰهم فيؤخذ بالنوٰصى والأقدام ﴾(٣).

سيماهم : علامات تظهر عليهم كسواد الوجه وزرقة العين(٤) قال تعالى ﴿ ويوم القيٰمة ترى الذين كذبوا على الله وجههم مسودة ﴾(٥). وقال سبحانه ﴿ ونحشر المجرمين يومئذ زرقاً ﴾(٦).

النواصي : جمع ناصية وهي : مقدمة الرأس . وذلك أن الملائكة تجمع بين ناصية الكافر وقدميه بسلسلة وتجره إلى النار ، أو أنها تجره مرة مع مقدمة رأسه ومرة مع قدميه على وجهه. ولا مانع من وقوع الجميع عليه فيفعل به هذا مرة وهذا مرة ، أو هذا لبعض الكفار وهذا لبعض(٧).

١٠ـ وقوله تعالى ﴿ خذوه فغلوه ثم الجحيم صلّوه ﴾(٨).

غلوه : شدوا يديه إلى عنقه بالأغلال(٩).

١ـ انظر تفسير ابن كثير ٢٢٧/٤. والألوسي ١٨٥/٢٦.
٢ـ ق ٢١.
٣ـ الرحمن ٤١.
٤ـ انظر تفسير البغوي ٢٧٢/٤. والشوكاني ١٣٨/٥.
٥ـ الزمر ٦٠.
٦ـ طه ١٠٢.
٧ـ انظر تفسير ابن كثير ٢٧٦/٤. والخازن ٨/٧. والشوكاني ١٣٨/٥.
٨ـ الحاقة ٣٠ـ٣١.
٩ـ انظر زاد الميسر ٣٥٣/٨. والقرطبي ٣٧٢/١٨.

صلّوه : أدخلوه الجحيم(١).

المعنى :

بين الله تعالى في هذه الآيات كيف تسوق الملائكة الكفار إلى نار جهنم.

فبعد أن ينتهي الحساب والكفار على ما هم عليه من العطش يأمر الله الملائكة أن تسوقهم إلى النار جماعات جماعات . كل واحد مع نظرائه . فالكافر مع الكافر ، والمشرك مع المشرك ، والمنافق مع المنافق ، وهكذا .

ويحشرون مع الذين عبدوهم من دون الله وهذا فيه إهانة عظيمة للعابد والمعبود، والتابع والمتبوع. فتسحبهم الملائكة إلى النار وقد غلّت أيديهم إلى أعناقهم قال تعالى ﴿ وأسروا الندامة لما رأو العذاب وجعلنا الأغلّل فى أعناق الذين كفروا هل يجزون إلا ما كانوا يعملون ﴾(٢).

فمنهم من تسحبه وتجره على وجهه كما في الصحيحين عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رجلا قال: يا نبي الله كيف يحشر الكافر على وجهه ؟ قال: أليس الذي أمشاه على الرجلين في الدنيا قادرًا على أن يمشيه على وجهه يوم القيامة * قال قتادة: بلى وعزة ربنا(٣).

قال الحافظ ابن حجر: والحكمة في حشر الكافر على وجهه أنه عوقب على عدم السجود لله في الدنيا بأن يسحب على وجهه في القيامة ، إظهارًا لهوانه بحيث صار وجهه مكان

١- انظر تفسير الجلالين ٤٨٤.
٢- سبأ ٣٣.
٣- أخرجه البخاري ١٩٤/٧-١٩٥. ومسلم ٢١٦١/٤. وأخرجه الحاكم ٤٠٢/٢ بلفظ * كيف يحشر أهل النار على وجوههم * وصححه ووافقه الذهبي.

يده ورجله في التوقي عن المؤذيات(١).

ومنهم من تجره بمقدمة رأسه وقدميه قال تعالى ﴿يعرف المجرمون بسيمٰهم فيؤخذ بالنوٰصى والأقدام ﴾(٢).

وقبل وصولهم إلى النار يوقفون ليسألوا سؤال إهانة وتعجيز ﴿ ما لكم لا تناصرون ﴾(٣) لماذا لا ينصر الرئيس المروس ، والمتبوع أتباعه . ولماذا لا ينتصر الحراس ويمنعوا الملائكة من جر ملوكهم ورؤسائهم إلى النار. وهم في الدنيا يحرسونهم أشد الحراسة .

ولكن حالهم يومئذ أنهم مستسلمون منقادون بأيدي الملائكة ليقذفوهم في النار وبئس القرار .

١- انظر فتح الباري ١١/٣٨٢-٣٨٣.
٢- الرحمن ٤١.
٣- الصافات ٢٥.

الفصل الرابع : علاقة الملائكة بالإنسان في الجنة والنار وفيه ستة مباحث :

المبحث الأول : الملائكة الموكلون بالجنة ، وأهلها .

المبحث الثاني : الملائكة الموكلون بالنار ، وأهلها .

المبحث الثالث : فتح الملائكة أبواب الجنة للمؤمنين .

المبحث الرابع : فتح الملائكة أبواب النار للكفار وقذفهم فيها .

المبحث الخامس : تنعيم الملائكة المؤمنين في الجنة .

المبحث السادس : تعذيب الملائكة الكفار في النار .

وهذا تفصيل الكلام عن هذه المباحث حسب ترتيبها :

المبحث الأول : الملائكة الموكلون بالجنة ، وأهلها .

وكل الله سبحانه وتعالى بعض ملائكته بالجنة ليقوموا بها وبأهلها أحسن قيام.

وقد ذكر الله ذلك في كتابه العزيز . ومن ذلك :

١ـ قوله تعالى ﴿ والملٰئكة يدخلون عليهم من كل باب سلٰم عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار ﴾(١).

٢ـ وقوله تعالى ﴿ حتىٰ إذا جاءوها وفتحت أبوٰبها وقال لهم خزنتها سلٰم عليكم طبتم فادخلوها خٰلدين ﴾(٢).

خزنتها : الخزنة جمع خازن . مثل : خدم وخادم. وسموا بذلك لأنهم مؤتمنون عليها(٣).

المعنى :

من نعم الله سبحانه وتعالى على المؤمنين أن وكل بالجنة بعض ملائكته للقيام بإعدادها واستقبال أهلها وتنعيمهم فيها أبد الآبدين .

وخزنة الجنة لهم رئيس وهو الذي يقول فيه النبي صلى الله عليه وسلم : " آتي باب الجنة يوم القيامة فاستفتح . فيقول الخازن : من أنت فأقول : محمد . فيقول : بك أمرت لا أفتح لأحد قبلك "(٤).

وقال ابن كثير : وخازن الجنة يقال له : رضوان جاء

١ـ الرعد ٢٣ـ ٢٤.

٢ـ الزمر ٧٣.

٣ـ انظر المفردات ١٤٦ـ ١٤٧. وعمدة الحفاظ ١٥٤.

٤ـ أخرجه مسلم ١/١٨٨.

مصرحًا به في بعض الأحاديث(١).

وقال ابن القيم : " قد سمى الله سبحانه وتعالى كبير هذه الخزنة رضوان وهو اسم مشتق من الرضا "(٢).

ولم أجد ما يدل على هذا الإسم سوى حديثين ضعيفين:

الأول : أخرجه الواحدي وابن عساكر في تاريخه عن ابن عباس رضي الله عنهما أن جبريل قال للنبي صلى الله عليه وسلم " يا محمد أبشر هذا رضوان خازن الجنة فأقبل رضوان حتى سلم ثم قال : يا محمد رب العزة يقرئك السلام ... "(٣).

والثاني : ما رواه الضحاك عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم وفيه " ... فيقول الله : يا رضوان افتح أبواب الجنان ... " ذكره ابن رجب وتعقبه بقوله " وهذا منقطع فإن الضحاك لم يسمع من ابن عباس "(٤).

١ـ انظر البداية والنهاية ٤٥/١.

٢ـ انظر حادي الأرواح ١٠٢.

٣ـ انظر أسباب النزول للواحدي ٣٤٥ـ٣٤٦. ونسبه السيوطي في الحبائك ٦٧ لابن عساكر في التاريخ ، من طريق جويبر عن الضحاك عن ابن عباس . قال الحافظ في التقريب ١٤٣ : جويبر ضعيف جدا . وقال عن الضحاك ٢٨٠: صدوق كثير الإرسال وقال عبد الملك بن ميسرة ، والقطان ، وابن حبان: لم يلقى الضحاك ابن عباس . وانظر تهذيب التهذيب ٤٥٣/٤ـ٤٥٤.

٤ـ انظر التخويف من النار ٦٩.

المبحث الثاني : الملائكة الموكلون بالنار ، وأهلها

وكل الله سبحانه وتعالى بعض ملائكته بالنار ليوقدوها، ويعذبوا أهلها . وقد ذكر الله هؤلاء الخزنة في عدة مواضع من كتابه . ومن ذلك :

١ـ قوله تعالى ﴿ وقال لهم خزنتها ألم يأتكم رسل منكم يتلون عليكم ءايت ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هٰذا ﴾(١).

٢ـ وقوله تعالى ﴿ ونادوا يٰملك ليقض علينا ربك قال إنكم مٰكثون ﴾(٢).

٣ـ وقوله تعالى ﴿ عليها ملٰئكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ﴾(٣).

٤ـ وقوله تعالى ﴿ عليها تسعة عشر وما جعلنا أصحٰب النار إلا ملٰئكة وما جعلنا عدتهم إلا فتنة للذين كفروا ليستيقن الذين أوتوا الكتٰب ويزداد الذين ءامنوا إيمٰنا ولا يرتاب الذين أوتوا الكتٰب والمؤمنون وليقول الذين فى قلوبهم مرض والكٰفرون ماذا أراد الله بهٰذا مثلاً ﴾(٤).

تسعة عشر : اختلف المفسرون في هذا العدد على قولين :

القول الأول : أنهم تسعة عشر فقط .

وهذا قول الجمهور .

١ـ الزمر ٧١.
٢ـ الزخرف ٧٧.
٣ـ التحريم ٦.
٤ـ المدثر ٣٠ـ٣١.

لقوله بعدها ﴿ وما جعلنا أصحٰب النار إلا ملٰئكة ﴾(١) أي ليسوا بقوة البشر كما يتوهم الكفار أنهم قادرون عليهم . وإنما هم من الملائكة . فكما أن ملكاً واحداً يقبض أرواح جميع الناس فإن قدرة هؤلاء على تعذيب الكفار من باب أولى.

فهذا العدد ابتلاء للكفار وإلا فملك واحد قادر عليهم .

ولأن الله ذكر هذا العدد على سبيل التهديد للكفار وامتحانا لهم(٢).

القول الثاني : أن الرؤساء تسعة عشر وتحت كل واحد أعداد كثيرة من الملائكة.

وهذا اختيار القرطبي ، وابن كثير(٣).

لقوله تعالى بعدها ﴿ وما يعلم جنود ربك إلا هو ﴾(٤).

الترجيح :

الذي يظهر لي أن الأول هو الأولى . لدلالة لفظ الآية عليه . فهو مقطوع به وما زاد عليه يحتاج إلى دليل .

وأما ما استدل به أصحاب القول الثاني فيجاب عنه : بأن هذه الآية عامة في كل جنود الله . فلا يعلمهم إلا هو سبحانه وتعالى وأما خزنة النار فقد أخبرنا الله بعددهم وأنهم تسعة عشر(٥).

ثم إن النبي صلى الله عليه وسلم علم عدد خزنة جهنم. لحديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: خرج

١- المدثر ٣١.
٢- انظر تفسير الطبري ١٦١/٢٩-١٦٢. والقرطبي ٧٩/١٩. والتخويف من النار ١٧٢.
٣- انظر تفسير القرطبي ٨٠/١٩. وابن كثير ٤٤٤/٤.
٤- المدثر ٣١.
٥- وسيأتي في الشرح زيادة معنى لتوضيح الحكمة من هذا العدد .

علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يومًا كالمودع، فقال " أنا محمد النبي الأمي ، قاله ثلاث مرات. ولا نبي بعدي. أوتيت فواتح الكلم ، وخواتمه ، وجوامعه ، وعلمت خزنة النار ، وحملة العرش ... "(١).

٥ـ وقوله تعالى ﴿ فليدع ناديه سندع الزبانية ﴾(٢).

المعنى :

ذكر الله في هذه الآيات أنه وكل بالنار بعض ملائكته ليقوموا عليها ويعذبوا أهلها وعددهم تسعة عشر وقد ذكر الله خمس حِكَم تستفاد من حصر الخزنة بهذا العدد:

١ـ فتنة الكافرين : فيكون ذلك زيادة في كفرهم وضلالهم .

٢ـ قوة يقين أهل الكتاب : فيقوى يقينهم بموافقة الخبر بذلك لما عندهم(٣)، فتقوم الحجة على معاندهم، وينقاد للإيمان من يرد الله أن يهديه .

٣ـ زيادة إيمان الذين آمنوا بكمال تصديقهم بذلك والإقرار به .

٤ـ انتفاء الريب عن أهل الكتاب لجزمهم بذلك ، وعن المؤمنين لكمال تصديقهم به .

٥ـ حيرة الكفار ، ومن في قلبه مرض عن فهم المراد بذلك فيقولون : ﴿ ماذا أراد الله بهذا مثلاً ﴾(٤).

١ـ الحديث أخرجه أحمد ١٧٢/٢، بإسنادين وحسن الشيخ أحمد شاكر السند الاول ، وصحح الثاني في تحقيقه للمسند ١٠٧/١٠ـ١٠٨.

٢ـ العلق ١٧ـ١٨ وسبق ذكر معاني المفردات في مبحث إنذار الله لابي جهل بواسطة الملائكة ص ١٣٩ـ١٤٢.

٣ـ أخرج الطبري ١٦١/٢٩ عن مجاهد وقتادة والضحاك أنهم قالوا: عدد خزنة جهنم في التوراة والإنجيل تسعة عشر.

٤ـ المدثر ٣١. وانظر اغاثة اللهفان ٢٠/١ـ٢١.

وهؤلاء الملائكة قبيحة أخلاقهم مع أهل النار، شديد تعذيبهم لهم، يُفْزِعون بأصواتهم ، ويزعجون بمنظرهم، وينفذون كل ما وكّله الله إليهم(١).

ورئيسهم مالك عليه السلام . وهو مشتق من المُلك وهو: القوة والشدة(٢).

قال تعالى عن أهل النار ﴿ ونادوا يٰملك ليقض علينا ربك قال إنكم مٰكثون ﴾(٣).

وفي صحيح البخاري في قصة رؤيا النبي صلى الله عليه وسلم الطويلة. قال فيها : " ... فأتينا على رجل كريه المرآة(٤) كأكره ما أنت راء رجلاً مرآة. وإذا عنده نار يحشها(٥) ويسعى حولها قال قلت لهما : ما هذا قال قالا لي: ... مالك خازن النار..."(٦).

١- انظر تفسير السعدي ١٤٦/٨.
٢- انظر حادي الأرواح ١٠٢. ولسان العرب ٤٩٢/١٠.
٣- الزخرف ٧٧.
٤- المرآة : بفتح الميم وسكون الراء وهمزة ممدودة بعدها هاء التأنيث أي : كريه المنظر . وأصلها المراية . وهي : الآلة التي ينظر فيها ، ولما تحركت الياء وانفتح ما قبلها قلبت ألفا. وانظر عمدة القارى، ٥٥/٢٠.
٥- يحشها : يوقدها . وانظر الصحاح ١٠٠١/٣.
٦- أخرجه البخاري ٨٥/٨-٨٦.

المبحث الثالث : فتح الملائكة أبواب الجنة للمؤمنين

بعد اجتياز المؤمنين الصراط يوقفون على قنطرة بين الجنة والنار، ليُقْتَص لبعضهم من بعض في المظالم التي كانت بينهم في الدنيا. ثم يؤمرون بالتوجه إلى الجنة فتفتح لهم الملائكة أبوابها .

وقد ذكر الله ذلك في كتابه الكريم ومن ذلك :

١ـ قوله تعالى ﴿ وإن للمتقين لحسن مئاب جنٰت عدن مفتحة لهم الابوٰب ﴾(١).

عدن : إقامة. يقال : عدن بالمكان إذا أقام به(٢).

٢ـ وقوله تعالى ﴿ وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمرًا حتىٰ إذا جاءوها وفتحت أبوٰبها وقال لهم خزنتها سلٰم عليكم طبتم فادخلوها خٰلدين ﴾(٣).

اختلف المفسرون والنحويون في معنى الواو في قوله ﴿ وفتحت ﴾ على أربعة أقوال:

القول الأول : أنها حالية وجواب إذا محذوف والتقدير : حتى إذا جاءوها جاءوها وفتحت أبوابها . فالأبواب فتحت بعد مجيئهم . أو التقدير : حتى إذا جاءوها وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها : سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين دخلوها أو سعدوا.

وهذا رأي البصريين .

١ـ ص ٤٩ـ٥٠.
٢ـ انظر تفسير القرطبي ٢١٩/١٥.
٣ـ الزمر ٧٣.

القول الثاني : أنها زائدة(١) والمعنى: إذا جاءوها فتحت أبوابها. وهذا رأي الكوفيين(٢).

القول الثالث : أنها حالية وجواب إذا ﴿ وقال لهم خزنتها ﴾.
والمعنى : حتى إذا جاءوها وقد فتحت أبوابها ، أي أن أبوابها قد فتحت قبل وصولهم إليها بخلاف النار، لقوله تعالى ﴿ جنّٰت عدن مفتحة لهم الأبوٰب ﴾(٣).
ذكره النحاس ، والزمخشري(٤).

القول الرابع : أنها واو الثمانية وذلك إن من عادة قريش إذا بلغوا السبعة قالوا وثمانية مثل قوله تعالى ﴿ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم ﴾(٥). وأخذوا من هذا أن أبواب الجنة ثمانية(٦).
الترجيح :
الذي يظهر لي أن القول الأول والثاني هما أرجح الأقوال وإن اختلفا في إعراب "الواو" إلا أن معناهما واحد وذلك إن المؤمنين إذا وصلوا الجنة وجدوها مغلقة . فيقرع النبي صلى الله عليه وسلم بابها فيفتح له كما دلت على ذلك السنة(٧).

١- وليس في القرآن شيء زائد لا حاجة إليه ، ولكنها زائدة إعرابًا.
٢- انظر هذين القولين في معاني القرآن للأخفش ٦٧٣/٢. وإعراب القرآن للنحاس ٢٢/٤-٢٣. ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج ٣٦٣/٤-٣٦٤. وحجة القراءات ٦٢٦.
٣- ص ٥٠.
٤- انظر إعراب القرآن ٢٣/٤. ونسبه إلى بعض أهل العلم والكشاف ٣٥٨/٣.
٥- الكهف ٢٢.
٦- انظر إعراب القرآن للنحاس ٢٣/٤.
٧- سيأتي في الشرح ذكر شيء من هذه الأحاديث.

وأما القول الثالث : فإنه معارض للأحاديث الدالة على أن المؤمنين إذا وصلوا الجنة وجدوها مغلقة(١).

وأما القول الرابع : فيجاب عنه بأن الواو لم تدخل على الأبواب وإنما دخلت على جملة فيها الأبواب فليست الآية من هذا الباب(٢).

طبتم : أي طابت أعمالكم وأقوالكم . وطاب سعيكم ، وجزاؤكم(٣).

المعنى :

ذكر الله سبحانه وتعالى في هاتين الآيتين أن الملائكة تفتح أبواب الجنة للمؤمنين ليدخلوها . وأول من يصل الجنة ويقرع بابها النبي صلى الله عليه وسلم لحديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أنا أكثر الأنبياء تبعًا يوم القيامة، وأنا أول من يقرع باب الجنة".

وفي حديث أنس الآخر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " آتي باب الجنة يوم القيامة فأستفتح فيقول الخازن : من أنت؟ فأقول : أنا محمد. فيقول : بك أمرت لا أفتح لأحد قبلك "(٤).

فدل هذان الحديثان على أن الجنة تكون مغلقة . وأول من يستفتحها النبي صلى الله عليه وسلم ، فتفتح له خزنتها .

١- سيأتي في الشرح ذكر شيء من هذه الأحاديث.
٢- انظر تفسير القاسمي ١٤/٢٢٠-١٢١.
٣- انظر البحر المحيط ٧/٤٤٣. وابن كثير ٤/٦٨.
٤- الحديثان أخرجهما مسلم ١/١٨٨.

وللجنة ثمانية أبواب تفتحها الملائكة للمؤمنين كما بينها النبي صلى الله عليه وسلم بقوله : " ما منكم من أحد يتوضأ فيبلغ - أو فيسبغ - الوضوء ثم يقول: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله إلا فتحت له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء "(١).

وهذه الأبواب عظيمة جدا يقول النبي صلى الله عليه وسلم في وصفها :" والذي نفس محمد بيده إن ما بين المصراعين (٢) من مصاريع الجنة لكما بين مكة وهجر(٣) أو كما بين مكة وبصرى(٤) "(٥).

ثم ترحب بهم خزنة الجنة وتقول سلام عليكم طبتم فادخلوا الجنة خالدين فيها أبد الآبدين فيدخلونها. أسأل الله أن يجعلنا منهم .

١- أخرجه مسلم ٢٠٩/١-٢١٠.
٢- المصراعان: بكسر الميم: جانبا الباب. وانظر شرح النووي على مسلم ٦٩/٣.
٣- لفظ البخاري "حمير". وهجر هي قاعدة البحرين - المنطقة الشرقية بالمملكة - وهي غير هجر القرية القريبة من المدينة المنورة. وانظر معجم البلدان ٣٩٣/٥. والروض المعطار ٥٩٢.
٤- بصرى : مدينة من بلاد الشام من أعمال دمشق وتسمى مدينة حوران وانظر معجم البلدان ٤٤١/١. وشرح النووي على مسلم ٦٩/٣.
٥- أخرجه البخاري ٢٢٧/٥. ومسلم ١٨٦/١ من حديث الشفاعة الطويل ويجمع بين اختلاف المسافات بين هذه المدن بأن ذلك على حسب السير ، فالجاد في سيره يقطعها بوقت قصير ، والمتأني يقطعها بوقت أطول . وانظر حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح ٥٦ وذكر فيه هذا الحديث وغيره في بيان سعة أبواب الجنة.

المبحث الرابع : فتح الملائكة أبواب النار للكفار وقذفهم فيها

إذا وصل الكفار إلى النار فتحت خزنتها أبوابها كلها ثم قذفتهم فيها كل حسب طبقته . وقد تعددت الآيات في هذا المقام . فمن ذلك:

١ـ قوله تعالى ﴿ وإذا ألقوا منها مكانًا ضيقًا مقرنين دعوا هنالك ثبورًا لا تدعوا اليوم ثبورًا وحدا وادعوا ثبورًا كثيرًا ﴾(١).

مقرنين : قرنت أيديهم في أعناقهم(٢).

ثبورًا : ويلاً وهلاكا(٣).

٢ـ وقوله تعالى ﴿ فكبكبوا فيها هم والغاوون وجنود إبليس أجمعون ﴾(٤).

كبكبوا : أصلها كُبِّبوا ، فأبدل من الباء الوسطى كافا استثقالاً لاجتماع الباءات.

أو أن أصلها كبوا فكررت كما في قوله تعالى ﴿ وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر عاتية ﴾(٥). أي فيها صر . والمعنى: رمي بعضهم فوق بعض(٦).

الغاوون : جمع غاو. وهم المعبودون من الأصنام وغيرها (٧). لأن الله ذكر بعد هذه الآية أنهم يقولون للذين عبدوهم ﴿ تالله إن كنا لفى ضلل مبين إذ نسويكم برب

١ـ الفرقان ١٣ـ١٤.
٢ـ انظر تفسير البغوي ٣٦٣/٣. والشوكاني ٦٤/٤.
٣ـ انظر تفسير الطبري ١٨٧/١٨ـ١٨٨. والبيضاوي ١٣٦/٢.
٤ـ الشعراء ٩٤ـ٩٥.
٥ـ الحاقة ٦.
٦ـ انظر تفسير الطبري ٨٨/١٩. والقرطبي ١١٦/١٣. وذكر غير هذين الوجهين.
٧ـ انظر تفسير القرطبي ١١٦/١٣. والشوكاني ١٠٦/٤.

العٰلمين ﴾(١).

٣ـ وقوله تعالى ﴿ ومن جاء بالسيئة فكبت وجوههم فى النار هل تجزون إلا ما كنتم تعملون ﴾(٢).

٤ـ وقوله تعالى ﴿ وسيق الذين كفروا إلىٰ جهنم زمرًا حتىٰ إذا جاءوها فتحت أبوٰبها وقال لهم خزنتها ألم يأتكم رسل منكم يتلون عليكم ءايٰت ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هٰذا قالوا بلىٰ ولٰكن حقت كلمة العذاب على الكٰفرين قيل ادخلوا أبوٰب جهنم خٰلدين فيها فبئس مثوى المتكبرين ﴾(٣).

٥ـ وقوله تعالى ﴿أفمن يلقىٰ فى النار خير أم من يأتى ءامنًا يوم القيٰمة اعملوا ما شئتم إنه بما تعملون بصير﴾(٤).

٦ـ وقوله تعالى ﴿ يوم يُدَعُّون إلىٰ نار جهنم دعًّا ﴾(٥).

يدعون : يدفعون بعنف وجفوة(٦).

٧ـ وقوله تعالى ﴿ إذا ألقوا فيها سمعوا لها شهيقًا وهى تفور تكاد تميز من الغيظ كلما ألقى فيها فوج سألهم خزنتها ألم يأتكم نذير ﴾(٧).

الشهيق : الصوت الذي يخرج من الصدر أو الجوف

١ـ الشعراء ٩٧ـ٩٨.
٢ـ النمل ٩٠.
٣ـ الزمر ٧١ـ٧٢.
٤ـ فصلت ٤٠.
٥ـ الطور ١٣.
٦ـ انظر تفسير البغوي ٢٣٨/٤. والخازن ٢٤٩/٦.
٧ـ الملك ٧ـ٨.

المبحث الخامس : تنعيم الملائكة المؤمنين في الجنة

أمر الله سبحانه وتعالى خزنة الجنة أن يعدوها للمؤمنين ويهيؤها لضيافة ساكنيها من ملابس ومآكل ومشارب وغير ذلك مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر(١).

فإذا قدموا إليها رحبت بهم الخزنة وحيتهم بالسلام .

وقد وردت عدة آيات تدل على ترحيب خزنة الجنة بأهلها . ومن ذلك :

١ـ قوله تعالى ﴿ دعوٰهم فيها سبحٰنك اللهم وتحيتهم فيها سلٰم وءاخر دعوٰهم أن الحمد لله رب العٰلمين ﴾(٢).

وهذا السلام يحتمل أن يكون من الملائكة لقوله تعالى ﴿ والملٰئكة يدخلون عليهم من كل باب سلٰم عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار ﴾(٣).

أو أنه من الله تعالى لقوله سبحانه ﴿ سلٰم قولاً من رب رحيم ﴾(٤).

والأولى أن تكون الآية على عمومها فتعم كل تحية سواء كانت من الله، أو من الملائكة أو من المؤمنين بعضهم لبعض(٥).

٢ـ وقوله تعالى ﴿ جنٰت عدن يدخلونها ومن صلح من ءابائهم وأزوٰجهم وذريٰتهم والملٰئكة يدخلون عليهم من كل باب

١ـ انظر البداية والنهاية ٤٤/١.
٢ـ يونس ١٠.
٣ـ الرعد ٢٣ـ٢٤.
٤ـ يس ٥٨.
٥ـ انظر تفسير ابن كثير ٤٠٩/٢. والشنقيطي ٤٧٨/٢.

سلٰم عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار ﴾(١).

٣ـ وقوله تعالى ﴿ وأدخل الذين ءامنوا وعملوا الصٰلحٰت جنٰت تجرى من تحتها الأنهٰر خٰلدين فيها بإذن ربهم تحيتهم فيها سلٰم ﴾(٢).

٤ـ وقوله تعالى ﴿ لا يسمعون فيها لغوًا إلا سلٰما ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيًا ﴾(٣).

٥ـ وقوله تعالى ﴿ أولٰئك يجزون الغرفة بما صبروا ويلقون فيها تحية وسلٰمًا ﴾(٤).

يلقون : قرأ نافع ، وابن كثير ، وأبو عمرو ، وابن عامر ، وحفص ، وأبو جعفر ، ويعقوب ﴿ يُلَقَّوْن ﴾ بضم الياء وفتح اللام وتشديد القاف ، على إنه مضارع "لقّى" مضعف العين والمعنى يُلَقِّيهم الله ، أو الملائكة التحية والسلام إذا دخلوا الجنة . وحجتهم إجماع القراء على هذه القراءة في قوله تعالى ﴿ وَلَقَّٰهم نضرة وسرورًا ﴾(٥).

وقرأ الباقون : ﴿ يَلْقَوْن ﴾ بفتح الياء وسكون اللام وتخفيف القاف على إنه مضارع " لقى " الثلاثي مبني للمعلوم. والمعنى : يَلْقَوْن تحية. وحجتهم في ذلك قوله تعالى قبلها ﴿ومن يفعل ذٰلك يلق أثامًا﴾(٦).

١ـ الرعد ٢٣ـ٢٤.
٢ـ إبراهيم ٢٣.
٣ـ مريم ٦٢.
٤ـ الفرقان ٧٥.
٥ـ الإنسان ١١.
٦ـ الفرقان ٦٨.

فجعلوا الكلام على نظم واحد.

والقراءتان ترجعان إلى معنى واحد لأنهم إذا تلقوا التحية فقد لُقُّوها، وإذا أُلْقُوها فقد تَلَقَّوها(١).

الغرفة : الجنة أو منزلة رفيعة منها(٢).

التحية : مصدر حياك الله أي: أطال حياتك.

السلام : الدعاء بالسلامة من الآفات(٣). ولما عطف أحدهما على الآخر دل على المغايرة.

وتكون التحية بمعنى السلام كما في قوله تعالى ﴿تحيتهم فيها سلٰم ﴾(٤).

٦ـ وقوله تعالى ﴿ تحيتهم يوم يلقونه سلٰم ﴾(٥).

٧ـ وقوله تعالى ﴿ لا يسمعون فيها لغوًا ولا تأثيمًا إلا قيلًا سلٰمًا سلٰمًا ﴾(٦).

اللغو : ما لا يعتد به من الكلام(٧)، ومنه لغو اليمين.

تأثيمًا : أي ما يؤثمهم(٨).

سلامًا : بدل من "قيلا" أو نعتا له ، أو مفعولا به .

والمعنى : إلا أن يقول بعضهم لبعض ـ أو تقول الملائكة ، أو يقول الله ـ : سلامًا .

١ـ انظر حجة القراءات ٥١٥ـ٥١٦. والمغني في توجيه القراءات ٣/٩٥ـ٩٦.

٢ـ انظر تفسير الطبري ١٩/٥٤. وابن كثير ٣/٣٣١.

٣ـ انظر روح المعاني ١٩/٥٤. وأضواء البيان ٢/٤٧٨.

٤ـ إبراهيم ٢٣.

٥ـ الأحزاب ٤٤.

٦ـ الواقعة ٢٥ـ٢٦. وهذه الآية وأمثالها التي ليس فيها ذكر من صدرت منه هذه التحية فإنها شاملة للمؤمنين ، والملائكة ، والله سبحانه وتعالى. كما سبق بيانه في أول هذا المبحث.

٧ـ انظر تفسير ابن كثير ٤/٢٨٩. وروح المعاني ٢٧/١٣٩.

٨ـ انظر تفسير القرطبي ١٧/٢٠٦. والجلالين ٤٥٣.

سلامًا الثاني : توكيد لفظي للأول(١).

المعنى :

في هذه الآيات دليل على أن الملائكة تستقبل المؤمنين وترحب بهم في الجنة.

وبين ذلك ما في صحيح البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " من أنفق زوجين في سبيل الله دعته خزنة الجنة: أي فل هلم فقال أبو بكر: ذاك الذي لا تَوَى(٢) عليه فقال النبي صلى الله عليه وسلم:أرجو أن تكون منهم "(٣).

فإذا دخل المؤمنون الجنة دخلت عليهم الملائكة من كل باب فتسلم عليهم وتهنؤهم بدخولهم الجنة، والإقامة الدائمة فيها . ويبين هذا حديث عبد الله بن عمرو بن العاص أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " هل تدرون أول من يدخل الجنة من خلق الله ؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: أول من يدخل الجنة من خلق الله الفقراء والمهاجرون الذين تسد بهم الثغور، ويتقى بهم المكاره، ويموت أحدهم وحاجته في صدره لا يستطيع قضاء ، فيقول الله عز وجل لمن يشاء من ملائكته : ائتوهم فحيوهم ، فتقول الملائكة: نحن سكان سمائك وخيرتك من خلقك أفتأمرنا أن نأتي هؤلاء فنسلم عليهم؟ قال: إنهم كانوا عبادا يعبدونني ولا يشركون بي شيئا ، وتسد بهم الثغور ، ويتقى بهم المكاره، ويموت أحدهم وحاجته في صدره، لا يستطيع قضاء. قال : فتأتيهم الملائكة عند ذلك فيدخلون

١- وانظر معاني القرآن للزجاج ١١٢/٥. وإعراب القرآن للنحاس ٣٣٠/٤. والجدول في إعراب القرآن ٢٤١/١٢.

٢- لا توى : بفتح التاء، أي: لا هلاك . وانظر عمدة القاري، ٢٨٣/١٢.

٣- أخرجه البخاري ٨٠/٤.

عليهم من كل باب : سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار"(١).

اللهم إنا نسألك الجنة وما قرب إليها من قول وعمل .

١- الحديث أخرجه أحمد ١٦٨/٢. وابن حبان ، انظر الإحسان ٢٥٤/٩. وأبو نعيم في الحلية ٣٤٧/١. وصفة الجنة ١٣١/١. والحاكم ٧١/٢-٧٢، وصححه ووافقه الذهبي. وعزاه الهيثمي في المجمع ٢٥٩/١٠ إلى أحمد ، والبزار، والطبراني ، وقال : ورجالهم ثقات. وصحح إسناده الشيخ أحمد شاكر في تحقيقه للمسند ٧٦/١٠-٧٧.

المبحث السادس : تعذيب الملائكة الكفار في النار

إذا أُلقي الكفارُ في نار جهنم قامت خزنتها بتعذيبهم العذاب الشديد. وقد تعدد الآيات في هذا المقام . فمن ذلك :

١ـ قوله تعالى ﴿ وترى المجرمين يومئذ مقرنين فى الأصفاد ﴾(١).

مقرنين في الأصفاد : مقرونة أيديهم وأرجلهم إلى أعناقهم، أو قرن بعضهم إلى بعض في القيود(٢)وهذا يكون في النار لقوله تعالى ﴿سرابيلهم من قطرٰن وتغشىٰ وجوههم النار﴾(٣).

٢ـ وقوله تعالى ﴿ هٰذان خصمان اختصموا فى ربهم فالذين كفروا قطعت لهم ثياب من نار يصب من فوق رءوسهم الحميم يصهر به ما فى بطونهم والجلود ولهم مقٰمع من حديد كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غم أعيدوا فيها وذوقوا عذاب الحريق ﴾(٤).

سبب نزول الآيات:

أخرج البخاري في صحيحه عن أبي ذر رضي الله عنه أنه كان يقسم فيها أن هذه الآية ﴿ هٰذان خصمان اختصموا فى ربهم ﴾(٥) نزلت في حمزة ، وصاحبيه(٦)، وعتبة وصاحبيه(٧)

١ـ إبراهيم ٤٩.
٢ـ انظر تفسير الطبري ٢٥٤/١٣. وابن كثير ٥٤٥/٢.
٣ـ إبراهيم ٥٠.
٤ـ الحج ١٩ـ٢٢.
٥ـ الحج ١٩.
٦ـ وهما علي بن أبي طالب وعبيدة بن الحارث
٧ـ وهما شيبة بن ربيعة والوليد بن عتبة.

يوم برزوا في يوم بدر ".

وفي رواية له عن قيس بن عباد عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: أنا أول من يجثو بين يدي الرحمن للخصومة يوم القيامة . قال قيس : وفيهم نزلت ﴿ هٰذان خصمان اختصموا فى ربهم ﴾(١) قال : هم الذين برزوا يوم بدر علي ، وحمزة ، وعبيدة وشيبة بن ربيعة ، وعتبة بن ربيعة، والوليد بن عتبة "(٢).

ومع نزول هذه الآيات وما بعدها في هؤلاء إلا أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب .

الحميم : الماء الذي بلغ النهاية في حره(٣).

يصهر : يذاب(٤).

مقامع : جمع مقمعة ، وهي : الآلة التي يقمع بها . كالمطرقة، و السوط(٥).

٣ـ وقوله تعالى ﴿ وأما الذين فسقوا فمأوٰهم النار كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها وقيل لهم ذوقوا عذاب النار الذى كنتم به تكذبون ﴾(٦).

٤ـ وقوله تعالى ﴿ إن الذين كفروا ينادون لمقت الله أكبر من مقتكم أنفسكم إذ تدعون إلى الإيمٰن فتكفرون ﴾(٧).

١ـ الحج ١٩.
٢ـ أخرجهما البخاري في صحيحه ٢٤٢/٥.
٣ـ انظر تفسير البغوي ٢٨١/٣. والشوكاني ٤٤٤/٣.
٤ـ انظر زاد الميسر ٤١٧/٥. ومحاسن التأويل ١٦/١٢.
٥ـ انظر تفسير أبي السعود ١٠١/٦. والألوسي ١٣٥/١٧.
٦ـ السجدة ٢٠.
٧ـ غافر ١٠.

لمقت الله أكبر من مقتكم أنفسكم : أي بغض الله لكم في الدنيا وأنتم تكفرون به أكبر من بغضكم لأنفسكم الآن وأنتم في جهنم. وهذا نداء من الملائكة(١).

٥ـ وقوله تعالى ﴿ وقال الذين فى النار لخزنة جهنم ادعوا ربكم يخفف عنا يومًا من العذاب قالوا أو لم تك تأتيكم رسلكم بالبينٰت قالوا بلىٰ قالوا فادعوا وما دعٰؤا الكٰفرين إلا فى ضلٰل ﴾(٢).

ضلال : بطلان وضياع(٣).

٦ـ وقوله تعالى ﴿ فسوف يعلمون إذ الأغلٰل فى أعنٰقهم والسلٰسل يسحبون فى الحميم ثم فى النار يسجرون ﴾(٤).

يسجرون : يحرقون ، وتوقد بهم النار(٥) قال تعالى ﴿وقودها الناس والحجارة ﴾(٦).

والسجر : إيقاد التنور(٧).

٧ـ وقوله تعالى ﴿ ونادوا يٰملك ليقض علينا ربك قال إنكم مٰكثون ﴾(٨).

٨ـ وقوله تعالى ﴿خذوه فاعتلوه إلىٰ سواء الجحيم ثم صبوا فوق رأسه من عذاب الحميم ذق إنك أنت العزيز

١ـ انظر تفسير القرطبي ٢٩٦/١٥ـ ٢٩٧. وابن كثير ٧٣/٤.
٢ـ غافر ٤٩ـ ٥٠.
٣ـ انظر تفسير البيضاوي ٣٤٣/٢. والشوكاني ٤٩٥/٤.
٤ـ غافر ٧٠ـ ٧٢.
٥ـ انظر تفسير الطبري ٨٤/٢٤ـ ٨٥. والبغوي ١٠٥/٤.
٦ـ التحريم ٦.
٧ـ انظر تهذيب اللغة ٥٧٥/١٠.
٨ـ الزخرف ٧٧.

الكريم﴾(١).

اعتلوه : جروه واجذبوه بشدة وعنف . مأخوذ من العتل وهو : الأخذ بمجامع الشيء وجره بقهر وعنف(٢).

سواء : وسط(٣).

ذق إنك: قرأ الكسائي ﴿ أنك ﴾ بفتح الهمزة على تقدير لام العلة ، أي : لأنك أنت العزيز الكريم . وهذا على سبيل السخرية به .

وقرأ الباقون : ﴿ إنك ﴾ بكسر الهمزة على الاستئناف ، أي : ذق العذاب إنك أنت العزيز الكريم في زعمك في الدنيا(٤).

٩ـ وقوله تعالى ﴿ يوم يسحبون فى النار علىٰ وجوههم ذوقوا مس سقر ﴾(٥).

سبب نزول الآية :

أخرج مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: جاء مشركوا قريش يخاصمون رسول الله صلى الله عليه وسلم في القدر . فنزلت ﴿ يوم يسحبون فى النار علىٰ وجوههم ذوقوا مس سقر إنا كل شىء خلقناه بقدر ﴾(٦).

سقر : اسم لجهنم مأخوذ من قولك يوم مسقر ، أي : شديد الحرارة. أو من البعد(٧).

١ـ الدخان ٤٧ـ٤٩.

٢ـ انظر تفسير القرطبي ١٥٠/١٦. وأبي السعود ٦٥/٨.

٣ـ انظر تفسير الخازن ١٤٩/٦. والشوكاني ٥٧٩/٤.

٤ـ انظر حجة القراءات ٦٥٧. والمغني في توجيه القراءات ٢٣٦/٣.

٥ـ القمر ٤٨.

٦ـ القمر ٤٨ـ٤٩. والحديث أخرجه مسلم ٢٠٤٦/٤.

٧ـ انظر لسان العرب ٣٧٢/٤. والشوكاني ١٣٩/٥.

١٠- وقوله تعالى ﴿ كلما ألقى فيها فوج سألهم خزنتها ألم يأتكم نذير قالوا بلىٰ قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شيء إن أنتم إلا فى ضلٰل كبير ﴾(١).

إن أنتم إلا في ضلال كبير : يحتمل أن يكون هذا من كلام الخزنة لهم ويدل له إتفاق الضمائر قبله وبعده ، واختلاف ضميره عنها فالذي قبله ﴿ كذبنا وقلنا ﴾ . وبعده ﴿ لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا فى أصحٰب السعير ﴾(٢). ولو كان من كلام أهل النار لقالوا : إن نحن إلا في ضلال.

ويحتمل أن يكون من تمام كلام الكفار للنذر في الدنيا ويقولون : لما جاءنا النذر كذبناهم وقلنا : ما نزل الله شيئا . وأنتم أيها النذر في ضلال كبير بعيد عن الحق والصواب(٣).

١١- وقوله تعالى ﴿ ثم الجحيم صلوه ثم فى سلسلة ذرعها سبعون ذراعًا فاسلكوه ﴾(٤).

ذرعها : مقدارها وطولها(٥).

سبعون : اختلف المفسرون هل هذا العدد مرادا بعينه أو لا على قولين :

القول الأول : أنه غير مراد بعينه وإنما المراد به التكثير والتضعيف وهو قول القاشاني(٦) وذكره الرازي ،

١- الملك ٨-٩.
٢- الملك ١٠.
٣- وانظر تفسير القرطبي ١٨/٢١٢-٢١٣. والرازي ٣٠/٦٤. والألوسي ٢٩/١١.
٤- الحاقة ٣١-٣٢.
٥- انظر تفسير الخازن ٧/١٤٦. والشوكاني ٥/٢٨٥.
٦- هو عبد الرزاق بن أحمد الكاشي - أو الكاشاني أو القاشاني - جمال الدين صوفي مفسر . له كتاب السراج الوهاج في تفسير القرآن، وتأويلات القرآن ، وشرح تائية ابن الفارض ، وشرح الفصوص لابن عربي وغيرها توفي عام ٧٣٠ . وانظر الأعلام ٣/٣٥٠.

والآلوسي(١).

واستدل من قال بهذا القول بأن هذا أبلغ من إبقائه على ظاهره والعرب إذا أرادت أن تكثر الشيء وتضعفه تعده بالسبعين .

ونظيره قول الله سبحانه وتعالى للنبي صلى الله عليه وسلم ﴿ إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم ﴾(٢) فليس المراد بالعدد ظاهره وإنه لو زاد على السبعين غفر الله لهم(٣) وبين هذا النبي صلى الله عليه وسلم بقوله فيما أخرجه البخاري ومسلم " لو أعلم أني إن زدت على السبعين يغفر له لزدت عليها "(٤).

القول الثاني : أنه مراد بعينه.

وهذا قول الجمهور(٥).

ويؤيده ظاهر لفظ الآية .

ولم يترجح عندي أي من القولين إذ كل منهما محتمل .

ذراعاً : اختلف المفسرون في مقدار الذراع في الآية على ثلاثة أقوال:

القول الأول : التوقف .

وممن قال به الحسن البصري .

القول الثاني : أنه ذراع المَلَك .

رواه الطبري من طريق العوفي عن ابن عباس ،

١- انظر تفسير الرازي ١١٤/٣٠. والالوسي ٥٠/٢٩. والقاسمي ٢٧٨/١٦.
٢- التوبة ٨٠.
٣- انظر تهذيب اللغة ١١٦/٢. ولسان العرب ١٤٦/٨-١٤٧. وتاج العروس ٣٧٣/٥.
٤- أخرجه البخاري ٢٠٦/٥، واللفظ له . ومسلم ٢١٤١/٤.
٥- انظر تفسير القرطبي ٢٧٢/١٨. وابن كثير ٤١٧/٤.

والعوفي ضعيف(١).

القول الثالث : أن كل ذراع سبعون باعًا ، وكل باع أبعد مما بين الكوفة ومكة.

رواه الطبري ، وأبو نعيم عن نوف البكالي(٢).

الترجيح :

الذي يظهر لي أن القول الأول هو الراجح لعدم الدليل على تقدير الذراع. ومن حده بحد فعليه الدليل.

اسلكوه : اختلف المفسرون في معناه على قولين :

القول الأول : ادخلوه في السلسلة . والمعنى أن تُلف السلسلة على جسده من جميع جهاته فلا يستطيع حراكا .

وممن قال به البغوي ، وأبو حيان ، والآلوسي ، والقاسمي(٣).

واستدلوا بظاهر لفظ الآية وأن الكافر هو الذي يُدْخَلُ في السلسلة وقالوا إن هذه مثل قوله تعالى ﴿ ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فسلكه ينابيع في الأرض ﴾(٤).

القول الثاني : ادخلوا السلسلة فيه . والمعنى أنها تدخل من فيه وتخرج من دبره ، أو العكس .

١- انظر هذين القولين في تفسير الطبري ٦٣/٢٩. وابن الجوزي ٣٥٣/٨. وسبق بيان ضعف العوفي ص١١٢.

٢- هو نوف بن فضالة الحميري البكالي . إمام أهل الشام . وهو ابن امرأة كعب الأحبار. وكان راوية للقصص . توفي ما بين التسعين إلى المئة . وانظر تهذيب التهذيب ٤٩٠/١٠. وانظر تفسير الطبري ٦٣/٢٩. وحلية الأولياء ٤٩/٦.

٣- انظر تفسير البغوي ٣٨٩/٤. والبحر المحيط ٣٢٦/٨. وروح المعاني ٥٠/٢٩. ومحاسن التأويل ٢٧٨/٩.

٤- الزمر ٢١.

٢ـ أنهم يصبون فوق رأس الكافر الماء الحار ليذيب ما في بطنه ويحرق جلده، قائلين له : ذق العذاب أيها العزيز الكريم عند نفسه.

٣ـ إذا بلغ بهم العذاب مبلغا عظيما ، وأحرقتهم النار من تحتهم ، ورفعهم لهيبها ضربتهم الخزنة بمقامع عظيمة فيعيدوهم فيها قائلين لهم: ذوقوا عذاب النار الذي كنتم به تكذبون .

٤ـ سحبهم الكفار في النار على وجوههم قائلين لهم : ذوقوا مس النار التي كنتم بها تكذبون .

٥ـ احتقارهم أهل النار وسخريتهم بهم وإخبارهم الكفار أنهم باقون في العذاب . وبيان ذلك أنه إذا خرج الموحدون ـ الذين حكم الله عليهم بالعذاب المؤقت في النار ـ إلى الجنة وبقي الكفار ومن كان على شاكلتهم في النار . يسألون الخزنة أن يشفعوا لهم إلى الله ليخفف عنهم يومًا من العذاب فيجيبوهم على وجه السخرية بهم ﴿ أو لم تك تأتيكم رسلكم بالبينٰت قالوا بلىٰ قالوا فادعوا وما دعٰؤا الكٰفرين إلا فى ضلٰل ﴾(١). فيلجأون إلى رئيس الخزنة ـ مالك عليه السلام ـ

= الترمذي: هذا حديث حسن صحيح. ولكن هذا الحديث فيه علتان. العلة الاولى في السند، علته دراج وهو أبو السمح وضعف الالباني الحديث بسببه. انظر مشكاة المصابيح ١٥٨٤/٣. العلة الثانية: في المتن فقوله أن الرضاضة تصل الارض قبل الليل مستحيل فلو فرضنا أن النبي صلى الله عليه وسلم قال هذا القول قبل غروب الشمس بعشر ساعات فإن مسافة ٥٠٠ سنة أي ١٧٧٥٠٠ يوم تقريبا تحتاج إلى وقت طويل لقطعها.

١ـ غافر ٥٠.

ليشفع لهم عند الله ليميتهم فيجيبهم بأنكم ماكثون في العذاب فلا خروج من النار ولن تموتوا . ثم يلجأون إلى أحكم الحاكمين إلى الله سبحانه وتعالى وهم يصرخون قائلين ﴿ ربنا أخرجنا نعمل صٰلحًا غير الذى كنا نعمل ﴾(١) فيجيبهم الله على وجه الإهانة والتبكيت ﴿ أو لم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير فذوقوا فما للظّٰلمين من نصير ﴾(٢).

ثم يلجأون إلى الله مرة أخرى على وجه الاعتذار مما بدر منهم في الدنيا قائلين ﴿ ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قومًا ضالين ربنا أخرجنا منها فإن عدنا فإنا ظٰلمون ﴾(٣) فيجيبهم الله تعالى بجواب لا جواب بعده وألا يكلموه بعده أبدا ﴿اخسئوا فيها ولا تكلمون إنه كان فريق من عبادى يقولون ربنا ءامنا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الرّٰحمين فاتخذتموهم سخريًا حتىٰ أنسوكم ذكرى وكنتم منهم تضحكون إنى جزيتهم اليوم بما صبروا أنهم هم الفائزون ﴾(٤).

فيالها من حسرة وندامة ليس بعدها ندامة .

فيبقون في النار ﴿ لا يقضىٰ عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها ﴾(٥).

اللهم إنا نعوذ بك من النار وما قرب إليها من قول وعمل إنك سميع مجيب.

١ـ فاطر ٣٧.
٢ـ فاطر ٣٧.
٣ـ المؤمنون ١٠٦ـ١٠٧.
٤ـ المؤمنون ١٠٨ـ١١١.
٥ـ فاطر ٣٦.

الخاتمة

وتشتمل على :
النتائج التي توصلت إليها من خلال هذا البحث .

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

وبعد :

فقد توصلت من خلال هذا البحث إلى نتائج أجملها فيما يلي :

١ـ أن علاقة الملائكة بالإنسان طويلة طولا لا يقدر بالسنين والأحقاب لأنها بدأت قبل خلق آدم إلى ما لا نهاية في الجنة والنار .

٢ـ قوة علاقة الملائكة بالإنسان إذ أنها شاملة لجميع النواحي الدينية والدنيوية والأخروية(١).

٣ـ يجب علينا أن نؤمن بالملائكة جملة وكل ما ثبت في الكتاب أو السنة من آحادهم ، أو صفاتهم ، أو أعمالهم .

٤ـ علينا أن نقتدي بالملائكة في طاعتهم لله تعالى واجتنابهم معصيته.

٥ـ علينا أن نتأدب مع الملائكة ونتجنب أذيتهم فإنهم ملازمون لنا على كل حال، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم " من أكل البصل والثوم والكراث فلا يقربن مسجدنا فإن

١ـ وقد بينت ذلك أثناء البحث ، فلا معنى لإعادته.

الملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم "(١).

٦ـ أن كثرة الملائكة ، وعظم خلقهم وقوتهم يدل على عظم الخالق سبحانه وتعالى . فعلينا أن نقدر الله حق قدره .

٧ ـ تكريم الله للإنسان إذ سخر له الملائكة في كل زمان ومكان.

وختاما أسأل الله عز وجل أن يجعل أعمالنا خالصة لوجهه الكريم، وأن يجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه إنه سميع مجيب .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

١ـ أخرجه مسلم ٣٩٥/١.

الفهارس العامة

وتشتمل على

أولا : الآيات القرآنية المستشهد بها

ثانيا : الأحاديث النبوية

ثالث : الأبيات الشعرية

رابعا : الأعلام المترجم لهم

خامسا : المصادر والمراجع

سادسا : الفهرس العام للرسالة

وإليك هذه الفهارس بالتفصيل :

أولا : فهرس الآيات القرآنية المستشهد بها مرتبة على حسب سور القرآن

سورة الشعراء

سورة النمل

سورة القصص

سورة العنكبوت

ثانيا: الأحاديث النبوية مرتبة على حروف المعجم:

١ــ البقرة ٩٧.

١- إبراهيم ٢٧.

١ـ البقرة ١٥٩.

ثالثا : الأبيات الشعرية مرتبة على القافية

رابعًا : الأعلام المترجم لهم

ويشتمل على ما يأتي:

١- أسماء الأعلام .

٢- من اشتهر بكنيته .

٣- من اشتهر بلقبه .

١- أسماء الأعلام مرتبة على حروف المعجم

٢- من اشتهر بكنيته

٣- من اشتهر بلقبه

خامسًا : المصادر والمراجع

١ـ الأحاديث الطوال تأليف الحافظ أبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني ت ٣٦٠ ـ تحقيق حمدي عبد الحميد السلفي. مطبوع في الجزء ٢٥ من المعجم الكبير ـ طبع مطبعة الأمة ببغداد ـ ١ ج .

٢ـ الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان ترتيب علي بن بلبان الفارسي ت ٧٣٩ ـ تحقيق كمال يوسف الحوت ـ طبع دار الكتب العلمية ـ عام ١٤٠٧ـ ٩ ج .

٣ـ أحكام القرآن لابن العربي المالكي ت ٥٤٣ . تحقيق علي محمد البجاوي ـ طبع الحلبي عام ١٣٩٤ ـ ٤ ج .

٤ـ إحياء علوم الدين للإمام أبي حامد محمد بن محمد الغزالي ت ٥٠٥ ـ طبع دار الكتب العلمية ـ الطبعة الأولى ١٤٠٦ ـ ٤ ج.

٥ـ أسباب النزول لأبي الحسن علي بن أحمد الواحدي ت ٤٨٧ ـ تحقيق السيد أحمد صقر ـ ط دار القبلة عام ١٤٠٤ ـ ١ج.

٦ـ الاستعداد للموت وسؤال القبر تأليف زين الدين بن علي المليباري ت ٩٨٧ ـ طبع مؤسسة الكتب الثقافية الطبعة الثالثة ١٤٠٨ ـ ١ج.

٧ـ أسد الغابة في معرفة الصحابة لعز الدين بن الأثير أبي الحسن علي بن محمد الجزري ت ٦٣٠ ـ تحقيق محمد

إبراهيم البنا ومحمد أحمد عاشور ـ طبع دار الشعب ـ ٧ج ·

٨ـ الإصابة في تمييز الصحابة للحافظ ابن حجر العسقلاني ت ٨٥٢ ـ ط دار الفكر عام ١٣٩٨ ـ ٤ج·

٩ـ إعراب القرآن لأبي جعفر النحاس ت ٣٣٨ ـ تحقيق د· زهير غازي ـ ط عالم الكتب الطبعة الثانية عام ١٤٠٥ ـ ٥ج·

١٠ـ الأعلام تأليف خير الدين الزركلي ط دار العلم للملايين الطبعة السادسة عام ١٩٨٤ م ـ ٨ج·

١١ـ إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان للإمام أبي عبد الله محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية ت ٧٥١ ـ تحقيق محمد سيد كيلاني ـ طبع النور الإسلامية ٢ ج·

١٢ـ إملاء ما من به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات في جميع القرآن لعبد الله بن حسين العكبري ت ٦١٦ ـ ط دار الكتب العلمية الطبعة الأولى ١٣٩٩ ـ ٢ج·

١٣ـ إنباه الرواة على أنباء النحاة لجمال الدين القفطي ت ٦٢٤ ـ تحقيق أبو الفضل إبراهيم ـ ط دار الفكر بالقاهرة ومؤسسة الكتب الثقافية ببيروت الطبعة الأولى ١٤٠٦ ـ ٤ج·

١٤ـ الأنساب للإمام عبد الكريم بن محمد التميمي السمعاني ت ٥٦٢ ـ تحقيق الشيخ عبد الرحمن المعلمي اليماني ـ الناشر محمد أمين دمج-ببيروت الطبعة الثالثة عام ١٤٠٠

ـ ١٣ ج.

١٥ـ أهوال القبور وأحوال أهلها إلى النشور تأليف الإمام عبد الرحمن بن رجب الحنبلي ت ٧٩٥ ـ ط مكتبة الصحابة بطنطا الطبعة الثانية عام ١٤٠٨ ـ ١ج.

١٦ـ أيسر التفاسير لكلام العليم القدير تأليف الشيخ أبي بكر الجزائري ـ الطبعة الثانية عام ١٤٠٧ ـ ٤ ج.

١٧ـ الإيمان بالملائكة عليهم الصلاة والسلام تأليف أحمد عز الدين البيانوني ـ ط دار السلام الطبعة الثانية ١٤٠٥ ـ ١ج.

١٨ـ الإيمان بالملائكة عليهم السلام تأليف عبد الله سراج الدين ـ الطبعة الثالثة بحلب عام ١٤٠٥ ـ ١ج.

١٩ـ الإيمان للحافظ محمد بن إسحاق بن مندة ت ٣٩٥ ـ تحقيق د. علي بن محمد بن ناصر الفقيهي ط. الجامعة الإسلامية الطبعة الأولى عام ١٤٠١ ـ ٣ج.

٢٠ـ بحر العلوم لأبي الليث نصر بن محمد السمرقندي ت ٣٧٥ ـ تحقيق د. عبد الرحيم أحمد الزقة ـ طبع مطبعة الإرشاد ببغداد عام ١٤٠٥ طبع منه ـ ٣ج.

٢١ـ البداية والنهاية للحافظ ابن كثير الدمشقي ت ٧٧٤ ـ حققه جماعة من العلماء ـ ط دار الكتب العلمية الطبعة الأولى عام ١٤٠٥ ـ ١٤ ج.

٢٢ـ البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة تأليف الشيخ عبد الفتاح بن عبد الغني القاضي ت ١٤٠٣ ـ ط مكتبة الدار الطبعة الأولى عام ١٤٠٤ ـ ١ج.

٢٣ـ بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزابادي ت ٨١٧ ـ تحقيق محمد علي النجار ـ ط المكتبة العلمية ببيروت ٦ج.

٢٤ـ البعث للحافظ أبي بكر عبد الله بن أبي داود السجستاني ت ٣١٦ ـ تحقيق محمد السعيد زغلول ـ ط دار الكتب العلمية الطبعة الأولى عام ١٤٠٧ ـ ١ج.

٢٥ـ البعث والنشور للحافظ أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي ت ٤٥٨ ـ تحقيق عامر أحمد حيدر ـ ط مركز الخدمات والأبحاث الثقافية ببيروت الطبعة الأولى عام ١٤٠٦ ـ ١ج.

٢٦ـ تاج العروس من جواهر القاموس لمحب الدين السيد محمد مرتضى الزبيدي ت ١٢٠٥ ـ ط دار الفكر ـ ١٠ج.

٢٧ـ تاريخ بغداد للحافظ أحمد بن علي الخطيب البغدادي ت ٤٦٣ ـ طبع دار الكتب العلمية ببيروت ١٤ج.

٢٨ـ تاريخ الرسل والملوك لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري ت ٣١٠ ـ تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ـ الطبعة الرابعة بدار المعارف ـ ١٠ج.

٢٩_ تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف للحافظ أبي الحجاج يوسف بن الزكي المزي ت ٧٤٢ _ تحقيق عبد الصمد شرف الدين _ نشر الدار القيمة بالهند عام ١٣٨٤ _ ١٣ج.

٣٠_ التخويف من النار والتعريف بحال دار البوار للحافظ عبد الرحمن بن رجب الحنبلي ت ٧٩٥ _ ط دار الكتب العلمية الطبعة الأولى عام ١٤٠٥.

٣١_ التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة لأبي عبد الله محمد بن أحمد القرطبي ت ٦٧١ _ تحقيق د. أحمد حجازي السقاط _ دار الكتب العلمية عام ١٤٠٥ _ ٢ج.

٣٢_ تفسير أبي السعود تأليف أبي السعود محمد بن محمد العمادي ت ٩٥١ _ ط دار إحياء التراث العربي _ ٩ج.

٣٣_ تفسير البيضاوي المسمى «أنوار التنزيل وأسرار التأويل» لعبد الله بن عمر الشيرازي البيضاوي ت ٧٩١ _ الطبعة الأولى عام ١٤٠٨ بدار الكتب العلمية ٢ج.

٣٤_ تفسير البغوي لأبي محمد الحسين بن مسعود البغوي ت ٥١٦ _ تحقيق خالد العك ومروان سوار _ ط دار المعرفة ١٤٠٦ _ ٤ج.

٣٥_ تفسير التحرير والتنوير تأليف الشيخ محمد الطاهر بن عاشور _ ط الدار التونسية عام ١٩٨٤م _ ٣٠ج.

٣٦_ تفسير الجلالين تأليف جلال الدين المحلي ت٨٦٤ ،

وجلال الدين السيوطي ت ٩١١ ـ طبع بهامش المصحف بطلب من مكتبة الرياض الحديثة ـ اج.

٣٧ـ تفسير غريب القرآن للإمام أبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة ت٢٧٦ ـ تحقيق السيد أحمد صقر ـ ط دار الكتب العلمية عام ١٣٩٨ ـ اج.

٣٨ـ تفسير القرآن للإمام عبد الرزاق بن همام الصنعاني ت٢١١ ـ تحقيق د. مصطفى مسلم محمد ـ ط مكتبة الرشد بالرياض الطبعة الأولى عام ١٤١٠ ـ ٣ج.

٣٩ـ تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم الرازي ت ٣٢٧ ـ تحقيق د. أحمد بن عبد الله الزهراني ـ الطبعة الأولى ١٤٠٨ بمطابع هجر ـ اج.

٤٠ـ تفسير القرآن العظيم للإمام ابن كثير الدمشقي ت٧٧٤ ـ ط أسعد طربزوني الحسيني ـ ٤ج.

٤١ـ تفسير المنار تأليف محمد رشيد رضا ـ ط دار المعرفة ـ ١٢ج.

٤٢ـ تفسير النسائي للإمام أبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي ت٣٠٣ ـ تحقيق سيد الجليمي وصبري الشافعي ـ ط مكتبة السنة الطبعة الأولى ١٤١٠ ـ ٢ج.

٤٣ـ تقريب التهذيب للحافظ ابن حجر العسقلاني ت٨٥٢ ـ تحقيق محمد عوامة ـ ط دار البشائر الإسلامية ببيروت

الطبعة الأولى عام ١٤٠٦ ـ ١ج.

٤٤ـ تهذيب تاريخ دمشق الكبير للحافظ ابن عساكر ـ هذبه عبد القادر بدران ت ١٣٤٦ ـ ط دار المسيرة ـ ٦ج.

٤٥ـ تهذيب التهذيب للحافظ ابن حجر العسقلاني ت٨٥٢ ـ ط دائرة المعارف بالهند الطبعة الأولى عام ١٣٢٦ ـ ١٢ج.

٤٦ـ تهذيب سنن أبي داود لابن قيم الجوزية ت٧٥١ ـ مطبوع بحاشية مختصر سنن أبي داود ومعالم السنن للخطابي ـ تحقيق محمد حامد الفقي ـ ط مكتبة السنة المحمدية بالقاهرة ـ ٨ج.

٤٧ـ تهذيب الكمال في أسماء الرجال لأبي الحجاج المزي ت٧٤٢ ـ تحقيق بشار عواد ـ ط مؤسسة الرسالة الطبعة الأولى ـ طبع منه ١٥جزء.

٤٨ـ تهذيب اللغة لأبي منصور الأزهري ت٣٧٠ ـ تحقيق عبد الله درويش ـ ط الدار المصرية للتأليف والترجمة ـ ١٥ج.

٤٩ـ التوحيد وإثبات صفات الرب عز وجل للإمام أبي بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة ت٣١١ ـ تحقيق د. عبد العزيز الشهوان ـ ط دار الرشد ١٤٠٨ ـ ٢ج.

٥٠ـ التيسير في القراءات السبع للإمام أبي عمرو عثمان بن سعيد الداني ت٤٤٤ ـ عني بتصحيحه أوتويرتزل ـ ط دار الكتاب العربي الطبعة الثانية عام ١٤٠٤ ـ ١ج.

٥١ـ جامع البيان عن تأويل آي القرآن للإمام محمد بن جرير الطبري ت٣١٠ ـ ط الحلبي الطبعة الثالثة عام ١٣٨٨ ـ ٣٠ج.

٥٢ـ جامع البيان عن تأويل آي القرآن للإمام محمد بن جرير الطبري ت٣١٠ ـ تحيق أحمد ومحمود شاكر ـ ط دار المعارف بمصر ـ خرج منه ١٦ جزء وأشير إلى هذه النسخة بـ "تحقيق شاكر".

٥٣ـ الجامع لاحكام القرآن لابي عبد الله محمد الانصاري القرطبي ت٦٧١ ـ ط الثانية ـ ٢٠ج.

٥٤ـ الجامع لشعب الإيمان للإمام أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي ت٤٥٨ ـ تحقيق د. عبد العلي عبد الحميد حامد ـ ط الدار السلفية ببومباي الطبعة الاولى عام ١٤٠٧ ـ ٨ج.

٥٥ـ الجدول في إعراب القرآن وصرفه تأليف محمود صافي ـ مراجعة لينة الحمصي ـ ط دار الرشيد الطبعة الأولى عام ١٤٠٦ ـ ١٣ج.

٥٦ـ الجرح والتعديل للحافظ ابن أبي حاتم الرازي ت٣٢٧ ـ ط دائرة المعارف العثمانية بالهند الطبعة الاولى ـ ٩ج.

٥٧ـ جمهرة أنساب العرب لابي محمد علي بن حزم الاندلسي ت٤٥٦ ـ ط دار الكتب العلمية الطبعة الأولى عام١٤٠٣ ـ ١ج.

٥٨_ الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية ت٧٢٨ _ طبع مطابع المجد ٤ج.

٥٩_ الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي للإمام محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية ت٧٥١ _ تحقيق سعيد محمد اللحام _ طبع مكتبة المعارف الطبعة الأولى عام ١٤٠٧ _ اج.

٦٠_ الجواهر في تفسير القرآن الكريم تأليف الشيخ طنطاوي جوهري ت١٣٥٨ _ طبع مطبعة الحلبي الطبعة الثانية عام ١٣٥٠ _ ٢٥ج.

٦١_ حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح لابن قيم الجوزية ت٧٥١ _ نشر مكتبة المدني _ اج.

٦٢_ الحبائك في أخبار الملائك للإمام جلال الدين عبد الرحمن السيوطي ت٩١١ _ تحقيق محمد بسيوني زغلول _ ط دار الكتب العلمية الطبعة الأولى عام١٤٠٥ _ اج.

٦٣_ الحجة للقراء السبعة لأبي علي الحسن الفارسي ت٣٧٧ _ تحقيق بدر الدين قهوجي وبشير جويجاتي _ ط دار المأمون الطبعة الأولى عام١٤٠٤ _ اج.

٦٤_ حجة القراءات لأبي زرعة عبد الرحمن بن زنجلة ت٤٠٣ تقريبا _ تحقيق سعيد الأفغاني _ ط مؤسسة الرسالة عام

١٤٠٤ ـ ١ج.

٦٥ـ حلية الأولياء وطبقات الأصفياء لأبي نعيم الأصفاني ت٤٣٠ ـ ط دار الفكر ـ ١٠ج.

٦٦ـ خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب تأليف عبد القادر بن عمر البغدادي ت١٠٩٣ ـ تحقيق عبد السلام هارون ـ طبع مكتبة الخانجي بالقاهرة الطبعة الثالثة ـ ١٣ج.

٦٧ـ دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب للشيخ محمد الأمين الشنقيطي ت١٣٩٣ ـ مطبوع في أول الجزء العاشر من أضواء البيان للمؤلف ـ طبعه الأمير أحمد بن عبد العزيز عام ١٤٠٣ ـ ١ج.

٦٨ـ دقائق التفسير ـ الجامع لتفسير ابن تيمية ـ جمعه د. محمد السيد الجليند ـ طبع مؤسسة علوم القرآن الطبعة الثانية عام ١٤٠٤ ـ ٦ج.

٦٩ـ دلائل النبوة للحافظ أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي ت٤٥٨ ـ تحقيق عبد المعطي قلعجي ـ ط دار الكتب العلمية الطبعة الأولى عام١٤٠٥ ـ ٧ج.

٧٠ـ دلائل النبوة للحافظ أبي نعيم الأصبهاني ت٤٣٠ ـ تحقيق عبد البر عباس ومحمد رواس قلعجي ـ الطبعة الأولى عام ١٣٩٠ ـ نشر المكتبة العربية بحلب ـ ٢ج.

٧١ـ الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب لإبراهيم بن

علي بن فرحون المالكي ت٧٩٩ ـ طبع دار الكتب العلمية ـ اج.

٧٢ـ رجال صحيح مسلم للإمام أحمد بن علي بن منجويه الأصبهاني ت٤٢٨ ـ تحقيق عبد الله الليثي ـ ط دار المعرفة ـ الطبعة الأولى عام١٤٠٧ ـ ٢ج.

٧٣ـ الروح تأليف الإمام ابن قيم الجوزية ت٧٥١ ـ تحقيق محمد اسكندريلدا ـ ط دار الكتب العلمية ببيروت ـ اج.

٧٤ـ روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني لابي الفضل محمود الألوسي البغدادي ـ ط إحياء التراث العربي الطبعة الرابعة عام١٤٠٥ ـ ٣٠ج.

٧٥ـ الروض الداني إلى المعجم الصغير للحافظ أبي القاسم أحمد بن سليمان الطبراني ت٣٦٠ ـ تحقيق محمد شكور ـ طبع المكتب الإسلامي ودار عمان الطبعة الأولى عام ١٤٠٥ ـ ٢ج.

٧٦ـ الروض المعطار في خبر الأقطار تأليف محمد بن المنعم الحميري ت٧٢٧ ـ حققه د. إحسان عباس ـ ط مكتبة لبنان الطبعة الثانية عام١٩٨٤م ـ اج.

٧٧ـ رياض الصالحين تأليف الإمام أبي زكريا يحيى بن شرف النووي ت٦٧٦ ـ تحقيق شعيب الأرنؤوط ـ طبع مؤسسة الرسالة الطبعة الثامنة عام١٤٠٨ ـ اج.

٧٨ـ زاد المسير في علم التفسير للإمام أبي الفرج ابن الجوزي ت٥٩٧ ـ الطبعة الثالثة عام ١٤٠٤ طبع المكتب الإسلامي ببيروت ـ ٩ج.

٧٩ـ زاد المعاد في هدي خير العباد للإمام محمد بن قيم الجوزية ت٧٥١ ـ حققه شعيب وعبد القادر الأرنؤوط ـ طبع مؤسسة الرسالة ومكتبة المنار الإسلامية الطبعة السابعة عام ١٤٠٥ ـ ٥ج.

٨٠ـ سلسلة الأحاديث الصحيحة تأليف الشيخ محمد ناصر الدين الألباني ـ ط المكتب الإسلامي ـ خرج منه ٤ أجزاء.

٨١ـ سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيء في الأمة تأليف محمد ناصر الدين الألباني ـ خرج منه ٤أجزاء.

٨٢ـ سنن ابن ماجة للإمام أبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني ت٢٧٥ ـ تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ـ ط دار الفكر ـ ٢ج.

٨٣ـ سنن أبي داود للإمام أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني ت٢٧٥ ـ تحقيق عزت الدعاس وعادل السيد ـ ط دار الحديث بلبنان الطبعة الأولى عام ١٣٩١ ـ ٥ج.

٨٤ـ سنن الترمذي للإمام محمد بن سورة الترمذي ت٢٧٩ ـ تحقيق أحمد شاكر ومحمد فؤاد عبد الباقي وإبراهيم عطوة ـ ط مطبعة الحلبي بمصر ـ ٥ج.

٨٥ـ سنن الدارمي للإمام أبي محمد عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي ت٢٥٥ ـ ط دار الكتب العلمية ـ ٢ج.

٨٦ـ السنن الكبرى للحافظ أبي بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي ت٤٥٨ ـ ط دار الفكر ـ ١٠ج.

٨٧ـ سنن النسائي للإمام أبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي ت٣٠٣ بشرح جلال الدين السيوطي ت٩١١ وحاشية محمد بن عبد الهادي السندي ت١١٣٨ ـ ط دار الكتب العلمية ـ ٨ج.

٨٨ـ السنة للإمام عبد الله بن أحمد بن حنبل ت٢٩٠ ـ تحقيق د. محمد بن سعيد القحطاني ـ طبع دار ابن القيم الطبعة الأولى عام١٤٠٦ ـ ٢ج.

٨٩ـ السنة للحافظ أبي بكر عمرو بن أبي عاصم الشيباني ت٢٨٧ ـ تحقيق الشيخ محمد ناصر الدين الألباني ـ ط المكتب الإسلامي الطبعة الأولى عام١٤٠٠ ـ ٢ج.

٩٠ـ سير أعلام النبلاء لشمس الدين الذهبي ت٧٤٨ ـ تحقيق جماعة من العلماء ـ طبع مؤسسة الرسالة الطبعة الثانية عام ١٤٠٢ ـ ٢٣ج.

٩١ـ شجرة النور الزكية في طبقات المالكية تأليف محمد حسنين مخلوف ت١٣٥٥ ـ ط دار الفكر ـ ١ج.

٩٢ـ شرح ابن عقيل على الفية ابن مالك تأليف عبد الله بن عقيل العقيلي الهمداني ت٧٦٩ ـ ط دار مصر الطبعة العشرون عام١٤٠٠ ـ ٤ج.

٩٣ـ شرح العقيدة الطحاوية لأبي العز الحنفي ت٧٩٢ ـ تحقيق الشيخ ناصر الدين الألباني الطبعة الثامنة ١٤٠٤ ـ اج.

٩٤ـ الشفاء بتعريف حقوق المصطفى للقاضي عياض بن موسى اليحصبي ت٥٤٤ ـ تحقيق علي محمد البجاوي ـ ط مطبعة الحلبي ـ ٢ج.

٩٥ـ شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل لابن قيم الجوزية ت٧٥١ ـ ط دار المعرفة ـ اج.

٩٦ـ الشمائل المحمدية للإمام الترمذي ٢٧٩ ـ تحقيق محمد الزغبي الطبعة الأولى عام١٤٠٣ ـ اج.

٩٧ـ الصحاح لإسماعيل بن حماد الجوهري ت٣٩٣ ـ تحقيق أحمد عبد الغفور عطاء ـ ط دار العلم الطبعة الثانية ١٣٩٩ ـ ٦ج.

٩٨ـ صحيح البخاري تأليف الإمام محمد بن إسماعيل البخاري ت٢٥٦ ـ ط المكتبة الإسلامية باسطنبول ـ ٨ج.

٩٩ـ صحيح البخاري بشرح الكرماني تأليف محمد بن يوسف الكرماني ت٧٨٦ ـ ط دار إحياء التراث العربي الطبعة الثالثة عام ١٤٠٥ ـ ٢٥ج.

١٠٠ـ صحيح الجامع الصغير تأليف الشيخ محمد ناصر الدين الألباني ـ توزيع المكتب الإسلامي الطبعة الثانية عام ١٣٩٩ ـ ٦ج.

١٠١ـ صحيح سنن ابن ماجة تأليف الشيخ محمد ناصر الدين الألباني ـ توزيع المكتب الإسلامي الطبعة الأولى عام ١٤٠٧ ـ ٢ج.

١٠٢ـ صحيح سنن أبي داود تأليف الشيخ محمد ناصر الدين الألباني ـ توزيع المكتب الإسلامي الطبعة الأولى عام ١٤٠٩ ـ ٣ج.

١٠٣ـ صحيح سنن الترمذي تأليف الشيخ محمد ناصر الدين الألباني ـ ط المكتب الإسلامي الطبعة الأولى عام ١٤٠٨ ـ ٣ج.

١٠٤ـ صحيح سنن النسائي تأليف الشيخ محمد ناصر الدين الألباني ـ ط المكتب الإسلامي الطبعة الأولى عام ١٤٠٩ ـ ٣ج.

١٠٥ـ صحيح مسلم تأليف الإمام مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري ت٢٦١ ـ تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ـ ط دار إحياء التراث العربي ببيروت ـ ٥ج.

١٠٦ـ صحيح مسلم بشرح النووي تأليف يحيى بن شرف الدين النووي ت٦٧٦ ط دار إحياء التراث العربي ـ ١٨ج.

١٠٧ـ صفة الجنة للحافظ أبي نعيم الأصبهاني ت٤٣٠ ـ تحقيق علي رضا عبد الله ـ ط دار المأمون للتراث الطبعة الأولى عام١٤٠٦ ـ ٣ج.

١٠٨ـ صفوة الآثار والمفاهيم في تفسير القرآن العظيم تأليف الشيخ عبد الرحمن بن محمد الدوسري ـ الطبعة الأولى ـ خرج منه أربعة أجزاء.

١٠٩ـ الضعفاء الكبير لأبي جعفر محمد بن عمرو العقيلي ت٣٢٢ ـ تحقيق د. عبد المعطي قلعجي ـ ط دار الكتب العلمية الطبعة الأولى ـ ٤ج.

١١٠ـ ضعيف سنن ابن ماجة للشيخ محمد ناصر الدين الألباني ـ ط المكتب الإسلامي الطبعة الأولى عام ١٤٠٨ ـ ١ج.

١١١ـ الطبقات لخليفة بن خياط العصفري ت٢٤٠ ـ تحقيق د. أكرم ضياء العمري ـ ط دار طيبة الطبعة الثانية ١٤٠٢ ـ ١ج.

١١٢ـ طبقات الشافعية لأبي بكر بن هداية الله الحسيني ت١٠١٤ ـ تحقيق عادل نويهض ـ نشر دار الآفاق الجديدة الطبعة الثانية عام١٩٧٩م ـ ١ج.

١١٣ـ طبقات الشافعية الكبرى تأليف تاج الدين عبد الوهاب بن علي السبكي ت٧٧١ ـ تحقيق عبد الفتاح الحلو ومحمود الطناحي ـ ط مكتبة ابن تيمية الطبعة الأولى عام١٣٨٥ ـ ١٠ج.

١١٤_ طبقات فحول الشعراء لمحمد بن سلام الجمحي ت٢٣١ _ تحقيق محمود شاكر _ ط مطبعة المدني _ ٢ج.

١١٥_ الطبقات الكبرى لابن سعد ت٢٣٠ _ ط دار صادر _ ٩ج.

١١٦_ طبقات المفسرين لمحمد بن علي الداودي ت٩٤٥ _ ط دار الكتب العلمية الطبعة الأولى عام ١٤٠٣ _ ٢ج.

١١٧_ عالم السحر والشعوذة للدكتور عمر بن سليمان الأشقر _ ط مكتبة الفلاح ودار النفائس الطبعة الأولى عام ١٤١٠ _ ١ج.

١١٨_ عالم الملائكة الأبرار للدكتور عمر بن سليمان الأشقر _ ط مكتبة الفلاح الطبعة الرابعة عام ١٤٠٥ _ ١ج.

١١٩_ عالم الملائكة أسراره وخفاياه لمصطفى عاشور _ ط مكتبة القرآن _ ١ج.

١٢٠_ العظمة تأليف أبي محمد عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان أبي الشيخ الأصبهاني ت ٣٦٩ _ تحقيق رضا الله محمد المباركفوري _ ط دار العاصمة الطبعة الأولى عام ١٤٠٨ _ خرج منه ٣ أجزاء .

١٢١_ عقيدة الإيمان بالملائكة وأدلتها رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية عام ١٤٠٢/١٤٠٣ _ إعداد محمد بن سليمان الدريويش _ ١ج.

١٢٢ـ العلل لأبي محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي ت٢٧٧ ـ تحقيق محب الدين الخطيب ـ ط بمطبعة دار السلام بحلب عن طبعة القاهرة عام١٣٤٣ ـ ٢ج.

١٢٣ـ عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ ـ معجم معاني كلمات القرآن الكريم لأبي العباس أحمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبي ت٧٥٦ ـ تحقيق محمود محمد السيد دغيم ـ طبع دار السيد الطبعة الأولى عام١٤١٠ ـ ١ج.

١٢٤ـ عمدة القاري، شرح صحيح البخاري للإمام بدر الدين محمود بن أحمد العيني ت٨٥٥ ـ ط الحلبي بمصر الطبعة الأولى عام١٣٩٢ ـ ٢٠ج.

١٢٥ـ عمل اليوم والليلة لأبي بكر أحمد بن محمد الدينوري المعروف بابن السني ت٣٦٤ ـ تحقيق عبد القادر أحمد عطا ـ ط دار المعرفة ـ ١ج.

١٢٦ـ غاية النهاية في طبقات القراء لابن الجزري ت٨٣٣ ـ عني بنشره ج برجتراسر ـ ط دار الكتب العلمية عام ١٤٠٢ ـ ٢ج.

١٢٧ـ غريب الحديث للإمام أبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي ت٥٩٧ ـ تحقيق د. عبد المعطي قلعجي ـ ط دار الكتب العلمية الطبعة الأولى عام ١٤٠٥ ـ ٢ج.

١٢٨ـ الفائق في غريب الحديث للعلامة جار الله محمود بن عمر الزمخشري ت٥٨٣ ـ تحقيق علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم ـ ط دار الفكر الطبعة الثالثة عام ١٣٩٩ ـ ٤ج.

١٢٩ـ فتح الباري شرح صحيح البخاري للحافظ ابن حجر العسقلاني ت٨٥٢ ـ حقق الشيخ عبد العزيز بن باز الأجزاء الثلاثة الأولى ـ نشر إدارة البحوث العلمية بالمملكة ـ ١٣ج.

١٣٠ـ فتح البيان في مقاصد القرآن لصديق حسن خان ت١٣٠٧ ـ ط دار الفكر العربي ـ ١٠ج.

١٣١ـ الفتح السماوي بتخريج أحاديث تفسير القاضي البيضاوي لزين الدين عبد الرؤوف المناوي ت١٠٣١ ـ تحقيق أحمد مجتبى السلفي ـ ط دار العاصمة ـ الرياض عام ١٣٠٩ ـ ٣ج.

١٣٢ـ فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير للإمام محمد بن علي الشوكاني ت١٢٥٠ ـ ط مطبعة الحلبي بمصر الطبعة الثانية عام ١٣٨٣ ـ ٥ج.

١٣٣ـ الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية تأليف سليمان بن عمر الجمل ت١٢٠٤ ـ ط إحياء التراث العربي بيروت ـ ٤ج.

١٣٤ـ الفردوس بمأثور الخطاب لأبي شجاع الديلمي ـ

الملقب بالكياء ت ٥٠٩ ـ تحقيق السعيد زغلول ـ ط دار الكتب العلمية ـ ٥ج.

١٣٥ـ الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية ت٧٢٨ ـ ط المكتب الإسلامي الطبعة الخامسة عام ١٤٠١ ـ ١ج.

١٣٦ـ فضائل الصحابة للإمام أحمد بن حنبل الشيباني ت٢٤١ ـ حققه وصي الله بن محمد عباس ـ ط دار العلم ـ توزيع جامعة أم القرى الطبعة الأولى عام ١٤٠٣ ـ ٢ج.

١٣٧ـ القاموس المحيط تأليف محمد بن يعقوب الفيروز آبادي ت٨١٧ ـ ط دار الجيل بيروت ـ ٤ج.

١٣٨ـ القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم.

١٣٩ـ القول المسدد في الذب عن المسند للحافظ ابن حجر العسقلاني ت٨٥٢ ـ ط عالم الكتب الطبعة الأولى عام١٤٠٤ ـ ١ج.

١٤٠ـ الكامل في التاريخ لابن الأثير ت٦٣٠ ط دار صادر ودار بيروت عام١٣٨٥ ـ ١٣ج.

١٤١ـ الكامل في ضعفاء الرجال للإمام أبي أحمد عبد الله بن عدي الجرجاني ت٣٦٥ ـ ط دار الفكر الطبعة الثانية عام ١٤٠٥ ـ ٧ج.

١٤٢ـ الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل تأليف محمود بن عمر الزمخشري ت٥٣٨ ـ ط دار المعرفة ـ ٤ج.

١٤٣ـ كشف الأستار عن زوائد البزار على الكتب الستة تأليف الحافظ علي بن أبي بكر الهيثمي ت٨٠٧ ـ تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي ـ ط مؤسسة الرسالة عام١٤٠٤ ـ ٤ج.

١٤٤ـ الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها لأبي محمد مكي بن أبي طالب القيسي ت٤٣٧ ـ تحقيق د. محيي الدين رمضان ـ ط مؤسسة الرسالة الطبعة الرابعة عام ١٤٠٧ ـ ٢ج.

١٤٥ـ لباب التأويل في معاني التنزيل تأليف علي بن محمد الخازن ت٧٢٥ ـ ط مطبعة الحلبي الطبعة الثانية عام ١٣٧٥ ـ ٧ج.

١٤٦ـ لسان العرب لابن منظور ت٧١١ ـ ط دار الفكر ـ ١٥ج.

١٤٧ـ لسان الميزان للحافظ ابن حجر العسقلاني ت٨٥٢ ـ ط دار الكتاب الإسلامي الطبعة الثانية ـ ٧ج.

١٤٨ـ لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضيئة في عقد الفرقة المرضية للشيخ محمد بن أحمد السفاريني ت١١٨٨ ـ نشر مؤسسة الخافقين الطبعة الثانية عام ١٤٠٢ ـ ٢ج.

١٤٩ـ مجاز القرآن لأبي عبيدة معمر بن المثنى ت٢١٠ ـ تحقيق فؤاد سزكين ـ ط مؤسسة الرسالة الطبعة الثانية عام ١٤٠١ ـ ٢ج.

١٥٠ـ مجمع الزوائد ومنبع الفوائد للحافظ علي بن أبي بكر الهيثمي ت٨٠٧ ـ نشر مؤسسة المعارف طبع عام ١٤٠٦ ـ ١٠ج.

١٥١ـ مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ت٧٢٨ ـ جمع وترتيب عبد الرحمن بن قاسم الحنبلي ت١٣٩٢ ـ ط مطبعة النهضة الحديثة بالقاهرة عام١٤٠٤ ـ ٣٧ج.

١٥٢ـ مختصر الشمائل المحمدية للإمام أبي عيسى الترمذي ت٢٧٩ ـ اختصره الشيخ محمد ناصر الدين الألباني ـ ط المكتبة الإسلامية الطبعة الأولى عام١٤٠٥ ـ ١ج.

١٥٣ـ مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة لابن قيم الجوزية ت٧٥١ ـ اختصره الشيخ محمد الموصلي ـ تحقيق زكريا علي يوسف ـ ط مكتبة المثنى ، القاهرة ـ ١ج.

١٥٤ـ مختصر العلو للعلي الغفار تأليف الحافظ شمس الدين الذهبي ت٧٤٨ ـ اختصره وحققه الشيخ ناصر الدين الألباني ـ ط المكتب الإسلامي الطبعة الأولى عام ١٤٠١ ـ ١ج.

١٥٥ـ المستدرك على الصحيحين للحافظ أبي عبد الله محمد

الحاكم النيسابوري ت٤٠٥ وفي ذيله تلخيص المستدرك للحافظ الذهبي ت٧٤٨ ـ ط دار الفكر عام ١٣٩٨ ـ ٤ج.

١٥٦ـ مسند أبي داود الطيالسي للحافظ سليمان بن داود الطيالسي ت٢٠٤ ـ ط دار المعرفة ـ اج.

١٥٧ـ مسند أبي يعلى تأليف الإمام الحافظ أحمد بن علي بن المثنى التميمي ت٣٠٧ ـ تحقيق حسين سليم أسد طبع دار المأمون للتراث الطبعة الأولى عام ١٤٠٥ ـ ١٣ج.

١٥٨ـ مسند الإمام أحمد بن حنبل ت٢٤١ ـ ط المكتب الإسلامي ـ ٦ج.

١٥٩ـ مسند الإمام أحمد بن حنبل ت٢٤١ ـ تحقيق الشيخ أحمد شاكر ـ ط دار المعارف بمصر عام ١٩٧٤م ـ خرج منه ١٦جزء.

١٦٠ـ المسيح في القرآن والتوراة والإنجيل تأليف عبد الكريم الخطيب ـ ط دار المعرفة الطبعة الثانية عام ١٣٩٦ ـ اج.

١٦١ـ مشكاة المصابيح للإمام محمد بن عبد الله الخطيب التبريزي ت٧٤١ ـ تحقيق الشيخ محمد ناصر الدين الألباني ـ ط المكتب الإسلامي الطبعة الثانية عام١٣٩٩ ـ ٣ج.

١٦٢ـ مشكل الآثار لأبي جعفر أحمد بن محمد الطحاوي ت٣٢١ ـ ط مؤسسة قرطبة السلفية الطبعة الأولى ـ ٤ج.

١٦٣ـ المصباح المنير للعلامة أحمد بن محمد الفيومي المقرىء ت٧٧٠ ـ ط مكتبة لبنان عام ١٩٨٧م ـ ١ج.

١٦٤ـ المصنف للإمام عبد الله بن محمد بن أبي شيبة ت٢٣٥ ـ تحقيق عامر العمري الأعظمي ـ ط الدار السلفية بالهند ـ ١٥ج.

١٦٥ـ المصنف للإمام أبي بكر عبد الرزاق الصنعاني ت٢١١ ـ تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي ـ ط المكتب الإسلامي الطبعة الثانية عام ١٤٠٣ ـ ١١ج.

١٦٦ـ معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول في التوحيد للشيخ حفاظ بن أحمد الحكمي ت١٣٧٧ ـ ط المطبعة السلفية ومكتبتها ـ ٢ج.

١٦٧ـ معاني القرآن لأبي زكريا يحيى بن زياد الفراء ت٢٠٧ ـ الطبعة الثالثة عام١٤٠٣ ـ طبع عالم الكتب ـ ٣ج.

١٦٨ـ معاني القرآن لسعيد بن مسعدة الأخفش ت٢١٥ ـ تقريبا ـ تحقيق عبد الأمير محمد أمين الورد ـ ط عالم الكتب الطبعة الأولى عام١٤٠٥ ـ ٢ج.

١٦٩ـ معاني القرآن وإعرابه لأبي إسحاق إبراهيم بن السري الزجاج ت٣١١ ـ تحقيق د. عبد الجليل شلبي ـ ط عالم الكتب الطبعة الأولى عام١٤٠٨ ـ ٥ج.

١٧٠ـ معجم البلدان تأليف ياقوت بن عبد الله الحموي ت٦٢٦

ـ ط دار صادر عام ١٤٠٤ ـ ٥ج.

١٧١ـ المعجم الصغير للحافظ أبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني ت٣٦٠ ـ ط دار الكتب العلمية عام ١٤٠٣ ـ ٢ج.

١٧٢ـ معجم قبائل العرب القديمة والحديثة تأليف عمر رضا كحالة ـ ط مؤسسة الرسالة الطبعة الخامسة عام ١٤٠٥ ـ ٥ج.

١٧٣ـ المعجم الكبير للحافظ أبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني ت٣٦٠ ـ تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي ـ ٢٥ج وسقطت الأجزاء ١٣ـ ١٤ ـ ١٥ـ ١٦ـ ٢١.

١٧٤ـ معجم مقاييس اللغة لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا ت٣٩٥ ـ تحقيق عبد السلام هارون ـ ط دار الفكر ـ ٦ج.

١٧٥ـ معرفة القراء الكبار لشمس الدين الذهبي ت٧٤٨ ـ تحقيق بشار عواد وشعيب الأرنؤوط وصالح مهدي ـ ط مؤسسة الرسالة الطبعة الأولى عام ١٤٠٤ ـ ٢ج.

١٧٦ـ المفردات في غريب القرآن لأبي القاسم الحسين بن محمد الراغب الأصفاني ت٥٠٢ ـ تحقيق محمد كيلاني ـ ط مطبعة الحلبي عام ١٣٨١ ـ ١ج.

١٧٧ـ المغني في توجيه القراءات العشر المتواترة تأليف د. محمد سالم محيسن ـ ط دار الجيل الطبعة الثانية عام

١٤٠٨ ـ ٣ج.

١٧٨ـ الملائكة والإيمان بهم رسالة ماجستير من جامعة أم القرى ـ إعداد الطالب ناجي محمد سلامة ـ ١ج.

١٧٩ـ الملل والنحل للإمام محمد بن عبد الكريم الشهرستاني ت٥٤٨ ـ مطبوع بهامش الأجزاء الثلاثة الأولى من كتاب الفصل في الملل والنحل لابن حزم الأندلسي ـ ط دار المعرفة عام ١٤٠٦ ـ ٣ج.

١٨٠ـ المنهاج في شعب الإيمان للإمام الحسين بن الحسن الحليمي ت٤٠٣ ـ تحقيق حلمي محمد فودة ـ ط دار الفكر الطبعة الأولى عام ١٣٩٩ ـ ٣ج.

١٨١ـ المؤتلف والمختلف في أسماء الشعراء وكناهم وألقابهم وأنسابهم وبعض شعرهم للإمام أبي القاسم الحسن بن بشر الآمدي ت٣٧٠ ـ تحقيق د. كرنسكو ـ ط دار الكتب العلمية الطبعة الثانية عام ١٤٠٢ ـ ١ج.

١٨٢ـ الموطأ للإمام مالك بن أنس ت١٧٩ ـ تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ـ ط دار إحياء التراث العربي عام ١٤٠٦ ـ ٢ج.

١٨٣ـ ميزان الاعتدال في نقد الرجال للحافظ أبي عبد الله الذهبي ت٧٤٨ ـ تحقيق علي محمد البجاوي ـ ط دار المعرفة بيروت ـ ٤ج.

١٨٤ـ النشر في القراءات العشر تأليف أبي الخير محمد بن

محمد الدمشقي الشهير بابن الجزري ت٨٣٣ ـ تحقيق الشيخ علي محمد الضباع ـ ط دار الكتب العلمية ـ ٢ج.

١٨٥ـ النهاية في الفتن والملاحم للإمام ابن كثير الدمشقي ت٧٧٤ ـ تحقيق أحمد بن عبد الشافي ـ ط دار الكتب العلمية الطبعة الأولى ١٤٠٨ ـ ١ج.

١٨٦ـ النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الجزري ت٦٠٦ ـ تحقيق محمود الطناحي ـ ط دار الفكر ـ ٥ج.

١٨٧ـ هدي الساري مقدمة فتح الباري للحافظ أحمد بن حجر العسقلاني ت٨٥٢ ـ تحقيق الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز ـ توزيع رئاسة إدارة البحوث العلمية بالمملكة ـ ١ج.

١٨٨ـ الوافي بالوفيات تأليف خليل بن إيبك الصفدي ت٧٦٤ ـ تحقيق جماعة من المحققين الطبعة الثانية ـ ٢٢ج وسقطت الأجزاء ١٢ـ ١٨ـ ١٩ـ ٢٠ـ ٢١.

١٨٩ـ اليوم الآخر ـ القيامة الكبرى ـ تأليف الدكتور عمر بن سليمان الأشقر ـ ط مطبعة الفلاح الطبعة الأولى عام ١٤٠٧ ـ ١ج.

سادسا : الفهرس العام لمحتويات الرسالة